

الصِّمَّةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْقُشَيْرِيُّ
حَيَاتُهُ وَشِعْرُهُ

الصِّمَّةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْقَشِيرِيُّ

حياته وشعره

جمعه وحققه وشرحه وصنع فهرسه

د. خالد عبد الرؤوف الجبر

أستاذ النقد والبلاغة المساعد

بجامعة البترا الأردنية



جامعة البترا

ص.ب هاتف ٥٧١٥٥٤٦ - ٥٧١٥٥٤٩ فاكس ٥٧١٥٥٧٠

عمان - الأردن

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبات والوثائق الوطنية	٢٠٠٣/٢/٣١٧
٩٢٨,١ جبر	الجبر، خالد عبد الرؤوف الصِّمَّةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْقَشِيرِيُّ: حياته وشعره / خالد عبد الرؤوف الجبر عمان - دار المناهج، ٢٠٠٣ ر. : ٢٠٠٣/٢/٣١٧ الواصفات: التراجم // الأدب العربي // الشعراء العرب /
تم إعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية	
رقم الإجازة المتسلسل لدى دائرة المطبوعات والنشر	٢٠٠٣/٢/٣٨٩

الصف والطباعة



دار المناهج
للتنشيط والتوزيع

تلفاكس ٤٦٥٠٦٢٤ (٠٠٩٦٢٢٦) ص.ب ٢١٥٣٠٨

عمان ١١٢٢ الأردن

المحتويات

الرقم	الموضوع	رقم الصفحة
١	الإهداء	٤
٢	تقديم	٧
٣	القسم الأول: حياة الصّمة وقبيلته وأخباره	١١
	- قبيلة قُشَيْر	١٣
	- ديار القُشَيْريين	١٩
	- شعراء قُشَيْر	٢٤
	- الصّمة بن عبد الله القُشَيْري	٢٧
	* اسمه ونسبه	٢٧
	* حياته وعشقه رّيا	٢٩
	* وفاته	٣٧
	- هل كان الصّمة أعور؟	٤٠
	- ديوان الصّمة القُشَيْري	٤٥
٤	القسم الثاني: شعر الصّمة القُشَيْري	٥١
٥	الفهارس العامة لشعر الصّمة	١٤١
	- فهرس الأشعار	١٤٣
	- فهرس الأعلام	١٤٥
	- فهرس الأماكن	١٤٦
٦	تَبَتُ المَصادر والمَراجع	١٥١

مكتبة الجامعة الأردنية

٢٠٠٣ تموز ١٢

رقم التسلسل ٥٧٧٨٦٤

رقم التصنيف

إلى عالم تجسّد فيه العلم معرفةً ومنهجًا ودوقًا، وناقِدٍ لما يزل يُلوّن
القديم بظلال الحديث، ولا يجدُ غضاضةً في نحيبة الحديث المارق
عن سمّت الأدب الرفيع، والتّقَد الواعي المُبين عن ذائقة فائقة .

تبادل من طلبة جامعة البترا

إلى أستاذنا وحبيبنا

الدكتور مخمّول السّمرة

وصلنا بالصّمة، فنافسناه عشق رّيا، وضاعت لُغتنا بعقب المكان

خالد

تقديم

لعلَّ البَحْثَ في حَيَاةِ شَاعِرٍ من شُعراءِ العربِ القدامى ضَرْبٌ من الخَوْضِ في
عِمَارِ المَجهولِ أحيانًا؛ ذلكَ لأنَّ المَصادرَ الأدبيَّةَ والتَّاريخيَّةَ إنَّما عُنيَتْ بمشاهيرِ
الشُّعراءِ؛ لا سيَّما أولئك الذين مَكَّنَتْ لَهُمُ السِّيَاسَةُ مَوَاطِئَ أَقدَامِهِم، وأَضْفَى عَلَيْهِمُ
الانْتِصَالَ بِأَهْلِ الحَلِّ والعَقْدِ هَالَةً اشْتَهَرُوا بِهَا في النَّاسِ، وَلَوَتْ أَعْنَاقُ النُّقَادِ فَيَمَّمُوا
شَطْرَ أَشْعَارِهِم .

والصَّمَّةُ القُشَيْرِيُّ شَاعِرٌ ذَا عَصِيَّةٍ، وطَبَّقَتْ أَخْبَارُهُ الآفاقَ؛ لا لِمَا تَقَدَّمَ من
أسباب، ولكنْ بالنَّظَرِ إلى جَمَالِيَّاتِ شِعْرِهِ، وبِمَا فِيهِ من عُمُقٍ إحْساسٍ وصدقٍ عَاطِفَةٍ،
وبِحَنِينِهِ الدَّائِبِ إلى مَوَاطِنِهِ وَدِيَارِهِ. شَاعِرٌ عاشِقٌ حَالَتْ صُرُوفُ الدَّهْرِ دُونَ هَوَاهُ،
وَذَاقَ مَرَارَةَ ظُلْمِ دُوي القُرْبَى حَتَّى تَرَحَّلَ عَنْ دِيَارِهِ بَعْدَ إِذْ زُوِّجَتْ حَبِيبَتُهُ (رَبَّيَا) مِنْ
رَجُلٍ غَنِيٍّ، فَنَأَى بِنَفْسِهِ عَنْ دِيَارِ ظَلَمِيهِ - أَبِيهِ وَعَمِّهِ. ارْتَحَلَ غَازِيًا عَسَى أَنْ يَجِدَ في
الغَزْوِ سُلُوءَهُ عَنْ حَبِيبَتِهِ، لَكِنَّ البُعْدَ لَمْ يَكُنْ شَافِيًا، فَكَانَ حَنِينُهُ في أَجْمَلِ مَا قَالَتْ
العَرَبُ في حَنِينِهَا إلى أوطَانِهَا؛ حَتَّى قِيلَ إِنَّ أَجْمَلَ أَيْتَاتِ قَالَتِهَا العَرَبُ في الجَاهِلِيَّةِ
والإِسْلَامِ هِيَ تِلْكَ الَّتِي جَاءَتْ في عَيْنِيَّتِهِ المَشْهُورَةِ (حَنَنْتَ إلى رَبَّيَا). وَلَيْسَ غَرِيبًا أَنْ
يَجْعَلَهَا أَبُو تَمَامٍ فَاتِحَةً بَابِ التَّسْيِيبِ من حِمَاسَتِهِ .

وَقَدْ رَاعَتْنِي عَيْنِيَّةُ الصَّمَّةِ حِينَ دَرَسْنَاها على أَسَاتِذِنَا الدُّكْتُورِ مَحْمُودِ السَّمَرَةِ في
السَّنَةِ التَّمْهِيدِيَّةِ لِلدُّكْتُورَةِ، فَجَنَحْتُ إلى مُلاحَقَةِ أَخْبَارِ الصَّمَّةِ في المَصادرِ، وَطَفَّقْتُ
أَجْمَعُ مَا تَقَعُ عَيْنَايَ عَلَيْهِ في كُتُبِ التَّراجِمِ، حَتَّى تَوَفَّرْتُ على حَشْدٍ من أَخْبَارِهِ
وشِعْرِهِ. وَوَقَفْتُ يَوْمَذاكَ على تَضَارُبٍ شَدِيدٍ في تِلْكَ الأَخْبَارِ والأَشْعَارِ؛ تَضَارُبٍ
يَطُولُ نِسْبَةَ شِعْرِهِ إِلَيْهِ وإلى غَيْرِهِ من شُعراءِ عَصْرِهِ، وَيُظَلِّلُ حَيَاتَهُ بِظِلَالٍ مِنَ العُمُوضِ

والتناقض، ولعل هذا التضارب كان حافزاً ملجئاً لكي أتابع ما بدأت، فكثرت الروايات واختلافها الظاهر أمر يستحق التحقيق والتدقيق .

ومما يشار إليه في هذا المقام أن شعر الصمة كان محط اهتمام رواة الشعر القدامى، ومثار عناية النقّاد، والجغرافيين، واللغويين، وأهل القصص وأخبار؛ حتى صنع له كل من المفضل وابن حبيب ديواناً، ووضع عيسى ابن ذاب كتاباً تحدث فيه عن أخباره وقصة حبه لابنة عمه (ربّا)، لكن هذه الكتب لم تصلنا فيما وصلنا من ثرائنا الأدبي. ثم وجدت الشيخ حمد الجاسر قد عمل على جمع شعر الصمة ونشره مع طرف من أخباره وأخبار قبيلته في مجلّة العرب عام ١٩٦٧، وقد اشتمل ما جمعه على مائتين وواحد وأربعين بيتاً؛ اعتمد في جلّها على ما رواه الهجري في (التعليقات والتوارد). كما عمل عبد العزيز الفيصل على نشر هذا الذي جمعه الشيخ الجاسر - مضيفاً إليه تسعة وعشرين بيتاً - في كتاب عام ١٩٨١، وجعله ديوان الصمة .

وحين نظرت في ما توفرت عليه من شعر الصمة وجدته يقع في ثلاثمائة وأربعة وثلاثين بيتاً؛ زيادة ثلاثة وتسعين بيتاً عن الذي جمعه الشيخ الجاسر، وأربعة وستين بيتاً عن الذي نشره عبد العزيز الفيصل، وهي زيادة تستحق النظر، وتضيف كثيراً إلى شعر الصمة الذي وُصف بأنه شاعر مُقل .

وقد عمدت إلى أخبار الصمة، ورواية شعره، وأخبار قبيلته قُسَير، وديارها، وشعرائها، والتفت إلى الروايات التي وصفته بأنه كان أعور، فحققت هذا كله، وجعلته في القسم الأول، ثم جعلت شعره في القسم الثاني. وإذا كان من واجب الباحث أن يذكر بفضل من سبقه من الباحثين في مجال بحثه؛ فيأتي أجديني ملزماً بالإشادة بصنيع الشيخ حمد الجاسر الذي كان أول من تنبه ونبه إلى شعر الصمة، أما الفيصل فلا أتورّع عن ترديد ما قاله الجاسر في شأنه؛ حين وصفه بأنه سطا على ما فعله ثم ادّعاه لنفسه ونشره باسمه .

وأشير إلى أنني وثقت شعر الصمة من المصادر التي ذكرت شيئاً منه، وضربت الروايات بعضها ببعض، حتى تخلص لي منه ما أطمئن إليه فأثبتته، وحققت نسبة ما روي له ونسب لغيره من الشعراء؛ ولاحت الأماكن التي يذكرها في شعره فعرفت بها من مصادر البلدانيات، وصححت ما وقع فيه الشيخ الجاسر من أخطاء في تلك الأماكن، ثم عملت على شرح ما يقتضي الشرح من شعر الصمة .

ولا بد لي أن أزجي عظيم الشكر لأستاذنا الدكتور محمود السمرّة على تشجيعه الدؤوب، وملاحظاته الثمينة، في ما يتصل بهذه الدراسة، وإذا كنت أهدي عملي هذا إلى أستاذنا وحبيبنا محمود السمرّة؛ فإنّ هذا جهد المقل، وعذري أنّ الهدية على قدر مهديها، وهي أقل من قدره. كما أشكر لأستاذي الدكتور ناصر الدين الأسد توجيهاته القيّمة، والأستاذ الدكتور عفيف عبد الرحمن الذي ما بنحّل عليّ بما حوثته مكتبته العامرة من مصادر ومراجع، وأتمنّ لزيملي: الدكتور وليد العناتي، والدكتورة رزان محمود إبراهيم مراجعة هذا العمل وتدقيقه، شاكرًا كل الشكر لمن وافقني فكره، وهداني إلى زلة .

وبعد، فهذه دراسة وقفت عند حدود حياة الصمة بن عبد الله القُسَيري، وأخبار قبيلته، وجمع شعره وتوثيقه وشرحه، وأرجو أن يعينني الله على درس شعر الصمة موضوعاً وفنياً في قابل الأيام؛ إنّه نعم المولى ونعم النصير .

خالد عبد الرؤوف الجبر

عمّان ٢٥/١١/٢٠٠٢

القسم الأول

١. قبيلة قشِير
٢. ديار القشِيريين
٣. شعراء قشِير
٤. الصَّمَّةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْقَشِيرِيُّ :
 - اسمه ونسبه
 - حياته وعشقه رثا
 - وفاته
٥. هل كان الصَّمَّةُ أَعْوَرًا ؟
٦. ديوان الصَّمَّةِ الْقَشِيرِيِّ

١. قَبِيلَةُ قُشَيْرٍ

يَرْجِعُ الْقُشَيْرِيُّونَ فِي أَصُولِهِمْ إِلَى قَبِيلَةِ كَعْبِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ، وَهُمْ مِنْ وَلَدِ قُشَيْرِ بْنِ كَعْبٍ، وَهُمْ وَأَبْنَاءُ عُمُومَتِهِمْ مِنْ قِبَائِلٍ: مُعَاوِيَةَ (الْحَرِيشِ)، وَجَعْلَةَ (رَهْطِ النَّابِغَةِ الْجَعْدِيِّ)، وَعُقَيْلٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ، وَحَبِيبٍ، جَمِيعًا وَلَدَ كَعْبِ بْنِ رَبِيعَةَ .

وَقَدْ فَصَّلَ ابْنُ حَزْمٍ الْقَوْلَ فِي وَلَدِ قُشَيْرِ بْنِ كَعْبٍ وَأَخْفَادِهِ فَقَالَ ^(١): " وَلَدُ قُشَيْرِ ابْنِ كَعْبٍ: رَبِيعَةُ وَمُعَاوِيَةُ وَسَلَمَةُ الْخَيْرِ؛ أُمُّهُمْ الْخَنَسَاءُ بِنْتُ عَلِيِّ بْنِ تَعْلَبَةَ بْنِ بَجِيلَةَ. وَسَلَمَةُ الشَّرِّ وَالْأَعْوَرُ وَقُرْطٌ وَمُرَّةٌ. وَمِنْهُمْ مَالِكُ ذُو الرُّقَيْيَةِ ابْنُ سَلَمَةَ الْخَيْرِ بْنِ قُشَيْرِ الَّذِي أُسِرَ حَاجِبَ بْنَ زُرَّارَةَ يَوْمَ جَبَلَةَ ^(٢). وَبَيْحَرَةُ بْنُ فِرَاسٍ ^(٣) ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَمَةَ الْخَيْرِ بْنِ قُشَيْرٍ؛ يُقَالُ إِنَّهُ نَحَسَ نَاقَةَ النَّبِيِّ ﷺ - فَلَعَنَهُ. وَهُبَيْرَةُ بْنُ عَامِرِ بْنِ سَلَمَةَ الْخَيْرِ؛ أُسِرَ الْمُتَجَرِّدَةُ امْرَأَةُ التُّعْمَانِ ^(٤)، فَلَمَّا عَرَفَهَا أَطْلَقَهَا. وَابْنُهُ قُرَّةُ بْنُ هُبَيْرَةَ؛ وَقَدْ عَلَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - فَوَلَّاهُ صَدَقَاتِ قَوْمِهِ ^(٥) .

(١) ابن حزم الأندلسي الظاهري، جمهرة أنساب العرب، تحقيق وتعليق عبد السلام هارون، (القاهرة: دار

المعارف، ١٩٦٢)، ص ٢٨٩-٢٩٠

(٢) أي جَبَلَةَ بْنِ الْأَيْثَمِ أَحَدَ مُلُوكِ الْقَسَابِيَةِ، وَذَكَرَ بِمِثْلِ هَذِهِ الْوَقَائِعِ دَالٌ عَلَى الْحُرُوبِ الَّتِي شَارَكَ فِيهَا الْقُشَيْرِيُّونَ قَبْلَ الْإِسْلَامِ

(٣) ذَكَرَهُ ابْنُ هِشَامٍ فِي السِّيَرَةِ النَّبَوِيَّةِ، ص ٢٨٣

(٤) هِيَ صَاحِبَةُ التَّصْيِيفِ الَّتِي قَالَ فِيهَا نَابِغَةُ بَنِي دُبْيَانَ:

سَقَطَ التَّصْيِيفُ وَلَمْ تَرُدِّ إِسْقَاطُهُ
فَتَنَّاوَلْتَهُ وَاتَّقَيْنَا بِأَيْدِيهِ
(٥) وَقَالَ قُرَّةُ بْنُ هُبَيْرَةَ فِي ذَلِكَ شِعْرًا، قَالَ:

حَبَاها رَسُولُ اللَّهِ إِذْ نَزَلَتْ بِهِ
فَأَضْحَتْ بَرُوضِ الْخَضِرِ وَهِيَ خَيْفَةٌ
وَأَمَكْنَهَا مِنْ نَائِلِ غَيْرِ مُنْقَدٍ
وَقَدْ انْجَحَتْ حَاجَاتُهَا مِنْ مُحَمَّدٍ
تَرُوكَ لِأَمْرِ الْعَاجِزِ الْمُتَرَدِّدِ
عَلَيْهَا قَتَى لَا يُرَدِّفُ الدَّمَ وَخَلَهُ

انظر (الإصابة في تمييز الصحابة، ٥ ص ٤٣٩).

وكان له من الولد: حبيب، والطفيّل؛ ومن ولديه الصّمة بن عبد الله بن الطفيّل بن قُرّة ابن هُبيرة القُشيريّ الشّاعِر...، ووحشيّ بن الطفيّل بن قُرّة^(١)، وزُرارة بن عَقبة ابن سَمير ابن سَلَمَة الخير؛ وليّ خُراسان وولده نيسابور. وبكر بن محمد بن العلاء ابن يحيى بن زياد بن الوليد بن الجهم بن مالك بن ضمّرة بن عروة بن شنوءة بن سَلَمَة الخير بن قُشير؛ القاضي المالكيّ. وحيد بن معاوية بن حيدة بن قُشير؛ له صحبة، وابن ابنه بهز بن حكيم بن معاوية بن حيدة؛ روي عنه^(٢).

وزياد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن هُبيرة بن زُفر بن عبد الله بن الأعور بن قُشير؛ ولده عمر بن عبد العزيز - رحمه الله - خُراسان. وحياش بن قيس بن الأعور ابن قُشير؛ شهد يوم اليرموك، فيقال: إنه قتل بيده ألف نصراني، وقُطعت يده يومئذ.

والفقيه الإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري^(٣)، وكُثُوم بن عياض بن وُحوح ابن قيس بن الأعور بن قُشير، وابن أخيه بلج بن بشر بن عياض؛ الذي وليّ الأندلس. ودار بني قُشير بالأندلس: حيّان، ومنهم باليُيرة عدّة.

أما الهجريّ؛ وهو من أهل القرن الرابع؛ فقد أفاض في الكلام على نسب قُشير، وبين أصول القبيلة وفروعها بما لا يجده الباحث عند غيره ممّن تحدّثوا عن نسبهم. فقد ذكر أنّ بني قُشير من هوازن، ثمّ من عامر بن صعصعة، وما ذكره هنا يتفق وما

(١) هو أبو جبرّة بنت وحشيّ التي ذكرت الروايات أنّ الصّمة تزوّجها قبل رحيله عن ديار قبيلته إلى الشام فطُبرستان، وقال فيها:

كُلِّي الثَّمَر حَتَّى يُصَرَّمَ الثُّخْلُ، واضْفُرِي خِطَامَكَ، لَا تَذْرِينِ مَا الْيَوْمَ مِنْ أَمْسٍ

انظر قافية السين من مجموع شعره

(٢) أيّ أنّه كانت له صحبة يرسل الله عليه السلام، فسمِع منه الحديث وحفظ عنه، فكان من روايته

(٣) هو صاحب الصحيح المعروف بصحيح مسلم؛ فهو قُشيريّ نسباً؛ نيسابوريّ ولادة، وهو من ولاد زُرارة بن

عَقبة بن سَمير بن سَلَمَة الخير الذي تقدّم ذكره

تقدّم من أنّهم بنو قُشير بن كعب بن ربيعة، وهؤلاء هم: سَلَمَة الخير؛ ويثّهم فيه الشّرف والعدّد، وأمّ سَلَمَة الخير هي بنت الوحيد بن كلاب بن عامر بن صعصعة. أمّا سَلَمَة الشرّ ومعاوية، فأُمهُما قُسرِيّة، من قُسر بجيلّة.

ثمّ عدّ الهجريّ في أبناء سَلَمَة الخير: عبد الله، وقُسطا، وعامراً، ومالكاً. وعدّ في أفخاذهم: قُرّة بن عامر بن سَلَمَة الخير، وبني مالك بن سَلَمَة الخير؛ ومن فصائل هؤلاء: سَعير، وحزن، وعام، ومعاوية، والحرّ، وصقر، وضمّرة، ومغرا، وعدر.

وذكر من قبائل عبد الله بن سَلَمَة الخير: فراساً وقراساً (قبيلتين)؛ وهم أهل الجباجي (عرض في جنوبيّ الفلج)، وأهل صداء (عرض من أعراضهم أيضاً)، ومُمرّة، وسوادة، وبجيراء، وهُريرا. وذكر من فصائل سَلَمَة الخير: الوقاد، وسَمير، وزُفر، وقيسا، وهؤلاء بنو سَلَمَة يُعرفون بأُمهم: أمّ دهر.

وعدّ من فصائل معاوية بن قُشير: عبيدة، وخريمة، ومريحاً، وسامة، وحيدة، والحجاج، وغمرا. ثمّ قال: "هؤلاء كلّهم أهل الرّيب، وهم بنو معاوية"، وذكر أنّ عبيدة هذا هو أحد بني عطارد بن معاوية، وعدّ من شعرائهم المُختار بن وهب العبيديّ. وذكر الهجريّ من بني عمرو هؤلاء آل يزيد، وعدّ من بني معاوية بني ديسق. أما فصائل الأعور بن قُشير، فعّد منها: مُشَنّجا، وبهسّا، وعاصمًا، وحُصينا.

كما عدّ من قبائل سَلَمَة الشرّ، وهم لُبَيّ: أوساً رهط الشّاعر مُزيق الغواني، ومن شعرائهم: مُنقذ بن عكيم صاحب عوجاء، وقيسا، وحبيبا. أمّا بنو صُهيب، وهم من أهل الأفلح، فقد ذكر الهجريّ أنّهم ليسوا من قُشير صليبة، بل هم منهم بالولاء حسب^(١).

(١) أبو زكريّا عليّ بن هارون الهجريّ، التعليقات والنوادر، تحقيق الشيخ حمد الجاسير، ص ٥٦. وأشير في هذا المُختصر إلى أنّي أفدّت كثيراً ممّا عرضه الشيخ الجاسير في نسب قُشير ((العرب - مجلة شهرية جامعة، المملكة

العربية السعودية، رجب ١٣٨٧هـ)، ١ ص ص ١٢٧-١٢٨))

وتتبعي الإشارة في هذا المقام إلى أن ناشِرَ شِعْرِ الصَّمَّةِ (ديوانه ١) عبد العزيز الفيصل، قد رجَّع في تحقيق نسب قُشَيْرٍ إلى السُّوَيْدِيِّ، وهو من التَّسَابِغِ الْمُتَأَخِّرِينَ^(١)، وقَابَلَ بَيْنَ ما ذَكَرَهُ السُّوَيْدِيُّ وما أوردَهُ أَبُو الفَرَجِ الأصفهانيُّ في أغانيهِ مِنْ نَسَبِ القُشَيْرِيِّينَ، ورَأَى الفيصلُ أنَّ ما أثبتَهُ السُّوَيْدِيُّ يُخَالِفُ ما أثبتَهُ الأصفهانيُّ^(٢). بيدَ أنَّ التَّدقيقَ في ما أثبتَ الرَّجُلَانِ يَقُولُ خِلَافَ ذلكَ، وهُمَا لا يَخْرُجَانِ أَلْبَتَّ عَمَّا أثبتَهُ كُلُّ مِنْ الهَجَرِيِّ وابنِ حَزَمٍ في ما تقدَّم^(٣)، كما أنَّه لا يُخَالِفُ الَّذِي قالَهُ الأصفهانيُّ في نَسَبِ قُشَيْرٍ^(٤).

ويبدو أنَّ هِجْرَةَ بَعْضِ القبائلِ العربيَّةِ مِنَ الجزيرةِ، وانتقالَ أَقسامٍ مِنْهَا للإقامَةِ في يَلَادِ الفُتُوحِ، قد أَثَّرَا في حَرَكَةِ التَّأليفِ في أنسابِ تلكَ القبائلِ؛ حيثُ أَصْبَحَ مِنَ العَسِيرِ مُلاحَظَتُهَا في يَلَادِ شَتَّى، وهذا هو السَّبَبُ الرَّئِيسُ في ضَعْفِ قُدْرَتِنَا على سَلْسَلَةِ عَشَائِرِ قَبِيلَةِ قُشَيْرٍ إلى يَوْمِنَا هذا. وقد وَجَدَ البَاحِثُ أنَّ مَصَادِرَ الأنسابِ الأُخْرَى -غَيْرَ الهَجَرِيِّ وابنِ حَزَمٍ - تُكَادُ تَعْتَمِدُ تَمَامًا على أنسابِ ابْنِ الكَلْبِيِّ، ولِهذا السَّبَبِ لا نَجِدُ فِيهَا آيَةً تَفْصِيلاتٍ عَنِ نَسَبِ قُشَيْرٍ، وَيَكَادُ الهَجَرِيُّ وابنُ حَزَمٍ يَكُونَانِ أَكْثَرُ المَصَادِرِ تَفْصِيلاً في هذه القَضِيَّةِ .

(١) هو مُحَمَّدُ أمين السُّوَيْدِيِّ، وُلِدَ في بَغْدَادَ، وتَوَفَّى في بُرْطَنْدَة سَنَةَ ١٢٤٦ هـ

(٢) انظر ديوان الصَّمَّةِ القُشَيْرِيِّ، جَمَعَهُ وحَقَّقَهُ عبد العزيز الفيصل (الرِّيَاضُ: النادي الأدبي، ١٩٨١)، ص ٩-١٠

(٣) انظر مُحَمَّدُ أمين السُّوَيْدِيِّ، سِيَّاتُكَ الذَّهَبِ في قبائل العرب، ص ٤٥

(٤) انظر ما أثبتَهُ الأصفهانيُّ في نَسَبِ الصَّمَّةِ، الأغاني، (بيروت: دار إحياء الثَّراَتِ العربيَّةِ، د.ت)، ص ٢٩١،

وهو لا يَخْتَلِفُ عَمَّا ذَكَرَهُ السُّوَيْدِيُّ إلَّا في إِضَافَةِ اسْمِ (هِلال) بَعْدَ (عامر)؛ أي أنَّ نَسَبَهُ جاءَ فيهِ: " ... عامر ابنِ هِلَالِ بْنِ صَعْصَعَةَ"، وهذا بِمِثْلِ لا يُشْكَلُ خِلَافًا جَوْهَرِيًّا بَيْنَهُمَا كَمَا زَعَمَ الفيصلُ. وأودَّ الإشارةَ هُنَا إلى أنَّ الفِصْلَ في ما يَبدو قد تَخَرَّجَ مِنْ أَخْذِ الَّذِي نَشَرَهُ الشَّيْخُ الجاسِرُ بِتَمَامِهِ كَمَا جاءَ في العَرَبِ، بِما فيهِ مِنْ شِعْرِ مَجْمُوعٍ، فَضلاً عَنِ نَسَبِ قُشَيْرٍ، وأرادَ أنَّ يُخَالِفَ شَيْئًا مَّا عَنِ الَّذِي فَعَلَهُ الجاسِرُ حينَ عادَ إلى الهَجَرِيِّ؛ فَعَادَ إلى السُّوَيْدِيِّ في إثباتِ نَسَبِ قُشَيْرٍ. ولَمَّا في قَادِمِ الصَّفَحَاتِ حَدِيثٌ عَنِ إِغَارَةِ الفِصْلِ على ما صَنَعَهُ الشَّيْخُ الجاسِرُ، لا سِيَّما حينَ تَكَلَّمَ على شِعْرِ الصَّمَّةِ وَجَمَعَهُ وتوثيقه

ولعلَّ إِشارةَ ابْنِ حَزَمٍ إلى بَعْضِ رِجالاتِ قُشَيْرٍ في العُصُورِ المُخْتَلِفَةِ، وذِكْرُهُ لِمَنْ سَكَنَ مِنْ فُرْعِ القَبِيلَةِ في يَلَادِ الأَنْدَلُسِ، يُعِينَانِ على تَبْيِينِ مَلامِحِ جِرائِكِ هذه القَبِيلَةِ وانتِشارِها في المَكانِ والزَّمانِ؛ ذلكَ بأنَّ القبائلَ العربيَّةَ الَّتِي سَكَنَتِ جَزِيرَةَ العَرَبِ هاجَرَتِ أَقسامًا مِنْهَا إلى العِراقِ والشَّامِ ومِصرَ، واستَقَرَّتْ جُمُوعُ المُهاجِرِينَ في مَواظِنَ حَدِيدَةٍ، وقد هاجَرَ قِسمٌ مِنْ قُشَيْرٍ إلى الشَّامِ والعِراقِ، وَنَجِدَ " طَرَفًا مِنْ أَخبارِهِم في القَرْنِ الهَجَرِيِّ الأوَّلِ في حُرُوبِ كَلْبٍ وقَيْسٍ، وفي القَرْنِ الهَجَرِيِّ الرَّابِعِ، في أَخبارِ حُرُوبِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ الحَمْدَانِيَّ لِأَطْرافِ الشَّامِ " ^(١).

ويُضِيفُ ياقوتُ الحَمَوِيُّ إلى التَّعريفِ بِمَصِيرِ قُشَيْرٍ مَعْلُومَةً طَريفَةً، وذلكَ في أَثناءِ تَعريفِهِ بِقَلْعَةِ (جَعْبَر)؛ حيثُ يَسُوقُ خَبْرًا مَفادُهُ أنَّ أَحَدَ القُشَيْرِيِّينَ واسمُهُ جَعْبَرُ بْنُ مالِكٍ، وَهُوَ أَعْمَى، اسْتَوَلَى على قَلْعَةٍ (دَوْسَر) الواقعةِ على الفُراتِ، ثُمَّ عُرِفَتِ القَلْعَةُ بِاسْمِهِ، وأُطْلِقَ عَلَيْهَا (قَلْعَةُ جَعْبَر)، وأنَّ السُّلْطَانَ جَلالَ الدِّينِ مُلْكُ شاهِ بْنِ أَرْسَلانَ قدِ اسْتَوَلَى على القَلْعَةِ في نِهايَةِ القَرْنِ الهَجَرِيِّ الخامسِ عامَ (٤٩٩ هـ)، وَنَفَى عنها بَنِي قُشَيْرٍ^(٢).

وقد أشارَ الشَّيْخُ حَمْدُ الجاسِرُ إلى أنَّ بَقِيَّةَ مِنَ القُشَيْرِيِّينَ ظَلَّتْ تَسْكُنُ دِيارَها في الجزيرةِ العربيَّةِ، وأنَّ هؤلاءِ اختَلَطُوا بِغَيْرِهِم من عَرَبِ الجزيرةِ، وذَكَرَ مِنْ أُمَثِلَةٍ ذلكَ قَبِيلَةَ (عَبِيدَةَ) مِنْ أَفخاذِ قُشَيْرٍ؛ الَّتِي كَانَتْ تَسْكُنُ يَلَادَ الرَّيْبِ؛ حيثُ ظَلَّ هذا الاسمُ يُطْلَقُ على قِسمٍ كَبِيرٍ مِنْ سُكَّانِ الرَّيْبِ - المَعْرُوفِ الآنَ بِاسْمِ الرَّيْنِ تَحْرِيفًا - إلَّا أنَّ هذا القِسمَ "أَصْبَحَ مَعْدُودًا في قَحْطَانَ؛ ذلكَ أنَّ قَبِيلَةَ قَحْطَانَ اكْتَسَحَتْ يَلَادَ نَجْدٍ قَادِمَةً مِنَ اليَمَنِ، وَمِنْ أَطْرافِ أَوْدِيَّتِهِ الجَنُوبِيَّةِ الَّتِي تَقْبِضُ في نَجْدٍ، وَلِهذا انْضَوَى كَثِيرٌ مِنَ القبائلِ العَدْنَانِيَّةِ الضَّعِيفَةِ القَلِيلَةِ العَدَدِ تَحْتَ سَيِّطَرَةِ تلكَ القَبِيلَةِ القَوِيَّةِ"^(٣).

(١) انظر العرب، ص ١٢٨

(٢) مُعْجَمُ البُلْدانِ، (قَلْعَةُ جَعْبَر)

(٣) العرب، ص ١٢٩

وَيَبْدُو أَنَّ بَنِي كَعْبِ بْنِ رَبِيعَةَ قَدْ عَاثُوا مَا عَاثَتْهُ سَائِرُ قَبَائِلِ الْعَرَبِ؛ مِنْ
وَيَلَاتِ الْحُرُوبِ وَالْفِتَنِ الدَّاخِلِيَّةِ جَرَاءَ التَّنَازُعِ عَلَى بَعْضِ الْمَوَاقِعِ. وَقَدْ فَتَتْ تِلْكَ
النَّرَاعَاتُ فِي عَضُدِ الْقَبِيلَةِ، وَقَوَّتِ الْخِلَافَاتُ بَيْنَ فُرُوعِهَا حَتَّى اخْتَلَطَتْ تِلْكَ الْفُرُوعُ
بِغَيْرِهَا، وَتَمَازَجَتْ أَقْسَامُ مِنْهَا مَعَ قَبَائِلِ أُخْرَى زَاخَمَتْهَا فِي بِلَادِهَا، وَفِي آخِرِ الْأَمْرِ
طَغَتْ عَلَيْهَا، وَتَمَلَّكَتْ حِمَاها الْخَصِيبَ .

وَكَانَتْ اعْتَفَتْ الْمَوَاجِاتُ الَّتِي طَغَتْ عَلَى الْقُشَيْرِيِّينَ تِلْكَ الَّتِي قَذَفَ بِهَا جُنُوبُ
جَزِيرَةِ الْعَرَبِ حِينَ أَخْلَدَ الْقُشَيْرِيُّونَ إِلَى الْأَرْضِ، وَرَكَنُوا إِلَى الدَّعَةِ وَالتَّحْضُرِ لِمَا فِي
أَرْضِهِمْ مِنْ خُصُوبَةٍ وَمَاءٍ؛ فَضُلًّا عَنْ ضَعْفِ الْقَبِيلَةِ بِسَبَبِ انْتِقَالِ قِسْمٍ كَبِيرٍ مِنْ عُقَيْلٍ
وَجَعْلَةٍ وَقُشَيْرٍ وَبَلْعَجَلَانَ - أَبْنَاءِ عُمُومَتِهِمْ - مِنْ قَبَائِلِ كَعْبِ بْنِ رَبِيعَةَ إِلَى خَارِجِ
جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، فَضَعُفَ مَا تَبَقَّى مِنْهَا، وَهَانَ أَمْرُهُ عَلَى قَبَائِلِ أُخْرَى، فَتَحَالَفَ مَعَ قَبَائِلِ
تَنْتَمِي إِلَى الْجَنْدِ الْقَحْطَانِيِّ: كَالدَّوَاسِرِ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْقَبَائِلِ (١).

وَبِسَبَبِ مِنْ هَذَا، أَضْحَى مِنَ الْمُتَعَدِّرِ الْفَصْلِ بَيْنَ مَا تَبَقَّى مِنْ بَنِي قُشَيْرٍ فِي جَزِيرَةِ
الْعَرَبِ وَغَيْرِهِمْ، وَإِنْ كُنَّا مَا نَزَالُ نَجِدُ بَعْضَ الْأَفْخَاذِ مُحْتَفِظَةً بِأَسْمِهَا، وَمُقِيمَةً فِي
بِلَادِهَا، وَإِنْ عُدَّتْ فِي النَّسَبِ مِنْ قَبِيلَةِ الدَّوَاسِرِ؛ وَالدَّوَاسِرُ هِيَ الْقَبِيلَةُ الَّتِي تُسَيِّطِرُ الْآنَ
عَلَى الْقِسْمِ الْجَنُوبِيِّ مِنْ بِلَادِ بَنِي كَعْبِ بْنِ رَبِيعَةَ. أَوْ عُدَّ بَعْضُهَا فِي قَبِيلَةِ قَحْطَانَ؛ الَّتِي
حَلَّتْ مِنْذُ قَرْنَيْنِ وَنُصْفِ الْقَرْنِ تَقْرِيبًا فِي غَرْبِ دِيَارِ بَنِي قُشَيْرٍ (٢).

(١) الغرب، ص ١٣٠

(٢) الغرب، ص ١٣٤

٢. دِيَارُ الْقُشَيْرِيِّينَ

تَوَسَّطَتْ دِيَارُ الْقُشَيْرِيِّينَ بِلَادُ بَنِي كَعْبِ بْنِ رَبِيعَةَ، وَجَاوَرَهُمْ مِنْ هَؤُلَاءِ أَبْنَاءُ
عُمُومَتِهِمْ: بَنُو عُقَيْلٍ وَبَنُو جَعْلَةٍ. وَامْتَدَّتْ دِيَارُهُمْ فِي جَنُوبِي بِلَادِ بَنِي كَعْبٍ وَغَيْرِهَا
عَلَى ضِفافِ أَوْدِيَةِ غَزِيرَةِ الْمِيَاهِ؛ مِثْلَ: بِيْشَةَ، وَرَنْيَةَ، وَعَقِيقِ بَنِي عُقَيْلِ الَّذِي يُعْرَفُ
الْآنَ بِأَسْمِ وَادِي الدَّوَاسِرِ .

وَقَدْ خَالَطَ الْقُشَيْرِيُّونَ بَنِي عُقَيْلٍ فِي أَطْرَافِ عَقِيقِهِمْ، كَمَا خَالَطُوا الْجَعْلِيِّينَ فِي
الْأَفْلَاجِ. وَامْتَدَّتْ دِيَارُهُمْ مِنَ الْأَفْلَاجِ إِلَى أَطْرَافِ جَبَلِ الْعَارِضِ شِمَالًا، مَا يَبِينُ
الْأَفْلَاجِ وَوَادِي يَرْكُ. أَمَّا مِنْ نَاحِيَةِ الْغَرْبِ، فَقَدْ بَلَغَتْ دِيَارُهُمْ حُدُودَ جَبَلِ الْعَارِضِ
غَرْبِيَّ الْأَوْدِيَةِ الْمُتَحَدِرَةِ مِنْ جِبَالِ الْغَرْضِ .

وَقَدْ انْتَشَرَتْ قُشَيْرٌ فِي وَادِي الرَّيْبِ (الرَّيْسِ الْآنَ)، وَفِي السُّهُولِ الْوَاقِعَةِ بَيْنَ
الْعَارِضِ (طُوبَيْقِ الْآنَ) وَالْغَرْضِ (عَرْضِ شِمَامٍ)؛ فِي الْمَرُوتِ شِمَالًا إِلَى رَمْلَةِ الدَّيْلِ
الْمَعْرُوفَةِ الْآنَ بِأَسْمِ (تُفُودِ الدَّحِي) جَنُوبًا. وَجَاوَرَ الْقَبِيلَةَ فِي الْمَرُوتِ بَعْضُ بَنِي تَمِيمٍ،
كَمَا جَاوَرَهَا فِي الْجَنُوبِ الْعَرَبِيِّ عَجْلَانُ وَعُقَيْلُ، لَا سِيَّمَا فِي جِبَالِ الْحِصَاةِ .

وَالنَّاطِرُ فِي الرُّبُوعِ الَّتِي حَلَّتْ فِيهَا قُشَيْرٌ يَجِدُهَا مَرَاتِعَ خَصِيبَةٍ تَشْقُهَا أَنْهَارٌ عِدَّةٌ،
وَمَسَايِلُ أَوْدِيَةِ غَزِيرَةِ الْمِيَاهِ؛ فَضُلًّا عَنْ الْمِيَاهِ وَالْأَفْلَاجِ وَالْعِيُونِ الَّتِي تَنْتَشِرُ فِي رُبُوعِ
الْقُشَيْرِيِّينَ، مِمَّا جَعَلَهَا مَرَاحًا أَتَاخَ لِلْقُشَيْرِيِّينَ أَنْ يَقَرُّوا، وَأَطْمَعَ الْقَبَائِلَ الْأُخْرَى فِيهَا.
وَلَعَلَّ أَشْهَرَ مِيَاهِ الْقُشَيْرِيِّينَ: حَايِلُ وَحِلْبَانُ وَيَرْكُ وَالرَّيْبُ وَالْفَلْجُ وَالْغَيْلُ .

أما أشهر مواضعهم فهو المروت، ويروي البكري أن بني حِمْيَرَ من بني سَعْدٍ مِنْ تَمِيمٍ كانوا يشاركونهم فيه، وأنَّ الحُصَيْنَ بْنَ مُشَمَّتٍ الحِمَانِيَّ وفدَ على رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلم - في المدينة فبايعه، ودفع إليه صدقات ماله، فأقطعته - عليه السلام - مياهاً في المروت منها: أصنهب، والماعِزَة، وأهوى، والثماد، والسديرة. وفي ذلك قال قيسُ بن عاصمٍ الحِمَانِيُّ (١):

إِنَّ بِلَادِي لَمْ تَكُنْ أَمْلَسَا بِهِنَّ خَطَّ الْقَلَمِ الْأَنْقَاسَا
مَنْ النَّبِيِّ حِينَ أُعْطِيَ النَّاسَا فَلَمْ يَدَعْ لِنَسَا وَلَا لِنَبَاسَا

وقد حدّد الشيخ الجاسرُ ديار قُشَيْرٍ بِحَسَبِ التَّخْطِيطِ الجغرافي الحديث، فقال (٢): "إنَّه يُمكننا القولُ بأنَّ بلادها تقعُ بينَ خطَي الطولِ : ٤٥ و ٤٦، ٣٠. وبينَ خطَي العرض : ٢١ و ٢٤، ومعلومٌ أنَّ هذه المساحةَ من الأرض لا تختصُّ بهذه القبيلة، بل يُساکُنُها قبائلٌ تجتمعُ معها في النَّسَبِ من بني عامرِ بنِ صعْصعة، وقبائلٌ أخرى تحلُّ مواضعَ قليلةٍ في نواحي هذه البلاد".

وقد وصفَ صاحبُ (بلاد العرب) ديار قُشَيْرٍ قديمًا؛ فقال (٣): "... سوقُ (الفلج) بِبَطْحَاءٍ وادٍ يُسمَّى وادي (أكمة)، واسمُ الوادي (كيرز)، والسوقُ مدينةٌ عظيمةٌ، ومنازلُ بني قُشَيْرٍ في ناحيةِ السوقِ على شاطئِ الوادي: نخيلٌ ودورٌ وحيطان، ويُسمَّى منزلُهم (الزَّرْنُوق). ولَبَنِي قُشَيْرٍ أيضًا قريةٌ على فَرْسَخٍ من الزَّرْنُوقِ يُقالُ لَهَا (قَرْن)؛ فيها نخيلٌ ودورٌ ومزارعٌ، وفي ناحيةِ قَرْنٍ (سَبْحُ إسحاق) الذي اقتتلَّت فيه جَعْدَةُ وقُشَيْرٌ؛ لأنَّه كانَ لِقُشَيْرٍ؛ لِإِسْحَاقَ بْنِ فُلَانٍ، فاشتَرَتْهُ جَعْدَةُ، فمَنَعَتْهَا قُشَيْرٌ،

(١) انظر مُعْجَم ما استعجم (المروت)

(٢) العرب، ص ١٣٠

(٣) لَعْدَةُ الْأَصْفَهَانِي، بلاد العرب، تحقيق حمد الجاسر وصالح العلي (الرياض: دار اليمامة، ١٩٨٠)، ص ٣-٥،

فوقعت بينهم فيه حرب. وكانت جَعْدَةُ اشترته بثلاث مائة ألفِ درهمٍ. وهو نَهْرٌ مَخْرَجُهُ من قَنَاة، وهو بَطِيحَةٌ واسعةٌ، وعليه من النَّخْلِ ما لا يُدرى (١) مَبْلَغُهُ.

(والقاع) أيضًا قريةٌ لبني قُشَيْرٍ حِذاءَ قَرْنٍ، (والشَّطْبَتَانِ) واديانٌ فيهِمَا نَخِيلٌ، وهما لِلْحَرِيشِ وقُشَيْرٍ ...، (وأكمة) قريةٌ بها سوقٌ ومَنْبَرٌ لجَعْدَةَ؛ إِلَّا قَلِيلًا من أعلاها لبني قُشَيْرٍ، (وَكِرْزٌ) ساقِطُها، وأَكْمَةُ بَيْنَ جِبَالٍ.

(والغيل) في أعلاها لبني قُشَيْرٍ أموالٌ كثيرةٌ، وفي (العارض) ثَنَايا منها: ثَنِيَّةُ الْهَدَارِ، وَثَنِيَّةُ أَكْمَةَ، وَثَنِيَّةُ نَسَاحٍ، وَثَنِيَّةُ الْأَحْيَسِيِّ، وبهذه الثَنَايا مِياهٌ لِقُشَيْرٍ.

ومياهُمُ بالدَّيْلِ شَبَاكٌ كثيرةٌ؛ منها: الجاذِبَةُ، والخَضْرَةُ، والصَّخْبِيَّةُ، والصَّبِيغَاءُ، والعَشِيرَةُ، والرايغَةُ، والجُنَادِيَّاتُ - أمْوَءٌ مُتقاربةٌ - والسَّلْمِيَّةُ؛ فهذه مِياهُ الدَّيْلِ، والدَّيْلُ رَمْلَةٌ يُمُقَابَلَةُ العارضِ. ولَهُمُ بَيْنَ الدَّيْلِ والعارضِ ماءٌ يُقالُ لَهُ أَوَّانٌ، وَلَهُمُ الْمُرِيرُ والرجلاء والثَّادِقَةُ، وَلَهُمُ مِياهٌ كثيرةٌ لا تُحصى. ولَبَنِي قُشَيْرٍ وَغَيْرُهُمُ من الجِبَالِ عَمَائَتَانِ؛ إحداهما لِلْحَرِيشِ، والأخرى لَهُمُ وَلِنَهْمُ مِنْ بَنِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَعْبٍ. وَيَذُبُّلُ لبني قُشَيْرٍ، واليَنْكِيرُ لبني قُشَيْرٍ، والرَّيْمُ وادٍ لبني مُعاويةَ بْنِ قُشَيْرٍ، وَقَسَّاسُ قَرِيبٍ من اليَنْكِيرِ، وهو جَبَلٌ طَوِيلٌ، وَجَبَلٌ يُقالُ لَهُ بِجَادٍ في ناحيةِ الْعَمَقِ لبني قُشَيْرٍ.

وصَيْقُ ماءٍ لبني سَلَمَةَ بْنِ قُشَيْرٍ، والحاجرُ لَهُمُ أيضًا. ولَبَنِي قُشَيْرٍ الثُّغْرُ - وهي رَمْلَةٌ مُعْتَرِضَةٌ دُونَ جُرَادٍ، وهي شِبْهُ الوَهْدَةِ، يُحيطُ بِهَا كَثِيبٌ، وفيها نَخِيلٌ ومِياهٌ منها: الحَاخِرُ وواسِطٌ. وَبَيْنَ الثُّغْرِ وَقَرْقَرَى مَسِيرُهُ لثَلْثَيْنِ، وَبَيْنَ قَرْقَرَى وَحَجَرٍ (٢) لَيْلَةٌ.

(١) في الأصل (ما لها يدري)، وفيه تحريف وتصحيف ظاهران !

(٢) هو الوارد في قول امرئ القيس :

فَلَوْلَا الرِّيحُ أَسْمَعُ مَنْ بِخَجَرٍ صَلِيلُ الْبَيْضِ تُقْرِغُ بِالذَّكُورِ

وَالَّذِي يَخْرُجُ عَلَى سِيعَايَةِ خُلَطَاءِ كَعْبٍ أَوَّلُ مَا يَنْزِلُهُ بَعْدَ قَرْقَرَى الْحَاجِرِ وَوَاسِطٍ.
وَتِلْكَ التَّقْرِ مَقْتَرَنَةٌ بَعْضُهَا بَعْضٌ.

وَلَهُمُ الشَّيْكََةُ مِنْ مَعَادِنِ الْيَمَامَةِ بَيْنَ الْحَفِيرَةِ وَالْعُوسَجَةِ، وَلَهُمْ مَاءٌ تُسَمَّى الْأَيْتَرَةَ
عَذْبَةً؛ عَلَيْهَا بَنُو اللَّبْنِ، بَيْنَهَا وَبَيْنَ التَّقْرِ ثَلَاثُ لَيَالٍ. وَلَهُمْ شَجَعَبٌ؛ وَهِيَ بِحَايِلِ مَاءٍ
مِنْ وَرَاءِ التَّقْرِ يَوْمٌ؛ تَهَيَّطُ مِنَ التَّقْرِ حَايِلًا، وَإِذَا جَاوَزَ الْحَاجُّ حَايِلًا وَالْمَرُوتُ مُقِيلِينَ
صَارُوا فِي قُرَى الْيَمَامَةِ؛ قَالَ الرَّاجِزُ:

إِذَا قَطَعْنَا حَايِلًا وَالْمَرُوتَ فَابْعَدَ اللَّهُ السَّوِيقَ الْمَلْتُوتَ^(١)

وَحَايِلٌ بَيْنَ رَمَلَتَيْنِ: جُرَادٍ وَالْأَطْهَارِ.

هَذَا مَا أوردَهُ لُغْدَةُ الْأَصْفَهَانِي فِي وَصْفِ دِيَارِ قُشَيْرٍ، وَهُوَ كَمَا نَرَى وَصْفٌ يَدُلُّ
عَلَى خِصْبِ تِلْكَ الدِّيَارِ، وَكَثْرَةِ مَا فِيهَا مِنْ مِيَاهٍ. أَمَّا الْهَمْدَانِيُّ فِي (صِفَةِ حَزِيرَةِ
العرب)، فَقَدْ أَفَاضَ فِي وَصْفِ حُصُونِهِمْ وَأَفْلَاجِهِمْ وَأَوْدِيَّتِهِمْ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ فِي
حُصُونِهِمْ^(٢): "الْفَلَجُ بَلَدٌ أَرْبَابُهُ جَعْدُهُ وَقُشَيْرٌ وَالْحَرِيشُ بَنُو كَعْبٍ، وَأَمَّا قُشَيْرٌ
فَهِيَ بِالْمَدَارِعِ، وَبِهِ الْحُصُونُ وَالتَّحْلُ وَالزَّرْعُ، وَالسَّيْحُ تَحْتَ النَّخْلِ، وَالْأَبَارُ أَيْضًا.
فَأَوَّلُ حُصُونِ بَنِي قُشَيْرٍ بِالْمَدَارِعِ: حِصْنُ الْعَقِيدَةِ مِنْ بَنِي فِرَاسٍ، وَأَهْلُهُ جَفْنَةُ الْفَلَجِ
كُرْمَاءٌ وَحَوَّةٌ، وَحِصْنُ الْفِرَاسِيِّينَ مِنْ بَنِي فِرَاسٍ، وَحِصْنُ بَنِي نَبِيْتٍ مِنْ بَنِي قُرَّةٍ بِصَدَاءَ
مِنْ الْمَدَارِعِ. وَحِصْنُ الْعَادِيَةِ بِالصَّافِيَةِ لِبَنِي سَوَادَةَ مِنْ قُشَيْرٍ، وَهُمْ طَوَالُحُ الْأَحْسَابِ.
وَحِصْنُ آلِ شَيْلٍ بِالصَّافِيَةِ أَيْضًا لِبَنِي هُرَيْمٍ، وَحِصْنُ بَنِي التَّحْوَى مِنْ بَنِي هُرَيْمٍ، وَحِصْنُ
أُمِّ الْخِخَافِ بْنِ الْعَبْرِ - هُرَيْمِيٌّ - وَحِصْنُ آلِ ضِرَارٍ مِنْ بَنِي هُرَيْمٍ، وَحُصُونُ بَنِي ثَوْرٍ،
وَحِصْنُ بَنِي صُهَيْبٍ بِأَكْمَةٍ، وَحِصْنُ بَنِي قُرْطٍ مِنْ قُشَيْرٍ". ثُمَّ ذَكَرَ حِصْنَ الْأَحَابِشَةِ
مِنْهُمْ، وَالْهَيْصَمِيَّةَ لِبَنِي صُهَيْبٍ مِنْهُمْ، وَقَالَ إِنَّهَا مَدِينَةٌ حَصِينَةٌ "يَرْكُضُ أَرْبَعَةٌ مِنَ
الْخَيْلِ عَلَى جُدْرِهَا".

(١) السَّوِيقُ: الدَّقِيقُ، وَالْمَلْتُوتُ: المَعْوَنُ، وَهِيَ كَلِمَةٌ مَا تَزَالُ دَائِرَةً فِي اسْتِعْمَالِ الْعَرَبِ إِلَى الْآنَ فِي الْعَجِينَ

(٢) صِفَةُ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، ص ١٥٩

وَفِي أَوْدِيَّتِهِمْ قَالَ الْهَمْدَانِيُّ^(١): "الرَّيْبُ وَادٍ رُغَابٌ ضَخْمٌ فِيهِ بَطُونٌ مِنْ قُشَيْرٍ،
مَرِيحٌ بِالْكُدَيْدِ، وَهُوَ أَسْفَلُ وَادِي الرَّيْبِ، وَفِي وَسْطِهِ بَنُو حَيْدَةَ، وَفِي أَعْلَاهُ الْعَبِيدَاتُ
وَصَرْفٌ مِنْ بَنِي قُرَّةَ، وَفِي أَعْلَاهُ وَادٍ يُقَالُ لَهُ عِنَانٌ، وَالْعُدَيْبُ نَخْلٌ وَقُرَّةٌ، وَبَيْنَهُ
سَوَادٌ بِأَهْلَةٍ مَاءٌ يُقَالُ لَهُ الْغَابَةُ؛ فِيهِ نَخْلٌ".

وَقَالَ فِي صِفَةِ حَايِلٍ وَبَعْضِ مِيَاهِهِمْ^(٢): "وَعَنْ يَمِينِ سَوَادٍ بِأَهْلَةٍ بَطْنُ حَايِلٍ،
وَهُوَ بَلَدٌ مِثْلُ يَدِ الْمُصَافِحِ يَرَى فِيهِ الرَّاكِبُ مِنْ مَسَافَةٍ نَصْفِ نَهَارٍ، فِي وَسْطِ رُمَيْلَةٍ
يُقَالُ لَهَا رُمَيْلَةُ الْأَطْهَارِ، وَفِي أَعْلَاهُ سَوَقَتَانِ^(٣)، وَيَحْفُهُ رَمْلٌ جُرَادٍ، وَحَدُّهُ بَيْنَ الْمَرُوتِ
وَبَيْنَ جُرَادٍ، وَهُوَ أَسْفَلُ رَمْلِ الشَّعَافِقِ، وَفِيهِ نَخِيلٌ وَنَخْلَةٌ [مَاءٌ لِبَنِي تَمِيمٍ]، وَفِيهِ
مَاءٌ يُقَالُ لَهُ السَّحَامَةُ، وَبَطْرِفُهُ مَاءٌ يُقَالُ لَهُ الْحَفِيرَةُ حَيْثُ انْصَرَمَ جُرَادٌ. ثُمَّ تَنْشَأُ رُمْلَةٌ
الْحَوَامِضُ؛ تَلٌّ مُنْقَطِعُ الرَّمْلِ مِيَالًا أَوْ أَكْثَرَ، فَيَرْمُلَةُ الْحَوَامِضِ مَاءٌ هُوَ الْحَامِضَةُ؛ مِلْحٌ
يُسَلِّحُ الْإِيْلَ. ثُمَّ وَاسِطٌ، ثُمَّ الْحَاجِرُ [غَيْرُ حَاجِرِ الْمَحَجَّةِ]، وَفِيهِ مَاءٌ عَذْبٌ، وَبِهِ الْمِلْحُ،
وَمِلْحُ الْحَاجِرِ قَرَارَةٌ بَيْنَ أَكْثَبَةٍ فِي وَسْطِ الْقَرَارَةِ، وَالْقَرَارَةُ سَيْحَةٌ وَمِلْحٌ نَحِيَتْ أَيْبُضُ
وَأَحْمَرُ، وَفِي وَسْطِ ذَلِكَ غَدِيرٌ طَوَالَ قَرَارَةِ الْمِلْحِ؛ يَنْسَلُّ مِنْهُ زَبَدٌ أَبْيَضٌ خَفِيفٌ، وَهُوَ
أَعَذْبُ الْمِلْحِ، فَيُخَفَّفُ فَيَصِيرُ مِلْحًا، وَبَيْنَ أَطْرَافِ هَذِهِ السَّيْحَةِ وَمَسَاقِطِ الْأَكْثَبَةِ نَخْلٌ.

ثُمَّ أَسْفَلُ مِنْ ذَلِكَ فِي حَايِلٍ: سَيْحُ ابْنِ مَرِيمٍ، وَهُوَ سَيْحٌ كَانَ غَزِيرًا ثُمَّ انْقَطَعَ
يَضَعُفُ أَهْلُهُ. وَبَطْنُ مُنِيمٍ وَفِيهِ مِيَاهٌ أَمْلَاحٌ مِنْهَا الْجَدْعَاءُ عِنْدَ مُنَجْدَعِ الرَّمْلِ مُقَابِلَةً
لِقَفِّ الْوَحَى، وَفِي بَطْنِ مُنِيمٍ مِيَاهٌ أَمْلَاحٌ كَثِيرَةٌ؛ مِنْهَا: صَوْقَعٌ، وَالضُّبَيْبُ، وَقُنْيَى،
وَالْهَوَّةُ، وَهِيَ مِيَاهٌ مَاجٌ لَا مِلْحٌ وَلَا عَذْبَةٌ، وَهِيَ مُقَابِلَةُ لِقَفِّ مَازِقٍ. وَقَفٌّ مَازِقٍ
مُعْتَرِضٌ بَيْنَ الثَّنَايَا؛ ثَنَايَا الْأَوْدِيَةِ: خُنَيْطَلَّةٌ، وَتَعَامٌ، وَبَرْكٌ، وَبَيْنَ بَطْنِ حَايِلٍ وَالْعَارِضِ؛
وَهُوَ قَفِيفٌ ضَعِيفٌ سَهْبُ الْأَعَالِي."

(١) نَفْسُهُ، ص ١٤٨

(٢) نَفْسُهُ، ص ١٤٨

(٣) فِي الْأَصْلِ (سَوْقَتَيْنِ)، وَلَا تَسْتَقِيمُ

٣. شعراء قشير

دَابَّ بَعْضُ عُلَمَاءِ اللُّغَةِ وَرُؤَاةِ الشَّعْرِ، قَدِيمًا، عَلَى جَمْعِ أَشْعَارِ الْقَبَائِلِ الْعَرَبِيَّةِ فِي كُتُبٍ كَانَتْ تُسَمَّى كُتُبَ الْقَبَائِلِ أَوْ دَوَاوِينَهَا؛ وَمِنْ أَمْثَالِ ذَلِكَ مَا صَنَعَهُ ابْنُ حَبِيبٍ، وَالسُّكْرِيُّ وَغَيْرُهُمَا، وَالبَّاحِثُ لَا يَعْثُرُ فِي أَسْمَاءِ تِلْكَ الْكُتُبِ وَالدَّوَاوِينِ عَلَى دِيْوَانٍ لِقُشَيْرٍ .

وبهذا ظلَّ شِعْرُ قُشَيْرٍ نَشَارًا فِي بَطُونِ كُتُبِ الْأَدَبِ وَالتَّارِيخِ وَاللُّغَةِ وَالْمَعَاجِمِ وَغَيْرِهَا، "وَلَعَلَّ أَوْفَى مَجْمُوعَةٍ مِنْ ذَلِكَ مَا دَوَّنَهُ لَنَا عَلِيمُ الْجَزِيرَةِ فِي الْقَرْنِ الرَّابِعِ الْمِجْرِيِّ؛ أَبُو عَلِيٍّ هَارُونُ بْنُ زَكَرِيَّا الْهَجَرِيُّ، فَقَدْ جَمَعَ لَنَا هَذَا الْعَالِمُ طَائِفَةً كَبِيرَةً نَجِدُ جُلُهَا فِي كِتَابِهِ (التَّعْلِيقاتِ وَالتَّوَادِرِ)، فِي الْقِطْعَةِ الْبَاقِيَةِ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ"^(١). وَقَدْ اعْتَمَدَ الْمِجْرِيُّ فِي مَا أَتَيْتُهُ مِنْ شِعْرِ قُشَيْرٍ عَلَى رُؤَاةٍ مِنَ الْقَبِيلَةِ نَفْسِهَا، وَمِنْ هَؤُلَاءِ: أَبُو الْمَيْمُونِ الْقَشِيرِيُّ، وَزَيْدُ بْنُ فَائِدٍ بْنُ غَالِبٍ بْنِ بَشِيرٍ بْنِ عَطِيٍّ مِنْ عَبِيدَةِ قُشَيْرٍ .

وقد عدَّ الْهَجَرِيُّ مِنْ شُعَرَاءِ قُشَيْرٍ أَحَدًا وَأَرْبَعِينَ شَاعِرًا، وَأُورِدَ لَهُمْ شِعْرًا، وَتَوَزَّعَتْ مَصَادِيرُ أُخْرَى؛ كَالْأَغَانِي، وَحِمَاسَتِي أَبِي تَمَّامٍ وَالبُّحْتَرِيِّ، وَجَمْهَرَةُ النَّسَبِ

(١) مجلة العرب، ص ١٣٥. طبع مرتين: إحداهما بتحقيق حماد الجاسير، والأخرى بتحقيق حمود عبد الأمير

لأبْنِ الْكَلْبِيِّ، سَائِرَ شُعَرَائِهِمْ. ثُمَّ تَبَسَّرَ لَعَبْدُ الْعَزِيزِ الْفَيْصَلُ أَنْ جَمَعَ شِعْرَ قُشَيْرٍ، فَأَشَارَ إِلَى سِتَّةٍ وَسَبْعِينَ شَاعِرًا وَشَاعِرَةً جَمَعَ شِعْرَهُمْ مِنَ الْمَصَادِرِ الْمُخْتَلِفَةِ^(١).

وَقَدْ اسْتَشْهَرَ عَدَدٌ مِنْ شُعَرَاءِ دُنْيَرٍ بِأَسْمَاءٍ مِنْ أَحْبَابِ مِنَ النِّسَاءِ؛ وَفِيهِمْ: الصَّيَّةُ صَاحِبُ رَيَّا، وَالْقَشِيرِيُّ صَاحِبُ سَعْدَى، وَمَعْرُوفُ بْنُ قَدَامَةَ الْقَشِيرِيُّ صَاحِبُ مُنْبَعَةِ، وَمُنْقِدُ بْنُ عَلِيمٍ صَاحِبُ عَوْجَاءَ، وَمَيْمُونُ بْنُ عَامِرٍ صَاحِبُ خَيْرَةَ، وَهَؤُلَاءِ مِمَّنْ ذَكَرَ لَهُمُ الْهَجَرِيُّ شِعْرًا. وَيُمْكِنُ لِلْمَطَالِعِ فِي شِعْرِ قُشَيْرِ الْمَجْمُوعِ أَنْ يَقِفَ عَلَى سِمَاتٍ عِدَّةٍ طَبَعَتْهُ بِطَائِعٍ خَاصٍّ؛ حَتَّى لَكَأَنَّمَا جَاءَ شِعْرُ هَذِهِ الْقَبِيلَةِ مُتَفَرِّدًا عَنْ أَشْعَارِ غَيْرِهَا بِمَا فِيهِ مِنْ رَائِحَةِ الْمَكَانِ؛ فَهُمْ يَجْتَوُونَ إِلَى جِمْاهُمْ وَدِيَارِهِمْ، وَيَتَشَوَّقُونَ إِلَيْهَا، وَهُمْ عُشَّاقٌ يُعْتَوْنَ عَشْقَهُمْ، وَيَسْفَحُونَ دُمُوعَهُمْ حِينَ تَهَيَّجُهُمُ الدُّكْرَى، وَغَرْلُونَ غَزَلًا رَقِيقًا فِي الْأَعْمِ الْأَغْلَبِ .

وَإِذَا كَانَ عَبْدُ الْعَزِيزِ الْفَيْصَلُ قَدْ جَمَعَ مِنْ شِعْرِ قُشَيْرٍ أَلْفًا وَثَلَاثِمِائَةَ بَيْتٍ مِنَ الشَّعْرِ، وَهُوَ مَا جَمَعَهُ مِنْ شِعْرِ قُشَيْرٍ، وَعَدَدٌ مِنْ شُعَرَائِهِمْ سِتَّةٌ وَسَبْعِينَ شَاعِرًا وَشَاعِرَةً^(٢)؛ فَإِنَّ الْمَنْطِقَ يَقْضِي بِأَنَّ لِهَذِهِ الْقَبِيلَةَ مِنَ الشَّعْرِ مَا يَزِيدُ عَنْ هَذَا الْكَمِّ الَّذِي جَمَعَهُ كَثِيرًا؛ لِأَنَّ هَذَا الْكَمَّ يُعْطِي كُلَّ شَاعِرٍ مِنْ هَؤُلَاءِ السِّتَّةِ وَالسَّبْعِينَ مَا مُعَدَّلُهُ سَبْعَةَ عَشَرَ بَيْتًا حَسْبُ ! وَإِذَا كَانَ لِيَزِيدُ بْنُ الطَّطْرِيةِ مَا يَزِيدُ عَنْ أَرْبَعِمِائَةِ بَيْتٍ فِي دِيْوَانِهِ

(١) مَا يَحْدُرُ ذِكْرُهُ أَنَّ الشَّيْخَ حَمْدَ الْجَاسِرِ كَانَ قَدْ جَمَعَ شِعْرَ يَزِيدِ بْنِ الطَّطْرِيةِ فِي الْعَرَبِ قَبْلَ شِعْرِ الصَّيَّةِ الْقَشِيرِيِّ، وَقَدْ أَشَارَ حِينَ جَمَعَ شِعْرَ الصَّيَّةِ إِلَى أَسْمَاءِ شُعَرَاءِ قُشَيْرٍ عِنْدَ الْمِجْرِيِّ، وَفِي بَعْضِ الْمَصَادِرِ الْأُخْرَى: فَعَدَّ خَمْسِينَ مِنْ شُعَرَائِهِمْ؛ هَذَا عَامَ ١٩٦٧م، وَلَمْ يُغَيِّرْ عَبْدُ الْعَزِيزِ الْفَيْصَلُ إِلَى ذَلِكَ. وَالتَّضَافُ فِي قَوْلِهِ: "لَمْ يَسْبِقْ لِأَيِّ شَخْصٍ كَانَ جَمْعُ هَذَا الشَّعْرِ"، وَقَوْلُهُ: "لَمْ يُصْنَعْ مِنْ شِعْرِ بَنِي قُشَيْرٍ إِلَّا شِعْرُ يَزِيدِ بْنِ الطَّطْرِيةِ وَغِيَرَتِهِ الصَّيَّةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْقَشِيرِيِّ" يَجِدُ أَنَّهُ مَتَمَحِّلٌ غَيْرُ صَادِقٍ؛ فَالشَّيْخُ الْجَاسِرُ كَانَ قَدْ نَشَرَ شِعْرَ ابْنِ الطَّطْرِيةِ فِي الْعَرَبِ، ثُمَّ نَشَرَ شِعْرَ الصَّيَّةِ فِيهَا أَيْضًا، وَثَبَتَ الدَّارِسِينَ عَلَى تَعْلِيقاتِ الْمِجْرِيِّ وَمَا فِيهَا مِنْ أَشْعَارِ قُشَيْرٍ، وَحَدَّدَ مَا وَرَدَ مِنْ شِعْرِ قُشَيْرٍ فِي مَصَادِرٍ أُخْرَى كَالْأَغَانِي وَجَمْهَرَةِ النَّسَبِ لِأَبْنِ الْكَلْبِيِّ وَكُتُبِ الْخَمَاسَةِ، وَلِهَذَا الْحِكَايَةُ

تَجِدُ نَعْدَ. (انظر عبد العزيز الفيصل، شعراء قشير، (القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٩٧٨م)، ص ٧)

(٢) انظر شعراء قشير في الجاهلية والإسلام حتى آخر العصر الأموي، ٢ ص ٧

المجموع^(١)، وجمعنا للصمة ما يزيد عن ثلاثمائة وثلاثين بيتاً؛ فلبس من المَقْبُول أن يكون لِسَائِرِ شعراء القبيلة حتى أواخر عصر بني أمية ما يقرب من ستمائة بيت فقط. وهذا يرجح أن يكون القسم الأكبر من شعر قُشَيْرٍ قد ضاع ولم يدون، كما حدث لشعر بقيّة القبائل العربيّة؛ سوى شعر هذيل.

٤. الصّمة بن عبد الله القشيري

• اسمه ونسبه:

هو الصّمة بن عبد الله بن الطفيل بن قرة بن هبيرة بن عامر بن سلمة الخير بن قشير بن كعب بن ربيعة، وربيعة من هوازن، ثم من قيس عيلان بن مضر، هذا ما ذكره أبو الفرج الأصفهاني عند كلامه على الصّمة^(١). أما ابن حزم فقد جعل نسبه هكذا: الصّمة بن عبد الله بن الطفيل بن قرة بن هبيرة بن عامر بن سلمة الخير بن قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة^(٢)، وهو يتفق في هذا النسب مع أبي عبيد البكري^(٣).

أما الأمدي في المؤلف والمختلف، فقد جعل نسبه هكذا: الصّمة بن عبد الله بن (طفيل) بن (مرة) بن هبيرة بن عامر بن سلمة الخير بن قشير بن كعب^(٤)، وهو يختلف مع ما تقدّم في أمرين اثنين: أولهما إثباته (طفيل) بدلاً من (الطفيل)، والآخر

(١) هذا ما أورده أبو الفرج في نسبه. انظر الأغاني، إعداد مكتب تحقيق التراث، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت)، ص ٦، وتكاد المصاحف تجمع على هذا النسب!

(٢) جمهرة أنساب العرب، ص ص ٢٨٩-٢٩٠

(٣) سبط اللآلي في شرح أمالي القاضي، تحقيق عبد العزيز الميمني، ط ٢، (بيروت: دار الحديث، ١٩٨٤)، ١ ص ص ٤٦٢-٤٦١

(٤) الحسن بن يشر بن يحيى الأمدي، المؤلف والمختلف، تحقيق عبد الستار فراج، (القاهرة: دار إحياء الكتب العربيّة، ١٩٦١)، ص ٢١٤، وانظر أبا عبيد الله محمد بن عمران المرزباني، معجم الشعراء، تصحيح وتعليق ف. كرنكو، (بيروت: دار الكتب العلميّة، د.ت)، ص ص ١٤٤-١٤٥. وقد أخذ هذا عنه يحيى شامي، انظر موسوعة شعراء العرب، (بيروت: دار الفكر العربي، د.ت)، ١ ص ٣٥٢، وكذلك عبد عون الروضان، موسوعة شعراء صدر الإسلام والعصر الأموي، (الرياض: دار أسامة للنشر والتوزيع، ٢٠٠٠)، ص ١٦٩

(١) كان الشيخ حمد الجاسر قد جمع شعر ابن الطثرية ونشره في (مجلة العرب، الجزء الأول، السنة الأولى، رجب سنة ١٣٨٦ هجرية - تشرين أول ١٩٦٦ م، ص ص ٨١٦-٨٥٣، ص ص ١٠٤٦-١٠٥٦، ثم نشره ناصر ابن سعد الرشيد عام ١٩٨٠ دون أن يشير إلى جهود الشيخ الجاسر. مع أن الفارق بين ما فعله الرشيد والجاسر لا يتجاوز عددًا محدودًا من الأبيات! انظر (ناصر بن سعد الرشيد، شعر يزيد بن الطثرية - دراسة وجمع وتحقيق، ط ١، (الرياض: دار مكة للطباعة والنشر، ١٩٨٠)، المقدمة. ومن الجدير بالذكر أن الرشيد قد نسب عينة الصّمة المشهورة ليزيد بن الطثرية تكثرًا من شعره، وحاول كل جهده أن يُثبت نسبته لابن الطثرية، وحال دون مراده أشياء كثيرة؛ لعل أهمها أن حلّ كتب الأدب نسبها للصّمة (انظر شعر يزيد بن الطثرية، ص ص ٨٦-٨٩)

إثباته (مرّة) بدلاً من (قرّة)، وإذا كان أول الأمرين مقبولا بحذف لام التعريف من الطفيل؛ فإن آخرهما ظاهر فيه أنه خطأ من الناسخ أو المحقق، فهو من قبيل التحريف لا غير.

ويجعل ابن الكلبي بدل الطفيل (الحارث)^(١). أما الهجري فقد أورد نسبته مرتين؛ جاء في أولاهما أنه ... ابن طفيل بن زيد بن ثور بن سودة بن قرّة بن سلمة الخير بن قشير، وفي الأخرى طفيل بن قرّة بن عبد الله بن سلمة. وعندما فرغ الهجري فصائل بني سلمة قال: هؤلاء في عامر، ثم من عامر في نبيط، ونبيط رهط الصّمة بن عبد الله. فكان عامراً عند المهجري ليس اسم جد، إنما هو اسم يطلق على مجموعة عشائر بني سلمة الخير^(٢).

وقد وقع الزبيدي - أو من نقل عنه - في خطأ حين روى بعض شعر الصّمة بن عبد الله؛ فجعل اسمه في الرواية اسم أبيه، قال^(٣): "حدثني عمي عبيد الله بن محمد؛ قال: أنشدني ابن الكسكري لعبد الله بن الصّمة القشيري، وكان وامقاً لابنة عمه رياً...". ولعل هذا الخطأ إنما أتى به من ارتكبه من جهة كثرة من سمي بالصّمة أولاً، ثم من التباس اسم أبي الصّمة عبد الله، بعبد الله بن الصّمة الحشمي أخي دريد بن الصّمة!

أما أطرف خطأ في نسب الصّمة؛ فالذي وقع فيه صاحب تزيين الأسواق؛ فقد ذكر الأنطاكي في (فصل في أخبار الصّمة وصاحبه رياً) نسبته هكذا^(٤): "هو أبو

(١) نقل هذا عنه صاحب خزانة الأدب، ٣ ص ٦٣

(٢) انظر تفصيل ذلك عند الجاسر في العرب، ص ١٣٨-١٣٩

(٣) أبو عبد الله محمد بن العباس الزبيدي، المراتي، حققه محمد نبيل طريفي، (دمشق: منشورات وزارة الثقافة السورية، ١٩٩١)، ص ٣٠٦-٣٠٧، وانظر للزبيدي، كتاب الأمالي، ط ١، (الهدى- حيدر آباد الدكن: مطبعة جمعية دائرة المعارف، ١٩٤٨)، ص ١٤٨-١٤٩، ونظمتها الكتاب ذاته، لكن بعنواين مختلفتين!

(٤) دارد بن عمر الأنطاكي، تزيين الأسواق تفصيل أخبار العشاق، دراسة وتحقيق وتعليق أيمن عبد الجابر

البحري، (القاهرة: دار البيان العربي، د.ت)، ١ ص ٢٩٩، وانظر ص ٢٣٠

مالك الصّمة بن عبد الله بن مسعود بن رقاش القشيري التغلبي، من بني ربيعة، ثم قال: "كان أدبياً شجاعاً عارفاً بأيام العرب ووقائعها ومواضعها، وكثيراً ما يسند إليه ابن دريد والأصمعي. قال ابن الفوار والوزير (؟): إنه أدرك أوائل الإسلام". وهذا نسب لم نجد له أصلاً، ولعل الأنطاكي اختلط عليه الأمر فتحدث عن الرقاشي اللعوي المعروف؛ فضلاً عن أن الصّمة القشيري ممن عاش في عصر بني أمية، وهذا الذي يتحدث عنه الأنطاكي قيل إنه أدرك الإسلام، ولعله إنما يتحدث عن أحد الصّمتين الكبيرين الجاهليين. ودليلنا على وهم الأنطاكي قوله في رياً إنها: "ينت مسعود بن رقاش أيضاً"، وهي على ذلك عمته!

• حياته وعشقه رياً:

ليس بين أيدينا ما يمكننا من الحديث عن ميلاد الصّمة، فالمصادر عادة ما تكون ضئيلة يمثل هذه الأخبار؛ لأن التاريخ حتى لعظماء القوم لم يكن سهلاً حتى يصبح الواحد منهم ظاهر الثّنان؛ وإذا ذاك يتنبه له أهل الأدب ورواة الأخبار، ولهذا قد يظفر بتاريخ وفاة الواحد من الشعراء المتقدمين؛ أما تاريخ ميلاده فأمره عسير غاية العسر.

وتشير جل مصادر ترجمته إلى أنه "شاعر إسلامي بدوي مقل من شعراء الدولة الأموية، ولجده قرّة بن هيرة صحنبة بالنبي صلى الله عليه وسلم، وهو أحد وفود العرب الوافدين عليه صلى الله عليه وسلم وآله"^(١).

ولعل الرواية الوحيدة التي ظفّرنا بها هي رواية الأنطاكي في تزيين الأسواق؛ وهي رواية ضعيفة لا شك في كونها صيغت لتكون قصة من قصص العشاق؛ يرونها

(١) الأعاني، ٦ ص ٢٩١، ويبدو أن من ترجموا للصّمة اعتمدوا على ترجمة أبي الفرج له

القصاصون على الناس في مجالسهم. وَنَحْنُ إِنَّمَا نَذْكُرُهَا إِنْسَاءً وَاسْتِنَاساً؛ قَالَ^(١):
"وَرَيَّا هِيَ يَنْتُ مَسْعُودُ بْنُ رُقَاشٍ أَيْضاً، كَانَتْ ذَاتَ ظُرَافَةٍ وَفِرَاسَةٍ وَمَعْرِفَةٍ وَحُسْنٍ،
نَشَأَتْ مَعَ الصَّمَّةِ صَغِيرَتَيْنِ، وَكَانَا يَتَذَكَّرَانِ الْأَدَبَ وَمُلَحَّ الْأَشْعَارِ، فَأَعْجَبَ بِهَا،
وَتَمَكَّنَتْ مِنْهُ، وَلَمْ يَكُنْ عِنْدَهَا مِنْهُ مُقْدَارٌ مَا عِنْدَهُ مِنْهَا، فَلَمَّا شَكَا مَا يَجِدُ مِنْهَا إِلَى
بَعْضِ أَصْدِقَائِهِ أَرْشَدَهُ إِلَى تَرْوُجِهَا، فَخَطَبَهَا إِلَى عَمِّهِ".

وَلَا شَكَّ لَدَيْنَا فِي أَنَّ الصَّمَّةَ قَدْ نَشَأَ فِي قَبِيلَةٍ عُرِفَ فِيهَا الشَّعْرُ بِكَثْرَةِ^(٢)، وَفِي
دِيَارِ عَمَّتِهَا خَيْرَاتُ الْمَاءِ، وَجَادَتْهَا السَّمَاءُ بِخَيْرَاتٍ عَمِيمَةٍ كَمَا تَقَدَّمَ فِي وَصْفِ دِيَارِ
قُشَيْرٍ^(٣). وَيَبْدُو أَنَّهُ قَالَ الشَّعْرُ يَافِعًا، وَأَنَّهُ أَحَبَّ ابْنَةَ عَمِّهِ (رَيَّا) فِي سِنٍّ مُبَكَّرَةٍ أَيْضاً،
نَسْتَدِلُّ عَلَى ذَلِكَ مِنْ إِجْمَاعِ الرُّوَايَاتِ التَّارِيخِيَّةِ عَلَى أَنَّهُ تَوَجَّهَ وَحْدَهُ إِلَى عَمِّهِ لِخُطْبَةِ
(رَيَّا)^(٤)، وَهَذَا فِيهِ شَيْءٌ مِنَ الرُّعُوثَةِ مِمَّا يَدُلُّ عَلَى صِغَرِ سِنِّهِ وَقَتِّهَا.

(١) تزيين الأسواق، ١ ص ٢٣٠

(٢) تَقَدَّمَ أَنَّ جَدَّهُ قُرَّةَ بْنَ هُبَيْرَةَ شَاعِرٌ، وَكَانَ أَبُوهُ شَاعِرًا؛ نَسَبَ إِلَيْهِ الْهَجْرِيُّ شِعْرًا قَالَهُ حِينَ هَاجَرَ الصَّمَّةَ إِلَى
الشَّامِ

(٣) وَهَم بَعْضُ مَنْ تَرْجَمَ لَهُ مِنَ الْمَعَاصِرِينَ؛ فَقَالُوا إِنَّهُ سَكَنَ بَادِيَةَ الْعِرَاقِ، وَأَنَّهُ هَاجَرَ مِنَ الْعِرَاقِ إِلَى الشَّامِ، وَهَذَا
لَيْسَ صَحِيحًا؛ فَالصَّمَّةُ وُلِدَتْ فِي دِيَارِ قُشَيْرٍ؛ وَهَذِهِ فِي نَجْدٍ، يَبْدُو أَنَّ هَؤُلَاءِ وَهَمُوا لَمَّا نَقَلُوا عَنْ الزُّرْكَانِيِّ الَّذِي قَالَ
إِنَّهُ سَكَنَ بَادِيَةَ الْعِرَاقِ، فَهَذَا الْقَوْلُ جَرَى عَلَى طَرِيقَةِ مُؤَرِّخِي الْأَدَبِ الَّذِينَ جَعَلُوا كُلَّ شُعْرَاءَ نَجْدٍ مَعْدُودِينَ فِي
أَهْلِ الْعِرَاقِ، وَخَاصَّةً فِي عَهْدِ بَنِي أُمَيَّةٍ؛ لَوْفِدِ شُعْرَاءَ نَجْدٍ عَلَى الْمُدُنِ الْعِرَاقِيَّةِ (العرب، ص ١٣٩)، انظر:
الأعلام، ٣ ص ٢٠٩، عزيزة فوال بابتي، معجم الشعراء المحضرمين والأُمويين، (بيروت: جروس، ٢٠٠٠)،
ص ٢١٦

(٤) انظر في ذَلِكَ الْأَغَانِي، ٦ ص ٢٩٥-٢٩٦، سبط اللّٰلي، ١ ص ٤٦١-٤٦٢، عبد القادر بن عُمر
البغدادي، خزانة الأدب، تحقيق عبد السلام هارون، (القاهرة: دار الكتاب العربي، ١٩٦٨)، ٣ ص ٦٢-
٦٣، وَلَا يَخْرُجُ عَنْ هَذِهِ الرُّوَايَاتِ سِوَى مَا رَوَاهُ الْيَزِيدِيُّ عَنْ ابْنِ الْكَسْكَرِيِّ، مِنْ أَنَّ أَبَا الصَّمَّةِ هُوَ الَّذِي خَرَجَ
يَخْطُبُهَا عَلَيْهِ، وَفِي الرُّوَايَةِ مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الصَّمَّةَ كَانَ قَدْ طَلَبَ (رَيَّا) مِنْ عَمِّهِ أَوَّلًا، بِدَلِيلِ أَنَّ أَبَاهُ سَاقٍ مَهْرَهَا
مَعَهُ نَاقِصًا نَاقَةً وَاحِدَةً، وَكَانَ الْمَهْرُ مَائَةً نَاقَةً (انظر مراثي الزبيدي، ص ٣٠٦-٣٠٧)

وَتَخْتَلِفُ الْمَصَادِرُ فِي (رَيَّا) هَذِهِ؛ فَصَاحِبُ الْأَغَانِي قَالَ^(١): "كَانَ مِنْ خَبَرِ الصَّمَّةِ
أَنَّهُ هَوِيَ امْرَأَةً مِنْ قَوْمِهِ؛ ثُمَّ مِنْ بَنَاتِ عَمِّهِ دُثَيَّةٌ يُقَالُ لَهَا: الْعَامِرِيَّةُ يَنْتُ غُطَيْفِ بْنِ
حَبِيبِ بْنِ قُرَّةَ بْنِ هُبَيْرَةَ، فَخَطَبَهَا إِلَى أَبِيهَا"، وَبِالنَّظَرِ فِي أَبْنَاءِ قُرَّةَ عِنْدَ ابْنِ حَزَمٍ نَجِدُ لَهُ
مِنْهُمْ حَبِيبًا وَالطُّفَيْلَ^(٢)، وَهَذَا يُقَوِّي هَذِهِ الرُّوَايَةَ، وَبِهَذَا يَكُونُ اسْمُهَا (العامرية)
(رَيَّا) لَقَبًا لَهَا، أَوْ يَكُونُ الْعَكْسُ صَحِيحًا؛ أَيَّ أَنَّ اسْمَهَا (رَيَّا)، وَ(العامرية) لَقَبٌ لَهَا
عَلَى النَّسَبَةِ إِلَى قَوْمِهَا بَنِي عَامِرٍ.

لَكِنَّ الْهَجْرِيَّ ذَكَرَ الصَّمَّةَ يَوْصِفُهُ (صَاحِبَ طَيَّا)، وَحِينَ كَانَ يُورَدُ لَهُ شِعْرًا فِيهِ
اسْمُ (رَيَّا) كَانَ يُعْلَقُ فِي الْحَاشِيَةِ (الصَّوَابُ طَيَّا)، وَهَذَا يَحْتَمِلُ عَلَى اعْتِقَادِ أَنَّ اسْمَ
حَبِيبَتِهِ الْحَقِيقِيَّ إِنَّمَا هُوَ طَيَّا، وَأَنَّ رَيَّا مَا هُوَ إِلَّا تَحْرِيفٌ "دَفَعَ إِلَيْهِ شُهْرَهُ اسْمَ رَيَّا
وَعَرَابَةَ اسْمِ طَيَّا" كَمَا رَأَى الشَّيْخُ حَمْدُ الْجَاسِرِ^(٣). لَكِنَّ لَنَا فِي هَذَا رَأْيًا آخَرَ، نَوْكُذُ
فِيهِ أَنَّ اسْمَهَا إِنَّمَا هُوَ (رَيَّا)، وَأَنَّ (طَيَّا) يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ لَقَبًا مِنْ أَلْفَابِهَا، أَوْ تَحْرِيفًا
لِاسْمِ (رَيَّا)، وَدَلِيلُنَا عَلَى ذَلِكَ نُورَدُهُ فِي الْكَلَامِ عَلَى دِيْوَانِ الصَّمَّةِ وَشِعْرِهِ بَعْدَ
صَفَحَاتٍ يَسِيرَةٍ!

وَتَتَّفِقُ مَصَادِرُ تَرْجَمَةِ الصَّمَّةِ عَلَى أَنَّهُ أَحَبَّ (رَيَّا)، وَوَجَدَ بِهَا وَجْدًا شَدِيدًا دَفَعَهُ
إِلَى مُكَاشَفَةِ عَمِّهِ بِحُبِّهِ لِابْنَتِهِ، وَطَلَبَهُ الزَّوْاجَ مِنْهَا دُونَ أَنْ يَلْحَاقَ إِلَى أَبِيهِ؛ وَنَظُنُّ أَنَّهُ مَا
فَعَلَ هَذَا إِلَّا لِأَحَدٍ سَبَبَيْنِ: أَوَّلُهُمَا أَنَّهُ تَوَقَّعَ مِنْ أَبِيهِ أَنْ يَصُدَّهُ وَيَرْفُضَ السَّعْيَ لَهُ لِأَمْرِ بَيْنِهِ
وَبَيْنَ ابْنِ عَمِّهِ غُطَيْفِ بْنِ حَبِيبٍ، وَالْآخَرُ أَنَّهُ كَانَ يَافِعًا شَدِيدَ الْوُجْدِ بِهَا، فَوَجَدَ نَفْسَهُ
يَتَقَدَّمُ مِنْ عَمِّهِ وَيُفَاتِحُهُ فِي أَمْرِهَا.

(١) الأغاني، ٦ ص ٢٩١

(٢) حمرة أنساب العرب، ص ٢٩٠

(٣) العرب، ص ١٤٠-١٤١

وُثِّسَتْ الرِّوَايَاتُ إِلَى أَنَّ وَالِدَ (رَبَّيَا) أَجَابَ الصَّمَّةَ إِلَى طَلَبِهِ^(١)، وَوَافَقَ عَلَى تَزْوِيجِهِ مِنْ (رَبَّيَا) عَلَى مَهْرٍ اخْتَلَفَتِ الرِّوَايَاتُ فِيهِ؛ فَبَعْضُهَا يَذْكُرُ أَنَّهُ طَلَبَ مَهْرًا قَدَرُهُ مِائَةُ نَاقَةٍ حِسَانٍ، وَبَعْضُهَا جَعَلَ الْمَهْرَ خَمْسِينَ نَاقَةً^(٢). فَعَادَ الصَّمَّةَ إِلَى أَبِيهِ طَالِبًا مِنْهُ الْعَوْنَ فِي دَفْعِ الْمَهْرِ، وَخْتَلَفَتِ الرِّوَايَاتُ مَرَّةً أُخْرَى هُنَا فِي مَوْقِفِ أَبِيهِ؛ إِذْ تُشِيرُ بَعْضُ الرِّوَايَاتِ إِلَى أَنَّ أَبَاهُ أَعْطَاهُ الْمَهْرَ نَاقَصًا نَاقَةً وَاحِدَةً؛ أَيْ تِسْعًا وَتِسْعِينَ نَاقَةً أَوْ تِسْعًا وَأَرْبَعِينَ؛ وَحِينَ نَبَّهَ الصَّمَّةَ قَائِلًا: "أَكْمِلْهَا! فَقَالَ: هُوَ عَمَلُكَ، وَمَا يُنَاطِرُكَ فِي نَاقَةٍ. فَجَاءَ إِلَى عَمِّهِ بِهَا، فَقَالَ: وَاللَّهِ لَا أَقْبَلُهَا إِلَّا كُلَّهَا. فَلَجَّ عَمُّهُ وَلَجَّ أَبُوهُ. فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ الْأُمَّ مِنْكُمْ، وَأَنَا الْأُمُّ مِنْكُمْ إِنْ أَقَمْتُ مَعَكُمْ. فَرَحَلَ إِلَى الشَّامِ"^(٣).

وَبَعْضُهَا يُشِيرُ إِلَى تَمَنُّعِ أَبِيهِ عَلَيْهِ فِي دَفْعِ الْمَهْرِ إِلَى عَمِّهِ، فَتَوَجَّهَ الصَّمَّةُ إِلَى قَوْمِهِ فَأَعْطَوْهُ. قَالَ الْبَكْرِيُّ^(٤): "سَأَلَ أَبَاهُ أَنْ يُعِينَهُ فَأَبَى، وَسَأَلَ عَشِيرَتَهُ فَأَعْطَوْهُ، فَأَتَى عَمَّهُ بِالْإِبِلِ؛ فَقَالَ: لَا أَقْبَلُهَا إِلَّا مِنْ مَالِ أَبِيكَ. وَعَاوَدَ أَبَاهُ فَمَنَعَهُ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ مِنْهُمَا قَطَعَ عُقْلَ الْإِبِلِ وَأَرْسَلَهَا، فَعَادَ كُلُّ بَعِيرٍ إِلَى الْأَلْفِ مِنْهَا، وَتَحَمَّلَ الصَّمَّةُ رَاحِلًا". وَهَذِهِ الرِّوَايَةُ تَحْمِلُ مَا يُثِيرُ؛ إِذْ كَيْفَ عَرَفَ عَمُّهُ أَنَّ الْإِبِلَ لَيْسَتْ مِنْ مَالِ أَبِيهِ إِلَّا إِذَا كَانَ أَبُوهُ قَدْ وَسَمَ إِبِلَهُ بِمِيسَمِهِ، لَكِنْ هَذِهِ الرِّوَايَةُ جَاءَتْ عِنْدَ الْأَصْفَهَانِيِّ بِطَرِيقَةٍ أُخْرَى تَزِيلُ الشُّبُهَةَ.

(١) ذَكَرَ الْأَصْفَهَانِيُّ فِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ أَنَّ عَمَّهُ "أَبَى أَنْ يَزَوِّجَهُ إِيَّاهَا" (الْأَغَانِي، ٦ ص ٢٩١)، وَلَيْسَ صَحِيحًا مَا ذَكَرَهُ بَعْضُ مَنْ تَرَجَّمْ لَهُ مِنَ الْمَعَاصِرِينَ حِينَ جَعَلُوا رَبَّيَا هِيَ الَّتِي رَفَضَتْهُ بِحُجَّةٍ أَنَّهُ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يُنْهَرِهَا بِخَمْسِينَ بَعِيرًا، فَالْتَّكِيدُ أَنَّ وَالِدَهَا هُوَ الَّذِي أَجَابَ أَوْ رَفَضَ وَارِدٌ بِكَثْرَةٍ فِي الرِّوَايَاتِ، وَأَنَّهُ تَأَلَّمَتْ لَمَّا كَانَ ذَلِكَ مِنْ أَبِيهَا وَعَمُّهَا أَبِي الصَّمَّةِ. وَمِنْ هَوْلَاءِ الْأَسْتَادِ عَفِيفِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، مَعْجَمُ الشُّعْرَاءِ مِنَ الْعَصْرِ الْجَاهِلِيِّ حَتَّى نَهَايَةِ الْعَصْرِ الْأُمَوِيِّ، (عَمَّان: دَارُ الْمَنَاهِلِ)، ص ١٣١، عَزِيزَةُ بَابِي، مَعْجَمُ الشُّعْرَاءِ الْمُخَضَّرِينَ وَالْأُمَوِيِّينَ، ٢١٦ (٢) يَذْكُرُ الْأَصْفَهَانِيُّ فِي رِوَايَةٍ أُخْرَى أَنَّ عَمَّهُ وَافَقَهُ عَلَى طَلَبِهِ، لَكِنَّهُ "اشْتَطَطَ عَلَيْهِ فِي الْمَهْرِ" (الْأَغَانِي، ٦ ص ٢٩٥)، وَكَذَلِكَ الْبَكْرِيُّ فِي سِمْتِ اللَّاتِي، ١ ص ٤٦٢، وَابْنُ هِشَامٍ فِي شَرْحِ الشُّوَاهِدِ فِي خَزَانَةِ الْأَدَبِ، ٨ ص ٦٢، وَمَنْ جَعَلَهَا مِائَةَ نَاقَةٍ الْيَزِيدِيُّ فِي مِرَاثِهِ، ص ٣٠٦، تَزْيِينُ الْأَسْوَاقِ، ص ٢٩١، وَمِمَّنْ جَعَلَهَا خَمْسِينَ أَبُو رِيَّاشٍ فِي خَزَانَةِ الْأَدَبِ، ٣ ص ٦٢ (٣) خَزَانَةُ الْأَدَبِ، ٣ ص ٦٢-٦٣ (٤) سِمْتِ اللَّاتِي، ١ ص ٤٦٢

قَالَ الْأَصْفَهَانِيُّ وَقَدْ نَسَبَ الرِّوَايَةَ إِلَى مُوسَى بْنِ عَبْدِ اللَّهِ التَّيْمِيِّ^(١): "خَطَبَ الصَّمَّةَ الْقُشَيْرِيَّ بِنْتَ عَمِّهِ، وَكَانَ لَهَا مُجِبًّا، فَاشْتَطَطَ عَلَيْهِ عَمُّهُ فِي الْمَهْرِ، فَسَأَلَ أَبَاهُ أَنْ يُعَاوَنَهُ، وَكَانَ كَثِيرَ الْمَالِ، فَلَمْ يُعِنِّهِ بِشَيْءٍ. فَسَأَلَ عَشِيرَتَهُ فَأَعْطَوْهُ، فَأَتَى بِالْإِبِلِ عَمَّهُ. فَقَالَ: لَا أَقْبَلُ هَذِهِ فِي مَهْرٍ ابْنَتِي، فَسَأَلَ أَبَاكَ أَنْ يُبْدِلَهَا لَكَ. فَسَأَلَ ذَلِكَ أَبَاهُ، فَأَبَى عَلَيْهِ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ مِنْ فِعْلِهِمَا قَطَعَ عُقْلَهَا وَخَلَّاهَا، فَعَادَ كُلُّ بَعِيرٍ مِنْهَا إِلَى الْأَلْفِ". وَهَذِهِ الرِّوَايَةُ تَدُلُّ عَلَى حَقِيقَةِ مَا جَرَى؛ إِذْ يَبْدُو أَنَّ مَالَ أَبِي الصَّمَّةِ عَبْدِ اللَّهِ كَانَ كَثِيرًا مَعْرُوفًا مُمَيَّزًا مِنْ مَالِ غَيْرِهِ، وَأَنَّ مَا أَعْطَاهُ قَوْمُهُ مِنْ إِبِلٍ كَانَ مَهْزُولًا، فَأَرَادَ عَمُّهُ مِنْهُ اسْتِبْدَالَهَا مِنْ مَالِ أَبِيهِ فَأَبَى.

وَالْعَرِيبُ فِي هَذِهِ الرِّوَايَاتِ جَمِيعُهَا هَذَا الْمَوْقِفُ مِنْ أَبِيهِ وَعَمِّهِ، فَكِلَاهُمَا وَقَفَ مِنَ الصَّمَّةِ فِي زَوَاجِهِ مَوْقِفًا يَدُلُّ عَلَى عِلَاقَةٍ مُرِيَّةٍ بَيْنَهُمَا. وَقَدْ لَا يَكُونُ مَيْسُورًا تَبَيُّنُ طَبِيعَةِ هَذِهِ الْعِلَاقَةِ الْوَاهِيَةِ؛ غَيْرَ أَنَّ إِجْمَاعَ الرِّوَايَاتِ تَقْرِيبًا عَلَى أَنَّ الصَّمَّةَ هُوَ الَّذِي طَلَبَ (رَبَّيَا) مِنْ عَمِّهِ، وَأَنَّ أَبَاهُ إِذَا لَمْ يُعِنِّهِ بِالْمَهْرِ، أَوْ أَعْطَاهُ الْمَهْرَ نَاقَصًا دُونَ أَنْ يَذْهَبَ هُوَ بِنَفْسِهِ لِطَلَبِ (رَبَّيَا) لِأَنَّهُ الصَّمَّةُ، وَإِنَّمَا رَفَضَ أَنْ يُعْطِيَهُ ثَوَقًا بِدِيلَةٍ عَنِ الَّتِي أَعْطَاهُ إِيَّاهَا بَنُو عَشِيرَتِهِ، وَأَنَّ أَبَاهُ كَانَ كَثِيرَ الْمَالِ؛ يَدُلُّ هَذَا كُلُّهُ عَلَى أَنَّ أَبَا الصَّمَّةِ كَانَ رَافِضًا زَوَاجَ ابْنِهِ مِنْ (رَبَّيَا). كَمَا أَنَّ إِجْمَاعَ الرِّوَايَاتِ عَلَى تَمَحُّكِ أَبِي (رَبَّيَا) فِي طَلَبِ الْمَهْرِ وَاشْتِطَاطِهِ عَلَى الصَّمَّةِ فِيهِ، أَوْ طَلَبِهِ مِنْهُ أَنْ يَسْتَبْدِلَ ثَوَقًا مِنْ إِبِلِ أَبِيهِ بِهَا، أَوْ رَفْضِهِ مَهْرَ (رَبَّيَا) نَاقَصًا نَاقَةً وَاحِدَةً، دَالٌّ عَلَى تَمَحُّكِهِ وَلِحَاجَتِهِ، وَكَأَنَّهُ يَشْتَرِطُ عَلَى الصَّمَّةِ مَا يُعْجِزُهُ.

لَعَلَّنَا نَسْتَسْتَجِ مِنْ هَذَا أَنَّ غُطْفًا وَالِدَ رَبَّيَا كَانَ فَقِيرَ الْحَالِ؛ حَاسِدًا لِابْنِ عَمِّهِ عَبْدِ اللَّهِ وَالِدِ الصَّمَّةِ، وَأَنَّ عَبْدَ اللَّهِ كَانَ يَحْقِرُ غُطْفًا لِفَقْرِهِ وَقِلَّةِ ذَاتِ يَدِهِ. وَقَدْ يَذْفَعُنَا إِلَى تَرْجِيحِ هَذِهِ التَّتَبُّعَةِ مَا تُشِيرُ إِلَيْهِ الرِّوَايَاتُ مِنْ أَمْرِ تَزْوِيجِ رَبَّيَا بِشَرِيٍّ مِنْ أَثَرِيَاءِ الْعَرَبِ؛

(١) الْأَغَانِي، ٦ ص ٢٩٥-٢٩٦

وَرَجُلٍ مِنْ رَجَالِهَا الْمَعْدُودِينَ حَسْبًا. قَالَ الْأَصْفَهَانِيُّ مُسَبِّدًا الرَّوَايَةَ إِلَى ابْنِ دَابٍ^(١):
"... وَخَطَبَهَا عَامِرُ بْنُ بَشْرِ بْنِ أَبِي بَرَاءٍ بْنِ مَالِكِ بْنِ مُلَاعِبِ الْأَسِنَّةِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ
كِلَابٍ، فَرَزَّجَهُ إِيَّاهَا، وَكَانَ عَامِرٌ قَصِيرًا قَبِيحًا، فَقَالَ الصَّمَّةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ فِي ذَلِكَ:

فَإِنْ تُنَكِّحُوهَا عَامِرًا لَا طَلَاعَكُمْ إِلَيْهِ يُدْهِمُكُمْ بِرَجُلَيْهِ عَامِرٌ"

وَيَذْكُرُ صَاحِبُ تَرْزِينِ الْأَسْوَاقِ فِي مَا رَوَاهُ عَنْ صَاحِبِ (قُوتِ الْقُلُوبِ فِي أَحْبَارِ
الْمُحِبِّ وَالْمُحُوبِ)^(٢): "أَنَّهُ قَدِيمٌ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ غَاوِي بْنُ رَشِيدِ بْنِ طَلَابَةِ الْمَدْحِجِيِّ
عَلَى مَسْعُودٍ، فَخَطَبَ مِنْهُ رَيَّا، وَأَمْهَرَهَا ثَلَاثِمِائَةَ نَاقَةٍ بِرُعَاتِهَا، فَرَزَّجَهُ بِهَا، فَحَمَلَهَا إِلَى
مَدْحِجٍ. فَبَلَغَ ذَلِكَ الصَّمَّةُ فَلَرِمَ الْوِسَادَ، وَطَالَ أَمْرُهُ."

وَالنَّاظِرُ فِي كِلَا الرَّوَايَتَيْنِ، بِاخْتِلَافِ الْأَسْمَاءِ فِيهِمَا، يَجِدُ أَنَّ مِنْ تَزْوُجِ رَيَّا كَانَ
مُسَبِّرًا وَاسِعَ الْحَالِ، وَأَنَّ غُطْفِيًّا - أَوْ مَسْعُودًا - أَبَاهَا إِنَّمَا كَانَ يَنْظُرُ إِلَى مَا يُمَكِّنُ أَنْ
يَكْسِبَهُ مِنْ وَرَاءِ زَوَاجِهَا، وَنَحْنُ نَجِدُ شَيْئًا مِنْ شِعْرِ الصَّمَّةِ يُوَكِّدُ مَثَلُ هَذَا التَّوَجُّهِ^(٣).

(١) نفسه، ٦ ص ٢٩٢، وقد وهم الأستاذ ياسين الأيوبي حين قال في ترجمته للصَّمَّةِ بشأن رَيَّا: "رفضَ عَمُّهُ تَزْوِجَهُ
منها، وزَوَّجَهَا لِشَاعِرٍ مشهورٍ هُوَ مُلَاعِبُ الْأَسِنَّةِ"، وعَامِرٌ هَذَا كَمَا فِي رِوَايَةِ أَبِي الْفَرَجِ مِنْ أَهْوَاءِ مُلَاعِبِ الْأَسِنَّةِ!
انظر (ياسين الأيوبي، معجم الشعراء في لسان العرب، (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨١)، ص ٢٣٦

(٢) تَرْزِينِ الْأَسْوَاقِ، ١ ص ٢٢٠-٢٣١

(٣) أَثَبَتَ الْبَغْدَادِيُّ لِلصَّمَّةِ أَيْثَانًا دَالِيَةً قَالَ فِي أَحْدِهَا:

لَمَّا اللَّهُ نَجَّدَا كَيْفَ يَتَرَكُ ذَا التَّلْدِي نَحْيَالًا، وَحُرَّ الْقَوْمُ تَحْسَبُهُ عَنَدَا

وَقَالَ: "نَقَلَ ابْنُ الْمُسْتَوْفِيِّ عَنْ تَعْلِيْقِ أَنَّ الْمُرَادَ مِنْ هَذَا الْبَيْتِ أَنَّ عَيْشَ نَحْيَالٍ عَيْشٌ شَدِيدٌ؛ لَا بُدَّ أَنْ يَقُومَ بِالْمَالِ
فِيهِ وَإِلَّا ضَاعَ، وَنَقَلَ عَنْ ابْنِ الْأَعْرَابِيِّ أَيْضًا أَنَّهُ دَمٌ نَجَّدَا لِحَيْثَانِيهِ وَقَطِطِهِ. وَهَذَا إِنَّمَا يَصِحُّ مَعَ قَطْعِ النَّظَرِ عَنْ
سَبَبِ الشَّعْرِ" (خِزَانَةُ الْأَدَبِ، ٨ ص ٦٣-٦٤)، وَقَالَ نَقْلًا عَنْ ابْنِ هِشَامٍ وَقَدْ سَاقَ قِصَّةَ الصَّمَّةِ مُخْتَصَرَةً:
"وَكَانَ مِنْ خَيْرِهِ؛ أَيِ الصَّمَّةِ، أَنَّهُ خَطَبَ ابْنَةَ عَمِّهِ، فَاشْتَطَّ عَلَيْهِ عَمُّهُ فِي الْمَهْرِ، وَبَحَلَ عَلَيْهِ أَبُوهُ بِالْجِمَالِ، فَزَوَّجَتْ
مِنْ غَيْرِهِ؛ فَغَضِبَ مِنْ عَمِّهِ وَأَبِيهِ، وَخَرَجَ إِلَى طَبْرِسْتَانَ؛ وَهِيَ مَقَرُّ الدَّيْلَمِ، فَأَقَامَ بِهَا مَدَّةَ حَيَاتِهِ إِلَى أَنْ مَاتَ فِيهَا،
فَلِهَذَا تَارَةً مَا يَجْنُ إِلَى نَجْدٍ، وَتَارَةً يَدُمُهُ" (خِزَانَةُ الْأَدَبِ، ٨ ص ٦٢-٦٣)، وَقَالَ فِي مَكَانٍ آخَرَ فِي التَّعْلِيْقِ
عَلَى الْبَيْتِ ذَاتِهِ بِرِوَايَةٍ (كَبَيْتُكَ ذَا الْغَنَى فَقِيرًا) بَعْدَ أَنْ أَوْرَدَ تَفْسِيرًا بَعِيدًا عَنْ ابْنِ الْخَيْصَمِ: "... وَكَأَنَّهُ لَمْ
يَقِفْ عَلَى هَذِهِ الْقَصِيدَةِ، وَلَا عَلَى شَيْءٍ مِنْ خَيْرِهَا" (نفسه، ٨ ص ٦٤)

هَذَا مَا كَانَ مِنْ أَمْرِ طَلَبِ الصَّمَّةِ الزَّوْاجَ مِنْ (رَيَّا)، وَتَقُولُ الرُّوَايَاتُ إِنَّ رَيَّا حِينَ
بَلَغَهَا مَا حَدَّثَتْ قَالَتْ: "تَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ رَجُلًا بَاعَتْهُ عَشِيرَتُهُ بِأَبْعَرَةٍ"^(١). لَكِنْ رِوَاةُ أَخْبَارِهِ
يَخْتَلِفُونَ مَرَّةً أُخْرَى فِي رَحِيلِهِ: هَلْ كَانَ مُبَاشِرًا فَوَزَ فَشَلِيهِ فِي الزَّوْاجِ مِنْ رَيَّا، أَمْ أَنَّهُ أَقَامَ
مُدِيدَةً فِي قَوْمِهِ ثُمَّ تَرَحَّلَ؟

نَقَلْتُ بَعْضُ الرُّوَايَاتِ أَنَّ الصَّمَّةَ تَحَمَّلَ رَاحِلًا عَنْ دِيَارِهِ إِلَى الشَّامِ بَعْدَ الَّذِي
حَدَّثَتْ، وَأَنَّ (رَيَّا) قَالَتْ قَوْلُهَا تِلْكَ لَمَّا رَأَتْهُ يَتَحَمَّلُ لِلرَّحِيلِ؛ فَمَا كَادَ يَسْمَعُ رَدَّ أَبِيهِ
وَعَمِّهِ حَتَّى "مَضَى مِنْ وَجْهِهِ حَتَّى لَحِقَ بِالتَّغْرِ"^(٢). وَنَقَلَ بَعْضُهَا أَنَّهُ "رَحَلَ إِلَى الشَّامِ
فَلَقِيَ الْخَلِيفَةَ، فَكَلَّمَهُ، فَأَعْجَبَ بِهِ، وَفَرَضَ لَهُ، وَأَلْحَقَهُ بِالْفُرْسَانِ، غَيْرَ أَنَّنَا لَا نَدْرِي
أَيَّ خَلِيفَةٍ كَانَ فِي دِمَشْقَ"^(٣). وَالظَّاهِرُ أَنَّ الصَّمَّةَ أَقَامَ فِي دِيَارِهِ زَمَنًا لَمْ تُحَدِّدْهُ
الْمَصَادِرُ، ذَلِكَ بِأَنَّ أَهْلَهُ زَوَّجُوهُ مِنْ إِحْدَى فَتَيَاتِ الْعَشِيرَةِ حِينَ تَزَوَّجَتْ رَيَّا، وَرَحَلَ
بِهَا عَامِرٌ زَوْجُهَا إِلَى دِيَارِ قَوْمِهِ.

قَالَ الْأَصْفَهَانِيُّ نَقْلًا عَنْ ابْنِ دَابٍ^(٤): "فَلَمَّا بَنَى بِهَا زَوْجُهَا وَجَدَ الصَّمَّةَ بِهَا
وَجَدًا شَدِيدًا وَحَزَنَ عَلَيْهَا، فَزَوَّجَهُ أَهْلُهُ امْرَأَةً مِنْهُمْ يُقَالُ لَهَا (جَبْرَةٌ) بِنْتُ وَحْشِيِّ بْنِ

(١) الْأَغَانِي، (بيروت: دار الثقافة، ١٩٥٦)، ٦ ص ٨

(٢) انظر الْأَغَانِي، دار الثقافة، ٦ ص ٨، ٩

(٣) انظر خِزَانَةُ الْأَدَبِ، ٣ ص ٦٢ نَقْلًا عَنْ أَبِي رِيَّاسٍ فِي شَرْحِهِ الْحَمَاسَةِ، وَانْظُرْ أَيْضًا جَلَالَ الدِّينِ السَّيُوطِيَّ،
شَرْحُ شَوَاهِدِ الْمَغْنِيِّ، ص ٢٢٢. وَقَدْ جَانَبَ عَبْدُ الْعَزِيزِ الْفَيْصَلُ الصَّوَابَ وَالذِّقَّةَ حِينَ نَسَبَ هَذَا الْقَوْلَ إِلَى
الْمَرْزُوقِيِّ فِي شَرْحِ الْحَمَاسَةِ، وَأَحَالَ عَلَيْهِ فِي (٣ ص ١٢١٥)، وَلَيْسَ الْقَوْلُ وَارِدًا فِيهِ، وَيَبْدُو أَنَّهُ خَلَطَ فَنَقَلَ
الْمَعْلُومَةَ مِنَ الْخِزَانَةِ مُشَارًا فِيهَا إِلَى شَرْحِ الْحَمَاسَةِ، وَلَمْ يَتَنَبَّهُ إِلَى أَنَّ الْمَقْصُودَ شَرْحُ الْحَمَاسَةِ لِأَبِي رِيَّاسٍ، وَهُوَ
كِتَابٌ لَمْ يَصِلْنَا، فَتَسَبَّبَ الرَّوَايَةُ إِلَى الْمَرْزُوقِيِّ حِينَ لَمْ يَجِدْهَا فِي شَرْحِهِ لِذِيوَانِ الْحَمَاسَةِ !! انْظُرْ دِيوَانَ الصَّمَّةِ
الْقَشِيرِيِّ، ١٤

(٤) الْأَغَانِي، دَارُ إِحْيَاءِ الثَّرَاثِ، ٦ ص ٢٩٢. وَمِنْ الْجَدِيرِ ذِكْرُهُ أَنَّ الْأَصْفَهَانِيَّ انْفَرَدَ بِهَذِهِ الرَّوَايَةِ، لَكِنْ ذَكَرَهُ
وَحْشِيُّ ابْنِ الطَّفِيلِ دَلِيلَ عَلَى صِدْقِ رِوَايَتِهِ، فَضْلًا عَنْ رِوَايَتِهِ بَيْتَ الشَّعْرِ الَّذِي قَالَهُ الصَّمَّةُ لِزَوْجَتِهِ جَبْرَةَ!
وَلَسْنَا نَدْرِي إِذَا كَانَ الصَّمَّةُ قَدْ أَحَبَّ مِنْ (جَبْرَةَ) أَمْ لَا؛ لَكِنْ قَوْلُهُمْ إِنَّهُ خَلَفَ امْرَأَتَهُ فِي قَوْمِهِ دَالٌ عَلَى أَنَّهُ لَمْ
يُنْجِبْ مِنْهَا

الطُّفَيْلُ بْنُ قُرَّةَ بْنِ هُبَيْرَةَ، فَأَقَامَ عَلَيْهَا مُقَامًا يَسِيرًا، ثُمَّ رَحَلَ إِلَى الشَّامِ غَضِبًا عَلَى قَوْمِهِ، وَخَلَفَ امْرَأَتَهُ فِيهِمْ، وَقَالَ لَهَا:

كُلِّي التَّمْرَ حَتَّى تَهْرَمِ التَّخْلُ وَاضْفُرِي خِطَامَكَ، لَا تَذْرَيْنِ مَا الْيَوْمَ مِنْ أَمْسٍ

يَذُلُّ عَلَى هَذَا أَيْضًا مَا نَقَلَهُ أَبُو الْفَرَجِ، قَالَ^(١): "أَخْبَرَنِي حَبِيبُ بْنُ نَصْرِ الْمُهَلَّبِيُّ ... عَنْ بَعْضِ بَنِي عُقَيْلٍ، قَالَ: مَرَرْتُ بِالصَّمَّةِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْقَشِيرِيِّ يَوْمًا وَهُوَ جَالِسٌ وَحْدَهُ يَكِي، وَيُخَاطِبُ نَفْسَهُ وَيَقُولُ: لَا وَاللَّهِ مَا صَدَقْتُكَ فِي مَا قَالْتَ! فَقُلْتُ: مَنْ تَعْنِي وَيَحْكُ؟ أَجُنُنْتَ؟ قَالَ: أَعْنِي الَّتِي أَقُولُ فِيهَا:

أَمَّا وَجَلَّالِ اللَّهِ لَوْ تَذَكَّرْتَنِي كَذَكْرِكَ، مَا كَفَكُفْتُ لِلْعَيْنِ مَذَمْعًا
فَقَالَتْ: بَلَى وَاللَّهِ ذِكْرًا لَوْ أَنَّهُ يُصَبُّ عَلَى صُمِّ الصَّفَا لَتَصَدَّعَا

أَسْلَى نَفْسِي عَنْهَا، وَأَخْبَرُهَا أَنَّهَا لَوْ ذَكَرْتَنِي كَمَا قَالَتْ لَكَانَتْ فِي مِثْلِ حَالِي".
فهذه الرواية دالة على أنه بقي في ديار قومه زمانًا، ذلك أن بني عُقَيْلٍ مِنْ بَنِي كَعْبٍ بْنِ رَبِيعَةَ، وَهُمْ جِيرَانُ الْقَشِيرِيِّينَ، وَمَا مَرَّ بِهِ هَذَا الْعُقَيْلِيُّ إِلَّا فِي دِيَارِ قَوْمِهِ قَبْلَ رَحِيلِهِ.

وَتَتَابِعُ الرِّوَايَاتُ فِي شَأْنِ هِجْرَةِ الصَّمَّةِ أَنَّهُ هَاجَرَ إِلَى بِلَادِ الشَّامِ، فِيمَا يُشِيرُ بَعْضُ شِعْرِهِ إِلَى أَنَّهُ سَلَكَ - فِي طَرِيقِ هِجْرَتِهِ مِنْ تَحْدِ إِلَى مَكَّةَ أَوَّلًا - سَبِيلًا، وَعَدَّدَ فِي إِحْدَى قِصَائِدِهِ الْأَمَاكِينَ الَّتِي مَرَّ بِهَا حَتَّى بَلَغَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ، ثُمَّ سَلَكَ إِحْدَى طَرِيقَيْنِ: إِمَّا إِلَى الشَّامِ مُبَاشَرَةً مُرُورًا بِأَدْرَعَاتٍ فِي الْأَرْدُنِّ، ثُمَّ بُصْرَى الشَّامِ حَتَّى وَصَلَ دِمَشْقَ، وَإِمَّا إِلَى الشَّامِ عَبْرَ الْعِرَاقِ كَمَا خَمَّنَ الشَّيْخُ الْجَاسِرُ^(٢).

(١) الأغاني، ٦ ص ٢٩٥-٢٩٥

(٢) العرب، ص ١٤٧، وانظر في رحيله إلى الشَّامِ سبط اللّٰلّٰي، ١ ص ٤٦٢، مراثي اليزيدي، ص ٣٠٧، في حين يذكر الأنطاكي أنه بعدما حدث من أبيه وعمّه "خرج عنهما إلى العراق"، ولعل هذا يرجع ظن الشَّيْخِ الْجَاسِرِ مِنْ أَنَّ الصَّمَّةَ تَرَحَّلَ إِلَى الشَّامِ عَبْرَ الطَّرِيقِ إِلَى الْعِرَاقِ أَوَّلًا. (تزيين الأسواق، ١ ص ٢٢٩-٢٣١)

وَتُجْمَعُ الرِّوَايَاتُ عَلَى أَنَّ الصَّمَّةَ قَدْ التَّحَقَّقَ بِجَيْشِ الْفُتُوحِ الْمَوْجِهَ إِلَى الشَّرْقِ؛ قَالَ ابْنُ ذَابٍ فِي مَا رَوَاهُ أَبُو الْفَرَجِ^(١): "أَخْبَرَنِي جَمَاعَةٌ مِنْ بَنِي قَشِيرٍ أَنَّ الصَّمَّةَ خَرَجَ فِي غَزَايٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى بَلَدِ الدَّيْلَمِ، فَمَاتَ بِطَبْرِسْتَانَ".

• وَفَاتُهُ:

ذَكَرَ الْأَصْفَهَانِيُّ خَبْرًا يُلْفُهُ الْعُمُوضُ حَوْلَ وَفَاةِ الصَّمَّةِ الْقَشِيرِيِّ، جَاءَ فِيهِ^(٢):
"أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ خَلْفٍ عَنْ وَكَيْعٍ وَعَمِّهِ؛ قَالَا: حَدَّثَنَا هَارُونُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ الرِّيَّاتِ؛ قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْجَعْفَرِيُّ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ إِسْحَاقَ الْجَعْفَرِيُّ عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ؛ قَالَ: حَدَّثَنِي رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ طَبْرِسْتَانَ كَبِيرُ السِّنِّ، قَالَ: بَيْنَا أَنَا يَوْمًا أَمْشِي فِي ضَيْعَةٍ لِي فِيهَا أُلُوَانٌ مِنَ الْفَاكِهَةِ وَالزَّعْفَرَانِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَشْجَارِ؛ إِذْ أَنَا بِإِنْسَانٍ فِي الْبُسْتَانِ مَطْرُوحٍ عَلَيْهِ أَهْدَامٌ خُلُقَانٌ، فَذَكَرْتُ مِنْهُ فَإِذَا هُوَ يَتَحَرَّكُ وَلَا يَتَكَلَّمُ، فَأَصْغَيْتُ إِلَيْهِ؛ فَإِذَا هُوَ يَقُولُ بِصَوْتٍ خَفِيِّ:

تَعَزَّ بِصَبْرٍ لَا وَجَدَكَ لَا تَرَى بِشَامِ الْجَمَى أُخْرَى اللَّيَالِي الْغَوَابِرِ
كَأَنَّ فُؤَادِي مِنْ تَذَكُّرِهِ الْجَمَى وَأَهْلَ الْجَمَى، يَهْفُو بِهِ رَيْشُ طَائِرِ

قَالَ: فَمَا زَالَ يُرَدِّدُ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ حَتَّى فَاضَتْ نَفْسُهُ، فَسَأَلْتُ عَنْهُ، فَقِيلَ لِي: هَذَا الصَّمَّةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْقَشِيرِيُّ".

فِيمَا رَوَى صَاحِبُ تَزْيِينِ الْأَسْوَاقِ خَبْرًا فِيهِ أَنَّ الصَّمَّةَ كَانَ قَدْ سَأَلَ فِي خَالِي الْأَيَّامِ عَرَّافًا بِالْعِرَاقِ عَنْ أَمْرِ زَوَاجِهِ مِنْ رِيَا، فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ لَا يَتَزَوَّجُ بِهَا أَبَدًا، فَضَعُفَ، وَطَالَ بِهِ ضَعْفُهُ، فَدَعَا لَهُ صَاحِبُهُ الْعِرَاقِيُّ (الْعَرَّافُ) "بَطِيبٍ حَاقِقٍ، فَلَمَّا تَأَمَّلَهُ قَالَ:

(١) الأغاني، ٦ ص ٢٩٢، وانظر خزانة الأدب، ٣ ص ٦٣

(٢) الأغاني، ٦ ص ٢٩٣

إنما يشكو العشق لا غيره، وأرى أن يلزم التزهة والفرح ينحو البسيتين؛ ليتشاغل عما هو فيه؛ فأخرجته صاحبه مع بعض الخدم إلى الثغور. فبينما هو يوماً على شاطئ نهر، وقد جد به الكرب، إذ سمع امرأة تُنادي ابنتها: (يا ربا)، فسقط مغشياً عليه. فاحتملوه إلى بستان هناك وأضحجوه. فلما أفاق أثشد:

تَعَزَّ بِصَبْرٍ لَا وَجْدَكَ لَا تَرَى سَنَامُ الْجَمَى إِحْدَى اللَّيَالِي الْغَوَابِرِ
كَأَنَّ لِسَانِي مِنْ تَذَكُّرِهِ الْجَمَى وَأَهْلُ الْجَمَى ، يَهْفُو بِهِ رَيْشُ طَائِرٍ

ولم يزل يُردِّدُها حتى قضى، ولما وصل خبره إلى ربا داخلها من الوجْد ما أمسكت معه عن الطعام والشراب، وجعلت تبكي حتى ماتت^(١).

ولسنا نريد التقليل من شأن هاتين الروايتين، لكن في كليهما ما يطعن فيهما، ويُقلل من صِدْقِيَّتِهِمَا؛ ففي أولاهما نرى الرجل الطبراني يعرف العربية، ويحفظ شعراً قاله الصَّمتة قبل زمن طويل، ولما تكن طبرستان قد فتحت بعد. وفي الأخرى يبدو نسيج القصة الشعبية؛ والظاهر أن نساها قد وجد نقصاً ونعرات زمنية وتاريخية في الروايات المتقدمة عن حياة الصَّمتة، فما كان منه إلا أن أتم هذه الفجوات الزمنية، ووصول الخبر إلى ربا بعد وفاة الصَّمتة (وهو بطبرستان)، واتباعها وموتها حزناً وكَمَداً، يُشعران بهذا النسيج العاطفي الشديدي في القصة المنسوجة!

وإذا كان الزركلي قد حدّد وفاة الصَّمتة بنحو عام خمسة وتسعين هجرية (٧١٤م)^(٢)، فإننا نظنه مال إلى تحديده بالنظر إلى تاريخ حروب المسلمين مع الدَّيلم، وفتح طبرستان، فقدّر سنة وفاته تقديرًا لا أكثر. فالمصادر التاريخية لا تذكر شيئاً عن وفاة الصَّمتة سوى ما تقدّم من وفاته بطبرستان، ولعلنا نرجح ما ذهب إليه الأستاذ

عفيف عبد الرحمن حين جعل وفاة الصَّمتة واقعة ما بين ٩٠ - ١٠٠ هجرية^(١)، وهو يستند في ذلك إلى أن تاريخ حروب المسلمين في بلاد الدَّيلم وفتح طبرستان إنما يشمل هذه المدة من الزمن، ويبدو أن ترجيح الزركلي سنة ٩٥ إنما كان على اختيار الوسط بينهما.

(١) تزيين الأسواق، ١ ص ٢٣٠-٢٣١

(٢) الأعلام، ٣ ص ٢٠٩

(١) معجم الشعراء، ص ١٣١

٥. هَلْ كَانَتِ الصَّمَّةُ أَعْوَرَ؟

لَمْ أَجِدْ ذِكْرًا لِعَوْرِ الصَّمَّةِ فِي مَا كَتَبَ الْجَاهِظُ عَنْ دَوِي الْعَاهَاتِ مِنَ الْعَرَبِ؛ فِي كِتَابِهِ (الرَّصَانُ وَالْعُرْجَانُ وَالْعُمَيَّانُ وَالْحَوْلَانُ)، وَلَا فِي مَا كَتَبَهُ الصَّفَّادِيُّ فِي كِتَابِهِ (الشُّعُورُ بِالْعَوْرِ). وَلَا شَكٌّ عِنْدَنَا فِي أَنَّ الصَّمَّةَ كَانَ ذَائِعَ الصَّيْتِ فِي شُعْرَاءِ الْعَرَبِ؛ وَمَا عَدَمُ ذِكْرِهِ فِي هَؤُلَاءِ الَّذِينَ تَرَجَّمْ لَهُمُ الْجَاهِظُ، أَوْ تَكَلَّمَ عَلَيْهِمُ الصَّفَّادِيُّ، إِلَّا تَرْجِيحٌ لِكَوْنِهِ صَحِيحَ الْعَيْنَيْنِ غَيْرَ أَعْوَرَ!

غَيْرَ أَنَّ شَارِحِي قَوْلِهِ فِي عَيْنَيْهِ:

بَكَتْ عَيْنِي الْيُمْنَى، فَلَمَّا زَجَرْتُهَا عَنْ الْجَهْلِ بَعْدَ الْجِلْمِ أَسْبَلْنَا مَعَا

أَشَارُوا إِلَى أَنَّهُ كَانَ أَعْوَرَ مُصَابًا بِعَيْنِهِ الْيُسْرَى. قَالَ الْمَرْزُوقِيُّ فِي شَرْحِ الْحَمَاسَةِ^(١): "إِنَّمَا قَالَ (بَكَتْ عَيْنِي الْيُمْنَى) لِأَنَّهُ كَانَ أَعْوَرَ مُتَعَمِّيًا بِعَيْنِهِ الْيُسْرَى، وَالْعَوْرَاءُ لَا تَدْمَعُ. فَيَقُولُ: بَكَتْ عَيْنِي الصَّحِيحَةُ فَاجْتَنَهَدْتُ فِي زَجَرِهَا عَنْ تَعَاطِي الْجَهْلِ بَعْدَ أَنْ كُنْتُ تَحَلَّمْتُ، وَتَرَكْتُ الصَّبْرَ، فَلَمَّا تَكَلَّفْتُ ذَاكَ لَهَا أَقْبَلْتُ الْعَوْرَاءُ تَدْمَعُ مَعَهَا وَتَبْكِي. وَنَبَّهَ بِهَذَا عَلَى عِصْيَانِ النَّفْسِ وَالْقَلْبِ، وَقِلَّةِ اتِّمَارِهِمَا لَهُ، وَأَنَّهُمَا إِذَا زَجَرَا وَرَدَّا عَنْ مَوَارِدِهِمَا، زَادَا عَلَى الْمُتَكَبِّرِ مِنْهُمَا".

وَالنَّاظِرُ فِي قَوْلِ الْمَرْزُوقِيِّ الْمُشَارَ إِلَى بِحُطِّ تَحْتَهُ، وَفِي قَوْلِ الصَّمَّةِ فِي الْبَيْتِ الَّذِي يَسْبِقُ هَذَا الْبَيْتَ:

وَلَيْسَتْ عَشِيَّاتُ الْحِمَى بِرَوَاجِعٍ عَلَيْكَ وَلَكِنْ خَلَّ عَيْنَيْكَ تَدْمَعَا

يَعْرِفُ أَنَّ تَعْلِيلَ الْمَرْزُوقِيِّ هَذَا غَيْرُ صَحِيحٍ، وَأَنَّهُ إِنَّمَا حَاوَلَ تَفْسِيرَ الْبَيْتِ (بَكَتْ عَيْنِي الْيُمْنَى ...)، فَهُوَ يُقَرُّ بِأَنَّ الْعَيْنَ الْأُخْرَى (الْعَوْرَاءُ) قَدْ دَمَعَتْ وَبَكَتْ بَعْدَ نَهْيِهِ الصَّحِيحَةَ وَزَجَرِهَا عَنْ الْبُكَاءِ، وَكَانَ قَدْ قَدَّمَ قَبْلُ أَنَّ الْعَوْرَاءَ لَا تَدْمَعُ أَصْلًا!

هَذَا فَضْلًا عَنْ أَنَّ رَوَاةَ الْقَصِيدَةِ اخْتَلَفُوا فِي رَوَايَةِ هَذَا الْبَيْتِ؛ فَمِنْهُمْ مَنْ رَوَاهُ بِرَوَايَةِ الْمَرْزُوقِيِّ؛ أَيْ عَلَى جِهَةٍ كَوْنِ عَيْنِهِ الْيُسْرَى هِيَ الْعَوْرَاءُ، وَمِنْهُمْ مَنْ رَوَاهُ هَكَذَا: (بَكَتْ عَيْنِي الْيُسْرَى)، وَبِهَذِهِ الرِّوَايَةِ تُكَوَّنُ عَيْنُهُ الْيُمْنَى هِيَ الْعَوْرَاءُ!

نَقَلَ الْيَزِيدِيُّ عَنْ ابْنِ الْكَسْكَرِيِّ بَعْدَ قَوْلِهِ: (بَكَتْ عَيْنِي الْيُسْرَى) قَوْلَهُ^(١): "كَانَ أَعْوَرَ. قَالَ: وَمِثْلُهُ:

بَكَتْ عَيْنِي لَمْ تَخُنْهَا ضَمَانَةٌ^(٢) وَأُخْرَى بِهَا رَيْبٌ مِنَ الْحَدَثَانِ

عَذْرُوكَ يَا عَيْنِي الصَّحِيحَةُ بِالْبُكَاءِ فَمَا أَنتِ يَا عَوْرَاءَ وَالْهَمْلَانِ"

وَمِمَّنْ رَوَى الْبَيْتَ هَذِهِ الرِّوَايَةَ النَّمِرِيُّ فِي مَعَانِي أَبْيَاتِ الْحَمَاسَةِ. قَالَ^(٣): "قَوْلُهُ (بَكَتْ عَيْنِي الْيُسْرَى) دُونَ الْيُمْنَى يُدُلُّ عَلَى أَنَّهُ كَانَ أَعْوَرَ"، ثُمَّ ذَكَرَ الْبَيْتَ الْآخَرَ^(٤):

(١) الْمَرْنَانِي، تَحْقِيقُ نَبِيلِ طَرِيفِي، ص ٣٠٨-٣٠٦

(٢) الضَّمَانَةُ: الْعَاهَةُ

(٣) أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيِّ النَّمِرِيُّ، كِتَابُ مَعَانِي أَبْيَاتِ الْحَمَاسَةِ، تَحْقِيقُ عَبْدِ اللَّهِ عَبْدِ الرَّحِيمِ عُسْبَلَانَ، (الْقَاهِرَةُ: مَطْبَعَةُ الْمَدِينِ، ١٩٨٣)، ص ١٦٣. وَانْظُرْ مِثْلَهُ الْعَوْتِيُّ الصَّحَارِيُّ، الْإِبَانَةُ فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، تَحْقِيقُ عَبْدِ

الْكَرِيمِ خَلِيفَةَ وَزَمَلَانَهُ، (عُمَان: وَزَارَةُ الثَّقَافَةِ، ١٩٩٩)، ٤ ص ٧٢٧

(٤) مِنَ الْجَدِيدِ ذِكْرُهُ أَنَّ هَذِهِ الْأَبْيَاتَ لِلصَّمَّةِ، وَقَدْ رَجَّحْنَا نَسَبَهَا إِلَيْهِ فِي الشُّعْرِ، وَقَدْ أَلَيْتَ الْبَيْتَ فِي دِيْوَانِ ابْنِ الدَّمِيَّةِ، ص ١٧١. وَنَسَبَهُ عَبْدُ الْعَزِيزِ الْمِصْنِيُّ فِي تَعْلِيقَاتِهِ عَلَى سِنِّطِ اللَّالِي (١ ص ٤٦٣) إِلَى الصَّمَّةِ الْقُشَيْرِيِّ، وَاسْتَشْهَدَ بِهِ عَلَى أَنَّهُ كَانَ أَعْوَرَ، كَمَا رَجَّحَ الْأُسْتَاذُ رَاتِبُ الثَّقَافِ حَقَّقَ دِيْوَانَ ابْنِ الدَّمِيَّةِ هَذِهِ النِّسْبَةَ أَيْضًا!

(١) أَبُو عَلِيٍّ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ الْحُسَيْنِ الْمَرْزُوقِيُّ، شَرْحُ دِيْوَانِ الْحَمَاسَةِ، نَشَرَهُ أَحْمَدُ أَمِينٌ وَعَبْدُ السَّلَامِ هَارُونَ، (بَيْرُوت: دَارُ الْجِيلِ، د.ت)، ٣ ص ١٢١٨. وَمِنَ الْجَدِيدِ ذِكْرُهُ أَنَّ الْبَيْتَ يَرُدُّ فِي بَعْضِ طَبْعَاتِ الْحَمَاسَةِ (بَكَتْ عَيْنِي الْيُسْرَى)!

عَذْرُكَ يَا عَيْنِي الصَّحِيحَةَ بِالْبُكَاءِ فَمَا أَوْلَعَ الْعَوْرَاءَ بِالْهَمْلَانِ

وَتَابَعَ النَّسْرِيُّ شَارِحًا^(١): "كَأَنَّهُ بَكَى بِالصَّحِيحَةِ، ثُمَّ سَاعَدَتْهَا السَّقِيمَةُ. وَبَلَغَ مِنْ حُزْنٍ مُتَمِّمٍ بِنِ تُوَيْرَةَ عَلَى أَخِيهِ مَالِكٍ أَنْ بَكَاهُ بِعَيْنِهِ الْعَوْرَاءِ. وَأَمَّا الْبُكَاءُ بِإِحْدَى الْعَيْنَيْنِ فَمُمْتَنِعٌ عَلَى الْإِنْسِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِهِمْ وَبِغَيْرِهِمْ مِنَ الْخَلْقِ ... وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ إِجْدَى عَيْنِيهِ دَمَعَتْ، فَسَمِيَ تِلْكَ الدَّمْعَةُ - وَهِيَ قَطْرَةٌ وَاحِدَةٌ - بُكَاءً، ثُمَّ دَمَعَتْ الْأُخْرَى".

وللباحث في هذه الأبيات رأي آخر قائم على التفريق بين البكاء في الشعر (فنيًا) والبكاء الحقيقي في الواقع. فبكاء مُتَمِّمٍ بِنِ تُوَيْرَةَ عَلَى أَخِيهِ مَالِكٍ بِعَيْنِهِ الْعَوْرَاءِ إِنَّمَا كَانَ فِي الشَّعْرِ؛ أَيْ بُكَاءٌ فَنِّيًّا لَا وَاقِعِيًّا، وَهُوَ الْبُكَاءُ الَّذِي ذَكَرَهُ مُتَمِّمٌ فِي شِعْرِهِ مُبَالَغَةً مِنْهُ فِي وَصْفِ حُزْنِهِ عَلَى أَخِيهِ. وَالرَّاجِحُ عِنْدِي أَنَّ الصَّمَّةَ لَمْ يُوَلَّدْ أَعْوَرًا، وَلَمْ يَكُنْ أَعْوَرًا حِينَ قَالَ قَصِيدَتَهُ هَذِهِ عَلَى الْأَقْل، وَقَدْ قَالَهَا بَعْدَ رَحِيلِهِ عَنْ دِيَارِ قَوْمِهِ، وَأَنَّهُ إِنَّمَا قَالَ فِي بَيْتِهِ: (بَكَتْ عَيْنِي ...) الْيَمْنَى أَوِ الْبُسْرَى؛ مُبَالَغَةً مِنْهُ فِي وَصْفِ حُزْنِهِ، وَإِمْعَانًا مِنْهُ فِي حِكَايَةِ مَوْجِدَتِهِ الَّتِي وَجَدَهَا بِرَبٍّ بَعْدَ أَنْ فَارَقَ دِيَارَهُ؛ فَضْلًا عَنْ أَنَّ الرُّوَايَاتِ الَّتِي تَحَدَّثَتْ عَنْ عَوْرِهِ لَمْ تَقْطَعْ بِذَلِكَ.

ولعلَّ في قَوْلِهِ قَبْلَ هَذَا الْبَيْتِ :

وَلَمَّا رَأَيْتُ النَّيِّرَ قَدْ حَالَ دُونَهُ وَجَالَتْ بَنَاتُ الشُّوقِ يَحْنُنُ نَزْعًا

تَلَفْتُ نَحْوَ الْحَيِّ حَتَّى وَجَدْتَنِي وَجِغْتُ مِنَ الْإِصْغَاءِ لَيْتًا وَأَخْذَعًا

وَأَذْكُرُ أَيَّامَ الْحِمَى ثُمَّ أَتَشِي عَلَى كِبْدِي مِنْ خَشْيَةٍ أَنْ تَصَدَّعًا

مَا يَدُلُّ عَلَى تِلْكَ الرَّغْبَةِ فِي الْمُبَالَغَةِ؛ وَلَعَلَّ فِيهِ أَيْضًا مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْعَيْنَ الَّتِي بَكَتْ هِيَ تِلْكَ الْقَرِيبَةُ فِي النَّظَرِ مِنْ جِهَةِ الْحِمَى؛ لِأَنَّهُ تَلَفْتُ، وَتَلَفْتُ لَا يَكُونُ بِالنَّظَرِ

(١) معاني أبيات الحماسة، ص ١٦٤

الْمُبَاشِيرِ بِكِلَا الْعَيْنَيْنِ؛ وَإِنَّمَا بِاسْتِدَارَةِ الْعُنُقِ بِالرَّأْسِ نَحْوَ الْجِهَةِ الْمَقْصُودَةِ، وَالتَّظَرُّ بِطَرَفِ الْعَيْنِ؛ وَكَأَنَّهُ كَانَ يَحْشَى تِلْكَ اللَّحْظَةَ فِي الْوَاقِعِ، فَكَانَ أَنْ تَلَفْتُ تَلَفْتُ بِطَرَفِ عَيْنِي؛ لَا أَرْوَرًا أَوْ قَلِي؛ بَلْ خَشْيَةً وَتَرَفُّقًا بِالنَّفْسِ.

٥٧٧٨٦٤

وَلَمَّا أَنْ بَكَتْ عَيْنُهُ تِلْكَ الْقَرِيبَةَ مِنْ جِهَةِ الْحِمَى فِي التَّلَفْتُ، وَحَاوَلَ أَنْ يُدَكِّرَ نَفْسَهُ بِمَا حَدَثَ، وَأَنَّهُ هُوَ الَّذِي اخْتَارَ الْبُعْدَ وَالنَّأْيَ فَكَانَ كَمَا قَالَ الْمَجْنُونُ: (أَتَبْكِي عَلَى لَيْلَى وَأَنْتَ هَجَرْتَهَا ؟)، أَسْبَلَتْ عَيْنَاهُ مَعًا فِي الْبُكَاءِ. وَالَّذِي يَقْرَأُ الْعَيْنِيَّةَ يَجِدُ الصَّمَّةَ يُحَاوِلُ التَّجَلُّدَ مِنْهُ بِدُئْبِهَا، لَا سِيَّيَا قَوْلُهُ :

وَمَا حَسَنُ أَنْ تَأْتِيَ الْأَمْرَ طَائِعًا وَتَجْزَعَ أَنْ دَاعِيَ الصَّبَابَةِ أَسْمَعًا

وهذا لا ينبغي أن يكون الصَّمَّةُ قَدْ أَصِيبَ فِي إِحْدَى عَيْنَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ فِي بَعْضِ الْمَعَارِكِ أَوْ رِحَالِ الصَّبْدِ، كَمَا لَا يَحُولُ دُونَ الظَّنِّ بِأَنَّ مَرَضًا مَا قَدْ أَلَمَ بِإِحْدَى عَيْنَيْهِ؛ فَالْمَتَّةُ مُدَّةٌ مِنَ الزَّمَنِ فَكَانَتْ كَالْعَوْرَاءِ؛ أَوْ وَصَفَهَا هُوَ بِالْعَوْرَاءِ تَجَوُّزًا.

وَقَدْ يَكُونُ فِي ذِكْرِ بَعْضِ صُورِ الْبُكَاءِ عِنْدَ غَزَلِي الْبَادِيَةِ - مِنْ أَمْثَالِ الصَّمَّةِ - مَا يُعِينُ عَلَى تَبْيِينِ جَوَانِبِ أُخْرَى فِي هَذِهِ الْقَضِيَّةِ. قَالَ الْحُسَيْنُ بْنُ مُطِيرٍ الْأَسَدِيِّ^(١):

وَكُنْتُ أَذُودُ الْعَيْنَ أَنْ تَرِدَ الْبُكَاءِ فَقَدْ وَرَدَتْ مَا كُنْتُ عَنْهُ أَذُودُهَا

وقال أبو حية النُمَيْرِيُّ^(٢):

نَظَرْتُ كَأَنِّي مِنْ وَرَاءِ رُجَاةٍ إِلَى الدَّارِ مِنْ فَرْطِ الصَّبَابَةِ أَنْظَرُ

فَعَيْنَايَ طَوْرًا تَغْرِقَانِ مِنَ الْبُكَاءِ فَأَعَشَيْ ، وَطَوْرًا تَحْشِرَانِ فَأَبْصِرُ

(١) حماسة أبي تمام، ص ٢٦٦

(٢) نفسه، ص ٢٦٩

وَقَالَ عَمْرُو بْنُ صُبَيْعَةَ الرَّقَاشِيُّ^(١):

تَضِيقُ جُفُونُ الْعَيْنِ عَنْ عِبْرَاتِهَا
وَعُصَّةُ صَدْرٍ أَظْهَرَتْهَا فَرَقَهَتْ
فَتَسْفَحُهَا بَعْدَ التَّجَلُّدِ وَالصَّبْرِ
حَزَازَةٌ حَرٌّ فِي الْجَوَانِحِ وَالصُّدْرِ

وَقَالَ حَمِيلُ بُيَيْتَةَ^(٢):

وَمِمَّا شَجَانِي أَنَّهَا يَوْمَ أَعْرَضَتْ
فَلَمَّا أَعَادَتْ مِنْ بَعِيدٍ بِنَظَرَةٍ
تَوَلَّتْ وَمَاءُ الْعَيْنِ فِي الْجَفْنِ حَائِرٌ
إِلَيَّ الْتِفَاتًا أَسْلَمَتْهُ الْمَحَاجِرُ

٦. ديوان الصِّمَّةِ القُشَيْرِيِّ

ذَكَرَ ابْنُ النَّدِيمِ أَنَّ أَبَا سَعِيدٍ السُّكَّرِيَّ قَدْ عَمِلَ شِعْرَ الصِّمَّةِ الْقُشَيْرِيِّ، كَمَا عَمِلَ لَهُ دِيوَانًا الْمُفَضَّلُ بْنُ سَلَمَةَ الصَّبِي^(١). وَقَالَ فِي فَصْلِ (أَسْمَاءِ الْعُشَّاقِ الَّذِينَ عَشَقُوا فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ، وَأُلْفَ فِي أَخْبَارِهِمْ كُتِبَ)^(٢): "هُؤْلَاءِ الَّذِينَ نَذَرَهُمْ أُلْفَ فِي أَخْبَارِهِمْ جَمَاعَةً مِثْلَ عَيْسَى بْنِ دَابٍ، وَالشَّرْقِيِّ بْنِ الْقَطَامِيِّ، وَهَيْشَامِ الْكَلْبِيِّ، وَالْهَيْثَمِ بْنِ عَلَدِيٍّ، وَغَيْرِهِمْ"، ثُمَّ ذَكَرَ فِي كُتُبِ هُؤْلَاءِ الْعُشَّاقِ "كِتَابَ الصِّمَّةِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ وَرَبَّيَا".

وَيُمْكِنُ لَنَا أَنْ نَسْتَتِجَّ أَنَّ الَّذِي أُلْفَ هَذَا الْكِتَابَ الْمَذْكُورَ؛ (كِتَابَ الصِّمَّةِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ وَرَبَّيَا)، هُوَ عَيْسَى بْنُ دَابٍ؛ ذَلِكَ بِأَنَّ مُجْمَلَ الرُّوَايَاتِ الَّتِي يَسُوقُهَا أَبُو الْفَرَجِ فِي أَغَانِيهِ عَنْ أَخْبَارِ الصِّمَّةِ إِنَّمَا يَرُويهَا عَنْ ابْنِ دَابٍ هَذَا.

ويبدو أَنَّ غَيْرَ هُؤْلَاءِ قَدْ صَنَعَ دِيوَانًا لِلصِّمَّةِ أَيْضًا؛ فَمِمَّا يَذْكُرُهُ يَاقُوتُ فِي تَرْجَمَةِ مُحَمَّدِ بْنِ حَبِيبٍ، وَهُوَ عَلَى مَا وَصَفَهُ الْمَرْزُبَانِيُّ "مِنْ عُلَمَاءِ بَغْدَادَ بِاللُّغَةِ وَالشُّعْرِ وَالْأَخْبَارِ وَالْأَنْسَابِ الثَّقَاتِ"، قَوْلُهُ^(٣): "وَمِنْ صُنْعِهِ فِي أَشْعَارِ الْعَرَبِ: كِتَابُ دِيوَانِ

(١) محمد بن أبي يعقوب المعروف بالوَرَّاقِ، الفهرست، دراسة بيوجرافية ببلوغرافية بليومتريّة، وتحقيق ونشر شعبان خليفة ووليد محمد الغورة، (القاهرة: العربي للنشر، ١٩٩١)، ١ ص ٢٩٣

(٢) الفهرست، تحقيق رضا تجدد، (طهران: ١٩٧١)، ص ٣٦٥

(٣) ياقوت الحموي الرومي، مُعْجَمُ الْأَدْبَاءِ (المسمى إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب)، تحقيق الأستاذ إحسان عباس، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٣)، ٦ ص ٢٤٨٣

(١) نفسه، ص ٢٧٧

(٢) نفسه، ص ٢٣٤

زُفَرَ بْنِ الْحَارِثِ، كِتَابُ شِعْرِ الشَّمَاخِ، كِتَابُ شِعْرِ الْأَقْشِيرِ، كِتَابُ شِعْرِ الصَّمَّةِ، كِتَابُ شِعْرِ لَيْدٍ.

وما ظَهَرَ لَنَا حَتَّى الْآنَ أَنَّ هَذِهِ الْكُتُبَ وَالذَّوَابِينَ الَّتِي ضَمَّتْ شِعْرَ الصَّمَّةِ وَأَخْبَارُهُ لَمْ تُصَلِّ إِلَيْنَا، وَأَنَّهُ ضَاعَتْ فِي مَا ضَاعَ مِنْ مَصَادِرِ التَّرَاثِ الْأَدَبِيِّ الْعَرَبِيِّ. غَيْرَ أَنَّ كُتُبَ الْأَدَبِ وَالتَّرَاجِمِ وَالْمُخْتَارَاتِ قَدْ حَفِظَتْ لَنَا شَيْئًا مِنْ شِعْرِ الصَّمَّةِ.

وَقَدْ سَبَقَ لِلشَّيْخِ الْعَلَامَةِ حَمَدِ الْجَاسِرِ أَنْ حَاوَلَ جَمْعَ شِعْرِ الصَّمَّةِ الْقُشَيْرِيِّ، وَعَمِلَ عَلَى نَشْرِ مَا تَمَكَّنَ مِنْ جَمْعِهِ فِي مَجْلَةِ الْعَرَبِ الَّتِي كَانَ يُصَدِّرُهَا، فَجَمَعَ مِنْ شِعْرِهِ مَاتَتَيْنِ وَوَاحِدًا وَأَرْبَعِينَ بَيْتًا اعْتَمَدَ فِي أَكْثَرِهَا عَلَى رِوَايَةِ الْهَجَرِيِّ فِي (التَّعْلِيقَاتِ وَالتَّوَادِرِ) الَّذِي حَقَّقَهُ بَعْدُ. كَمَا دَرَسَ الشَّيْخُ الْجَاسِرُ طَرَفًا مِنْ أَخْبَارِ قَبِيلَةِ قُشَيْرٍ، وَبَيْتَيْهَا وَمَوْطِنَهَا، وَشَيْئًا مِنْ أَخْبَارِ الصَّمَّةِ، فِي الْبَحْثِ الْمَوْسُومِ (الصَّمَّةُ الْقُشَيْرِيُّ الشَّاعِرُ: طَرَفٌ مِنْ أَخْبَارِ قَبِيلَتِهِ وَشِعْرِهِ)^(١). وَهُوَ بَحْثٌ جَلِيلٌ بَدَّلَ فِيهِ الشَّيْخُ الْجَاسِرُ جُهْدًا عَظِيمًا، لَا سِيَّمَا فِي تَوْثِيقِ الْمَوَاضِعِ الَّتِي وَرَدَتْ فِي شِعْرِ الصَّمَّةِ، وَفِي كَوْنِ مُحَاوَلَتِهِ هِيَ الْأُولَى لِجَمْعِ شِعْرِ هَذَا الشَّاعِرِ وَنَشْرِهِ عَلَى الْمَلَأِ.

وَالْمُلاحَظَةُ الْمُهِمَّةُ عَلَى مَا فَعَلَهُ الشَّيْخُ هِيَ أَنَّهُ اعْتَمَدَ كَثِيرًا عَلَى أَسْمَاءِ الْمَوَاضِعِ الْوَارِدَةِ فِي شِعْرِ الصَّمَّةِ الَّذِي جَمَعَهُ لِيُثَبِّتَ نَسَبَهُ لِلصَّمَّةِ، أَوْ لِيُنْفِي تِلْكَ النِّسْبَةَ مِنْ أَصْلِهَا؛ وَهَذَا الصَّنِيعُ مِنْهُ يَجْعَلُنَا نَظُنُّ أَنَّهُ قَضَى عَلَى الشَّاعِرِ بِأَنْ لَا يَتَرَحَّلَ عَنْ دِيَارِهِ بَيْنَ الْحَيْنِ وَالْآخِرِ طَلَبًا لِلصَّيْدِ أَوْ لِلتَّجَعَّةِ، كَمَا أَثْبَتْنَا غَيْرَ مَرَّةٍ أَنَّ الشَّيْخَ الْجَاسِرَ قَدْ جَانَبَ الصَّوَابَ فِي بَعْضِ أَسْمَاءِ الْمَوَاضِعِ حِينَ نَفَسَى نَسْبَةَ الشَّاعِرِ الَّذِي وَرَدَتْ فِيهِ لِلصَّمَّةِ. وَكُلُّ هَذَا مُثَبَّتٌ فِي مَكَانِهِ مِنْ صَنِيعِنَا هَذَا.

ثُمَّ وَقَفْتُ عَلَى مَا صَنَعَهُ عَبْدُ الْعَزِيزِ الْفَيْصَلُ فِي كِتَابِهِ (دِيوان الصَّمَّةِ بن عبد الله الْقُشَيْرِيِّ)^(١)، فَوَجَدْتُهُ لَمْ يَزِدْ عَلَى مَا صَنَعَهُ الشَّيْخُ الْجَاسِرُ إِلَّا تِسْعَةً وَعِشْرِينَ بَيْتًا مِنَ الشَّعْرِ، وَقَدْ جَاءَ صَنِيعُهُ عَلَى وَجْهِ غَيْرِ سَائِعٍ؛ فَهُوَ لَمْ يَزِدْ عَلَى تَخْرِيجَاتِ الشَّيْخِ الْجَاسِرِ إِلَّا فِي مَوَاقِعَ مَعْدُودَةٍ؛ مِثْلَ تَخْرِيجَاتِهِ لِعَيْنِيَّةِ الصَّمَّةِ، وَتَائِيَّتِهِ، لَكِنَّهُ بِالْمُقَابِلِ اهْتَدَمَ مَا كَانَ صَنَعَهُ الْجَاسِرُ فِي أَسْمَاءِ الْمَوَاضِعِ الْوَارِدَةِ فِي شِعْرِ الصَّمَّةِ، وَحَذَفَ مَا أوردَهُ فِي الْحَدِيثِ عَنْ قَبِيلَةِ الشَّاعِرِ، وَلَمْ يُدَقِّقْ فِي أَخْبَارِ الصَّمَّةِ وَرَبَّيَا، فَروى بَعْضَ الرِّوَايَاتِ عَلَى مَا فِيهَا مِنْ تَضَارُبٍ وَتَنَاقُضٍ أحيانًا، ثُمَّ مَلَأَ الدِّيوانَ (٩) بِاخْتِلَافِ الرِّوَايَاتِ.

وَإِذَا كَانَ مِنْ فَضْلِ لِلْفَيْصَلِ فِي مَا صَنَعَ؛ فَإِنَّ فَضْلَهُ لَا يَتَجَاوَزُ إِخْرَاجَهُ شِعْرَ الصَّمَّةِ فِي (دِيوانِ)، وَلَسْتُ أَجِدُ مَنْدُوحَةً عَنْ تَرْديدِ مَا قَالَهُ الشَّيْخُ الْجَاسِرُ - رَجَمَهُ اللَّهُ - فِي تَعْلِيقِهِ عَلَى مَا صَنَعَ الْفَيْصَلُ؛ إِذْ قَالَ بَعْدَ تَعْرِيفِهِ بِالصَّمَّةِ^(٢): "وَقَدْ حَاوَلْتُ جَمْعَ شِعْرِهِ فِي (الْعَرَبِ) فِي سَنَتِهَا الْأُولَى، فَأَغَارَ عَلَى مَا جَمَعْتُ أَحَدُهُمْ فَأَدْعَاهُ، وَنَشَرَهُ".

وَقَدْ يَحْدُرُ بِنَا فِي هَذَا الْمَقَامِ أَنْ نَذْكُرَ بَعْضَ مَنْ رَوَى شِعْرَ الصَّمَّةِ الْقُشَيْرِيِّ سِوَى مَنْ صَنَعَ لَهُ دِيوانًا مِنَ الْقَدَمَاءِ، وَفِي هَؤُلَاءِ:

- أَبُو عَلِيٍّ الْهَجَرِيُّ مِنْ أَهْلِ الْقُرْنَيْنِ الثَّالِثِ وَالرَّابِعِ، وَقَدْ رَوَى لِلصَّمَّةِ خَمْسَةَ وَثَلَاثِينَ بَيْتًا عَنْ بَعْضِ الْقُشَيْرِيِّينَ مِثْلَ مَضَاءِ بْنِ مَضْرَجِيٍّ بْنِ الثُّوَيْبِ، وَالْعَدَاءِ

(١) صَدَرَ هَذَا الْكِتَابُ عَامَ ١٩٨١ عَنْ التَّادِي الْأَدَبِيِّ بِالرِّيَاضِ فِي الْمَمْلَكَةِ الْعَرَبِيَّةِ السُّعُودِيَّةِ؛ رَقْمُ (٣٢) ضِمْنَ سِلْسِلَةِ كِتَابِ الشَّعْرِ

(٢) أَبُو عَلِيٍّ هَارُونُ بْنُ زَكَرِيَّا الْهَجَرِيُّ، التَّعْلِيقَاتِ وَالتَّوَادِرِ - دَرَسَةُ وَمُخْتَارَاتِ، تَحْقِيقُ حَمَدِ الْجَاسِرِ، (الرِّيَاضُ: الْمُؤَلَّفُ، ١٩٩٢)، ق ٢ ص ٦٧٩، هَامِش رَقْم (٣)، وَقَدْ مَرَّ بِنَا قَبْلُ أَنَّ نَاصِرَ بْنَ سَعْدِ الرَّشِيدِ قَدْ فَعَلَ مِثْلَ هَذَا بِصَنِيعِ الشَّيْخِ الْجَاسِرِ حِينَ جَمَعَ شِعْرَ يَزِيدِ بْنِ الطُّغْرَيْيَّةِ، ثُمَّ نَشَرَهُ فِي دِيوانِ أَيْضًا!

(١) انْظُرِ الْعَرَبِ، تَشْرِينِ الْأَوَّلِ، ١٩٦٧، ١ ص ١٢٧-١٢٥

ابن مضاء، كما روى بعضه عن أبي نافذ مُشَيِّعِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ الْمُقَدِّمِ
الْخَفَاجِيِّ .

• ابنُ الْكَسْكَرِيِّ عَلَى مَا زَوَاهُ الْيَزِيدِيُّ فِي مَرَاتِيهِ وَأَمَالِيهِ، وَالْيَزِيدِيُّ مِنْ أَهْلِ
الْقُرْنَيْنِ الثَّالِثِ وَالرَّابِعِ أَيْضًا .

• ابنُ الْأَعْرَابِيِّ عَلَى مَا ذَكَرَ أَبُو الْفَرَجِ الْأَصْفَهَانِيُّ؛ كَانَ يَسْتَحْسِنُ لَهُ أَيْثَابًا مِنْ عَيْنَيْهِ،
وكَذَلِكَ فِي رِوَايَةِ أَبِي زَيْدٍ عَنِ ابْنِ الْأَعْرَابِيِّ فِي مَا رَوَاهُ صَاحِبُ خِزَانَةِ الْأَدَبِ .

• أَبُو حَاتِمِ السَّجِسْتَانِيِّ الَّذِي كَانَ يَسْتَجِيدُ بَعْضَ شِعْرِهِ عَلَى مَا رَوَى أَبُو
الْفَرَجِ فِي أَغَانِيهِ، وَقَدْ رَوَى عَنْ أَبِي حَاتِمٍ كُلَّ مَنْ ابْنِ دُرَيْدٍ، وَالْحَسَنِ بْنِ
عَلِيٍّ عَنِ ابْنِ مَهْرُوَيْهِ .

• الْأَصْمَعِيُّ، وَهَذَا مَا أَوْرَدَهُ أَبُو عَلِيٍّ الْقَالِي فِي أَمَالِيهِ؛ إِذْ قَالَ إِنَّ ابْنَ دُرَيْدٍ
أَنْشَدَهُ عَنْ أَبِي حَاتِمٍ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ أَيْثَابًا مِنَ الْعَيْنَةِ .

• فِي أَمَالِي الْقَالِي أَسْنَدَ ابْنُ دُرَيْدٍ رِوَايَةَ بَعْضِ شِعْرِ الصَّمَةِ إِلَى الرَّيَاشِيِّ، وَإِلَى
نَفْطَوَيْهِ، وَإِلَى أَبِي الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ بْنِ يَحْيَى تَعَلَّبَ النَّحْوِيِّ .

• أَبُو عَلِيٍّ الْقَالِي فِي أَمَالِيهِ، وَالْبَكْرِيُّ فِي السَّمَطِ تَعْلِيْقًا عَلَى رِوَايَاتِ الْقَالِي
وَشَرْحًا لَهَا .

• أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْمُفَجَّعُ فِي كِتَابِهِ (التَّرْجُمَان) عَلَى مَا ذَكَرَ الْمَرْزُوقِيُّ فِي شَرْحِ
الْحِمَاسَةِ .

• أَبُو زَيْدٍ الْأَنْصَارِيُّ فِي مَا رَوَاهُ صَاحِبُ الْخِزَانَةِ فِي تَنَائِيَا كَلَامِهِ عَلَى الصَّمَةِ،
وَإِبْنُ هِشَامٍ الْأَنْصَارِيُّ فِي الْخِزَانَةِ أَيْضًا .

وَيُمْكِنُ أَنْ نُعَدَّ سِوَى هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ كَثِيرِينَ غَيْرَهُمْ، وَفِي مَا ذَكَرْنَاهُ مِنْهُمْ كِفَايَةً
لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّ شِعْرَ الصَّمَةِ قَدْ لَقِيَ مِنْ عَنَائَةِ الْمُتَقَدِّمِينَ قِسْطًا وَافِرًا. لَكِنَّ لَنَا مَا يَصْرِفُنَا
عَنِ الْإِفَاضَةِ فِي تَعْدَادِ رِوَاةِ شِعْرِهِ؛ وَهَذَا الصَّارِفُ تَحْدِيدًا هُوَ نِسْبَةُ الْعَيْنَةِ لِلصَّمَةِ؛ حَيْثُ
تَنَازَعَهَا دِيوَانُ يَزِيدَ بْنِ الطُّثْرِيَّةِ، وَقَدْ أُثْبِتَ فِيهِ كَثِيرٌ مِنْهَا، وَدِيوَانُ الصَّمَةِ.

أَمَّا نِسْبَتُهَا لِيَزِيدَ بْنِ الطُّثْرِيَّةِ فَخَلَطَ لَا شَكَّ فِيهِ؛ فَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ خَلِّكَانَ أَنَّ أَبَا
الْحَسَنِ عَلِيَّ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الطُّوسِيَّ اعْتَنَى بِشِعْرِ ابْنِ الطُّثْرِيَّةِ وَجَمَعَ لَهُ دِيوَانَ شِعْرٍ^(١)،
وَقَالَ أَيْضًا^(٢): "وَكَانَ أَبُو الْفَرَجِ الْأَصْبَهَانِيُّ صَاحِبَ كِتَابِ الْأَغَانِي قَدْ جَمَعَ شِعْرَ
يَزِيدَ بْنِ الطُّثْرِيَّةِ أَيْضًا فِي دِيوَانٍ، وَأَوْرَدَ لَهُ قَوْلَهُ..." .

لَكِنَّ أَبَا الْفَرَجِ لَا يَذْكُرُ شَيْئًا عَنْ نِسْبَةِ الْعَيْنَةِ إِلَى ابْنِ الطُّثْرِيَّةِ هَذَا، بَلْ يَذْكُرُ فِي
مَنْ شَكَّ فِي نِسْبَتِهَا إِلَيْهِ مِنَ الشُّعْرَاءِ: قَيْسَ بْنَ ذَرِيحٍ، وَالْمَجْنُونُ، وَالصَّمَةِ^(٣)، ثُمَّ
يُرْجِّحُ نِسْبَةَ أَغْلَبِهَا إِلَى الصَّمَةِ، سِوَى بَيْتَيْنِ نَسَبَهُمَا إِلَى ابْنِ ذَرِيحٍ، وَلَوْ كَانَ شَكٌّ فِي
نِسْبَتِهَا إِلَى ابْنِ الطُّثْرِيَّةِ لَكَانَ أَوْرَدَ خَيْرًا عَنْ ذَلِكَ، وَهُوَ مَنْ صَنَعَ لَهُ دِيوَانًا .

وَإِذَا تَابَعْنَا مَعَ ابْنِ خَلِّكَانَ فَقَدْ نَصَلُ إِلَى نَتِيجَةِ تَقْطِيعِ الشَّكِّ، وَتَرْجِّحِ نِسْبَةِ الْعَيْنَةِ
لِأَحَدِ هَؤُلَاءِ. قَالَ الشَّمْسُ: "وَأَوْرَدَ لَهُ^(٤) الْمَرْزُبَانِيُّ فِي (الْمُعْجَم) أَيْضًا (حَنَنْتُ إِلَى رَبِّي
...) فِي ثَمَانِيَةِ أَيْبَاتٍ"، وَتَابَعَ^٥: "قُلْتُ: وَهِيَ أَيْبَاتٌ فِي غَايَةِ الرِّقَّةِ وَاللِّطَافَةِ، وَذَكَرَهَا

(١) شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق الأستاذ إحسان عباس،
(بيروت: دار الثقافة، ١٩٥٥)، ٦ ص ٣٦٨

(٢) نفسه، ٦ ص ٣٦٩

(٣) انظر الأغاني، ٦ ص ٢٩٤

(٤) أي لابن الطُّثْرِيَّةِ

(٥) وفيات الأعيان، ٦ ص ٣٧٠. وقال الشَّمْسُ أَيْضًا: "قُلْتُ: فَقَدْ وَقَعَ الْاِخْتِلَافُ فِي أَنَّ هَذِهِ الْأَيْبَاتِ الْعَيْنِيَّةُ هَلْ
هِيَ: لِيَزِيدَ بْنِ الطُّثْرِيَّةِ، أَمْ لِلصَّمَةِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْقَشِيرِيِّ، أَمْ لَقَيْسِ بْنِ ذَرِيحٍ، أَمْ لِلْمَجْنُونِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ" (نفسه، ٦
ص ٣٧٢)

أبو تَمَامٍ في كِتَابِ (الْحَمَاسَةِ) في أَوَّلِ بَابِ التَّسْبِيحِ، وَقَالَ: إِنَّهَا لِلصَّمَّةِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْقُشَيْرِيِّ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالصَّوَابِ فِي ذَلِكَ.

ثُمَّ قَالَ ابْنُ خُلَّكَانَ^(١): "وَقَالَ أَبُو عَمَرَ يُوسُفُ بْنُ عَبْدِ الرَّبِّ ... فِي كِتَابِ (بَهْجَةِ الْمَجَالِسِ) مَا مِثَالُهُ:

لِلصَّمَّةِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْقُشَيْرِيِّ:

أَمَا وَجَلَّالِ اللَّهِ لَوْ تَذَكَّرْتَنِي ...

فَقَالَتْ بَلَى وَاللَّهِ ذِكْرًا لَوْ أَنَّهُ ...

ثُمَّ قَالَ بَعْدَ ذَلِكَ: وَأَكْثَرُهُمْ يَنْسُبُونَ إِلَيْهِ فِي هَذَا الشَّعْرِ:

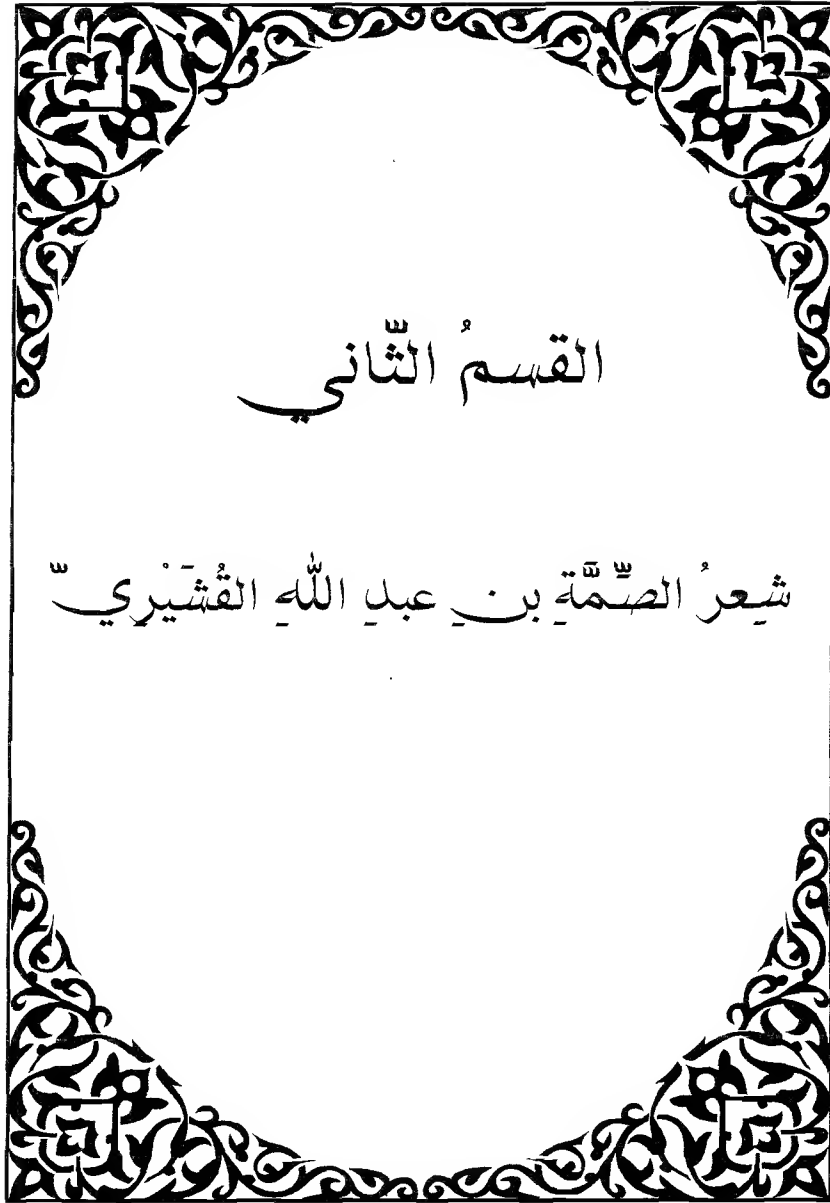
حَنَنْتُ إِلَى رَيَّا وَنَفْسُكَ بَاعَدَتْ ...

وَذَكَرَ الْأَبْيَاتَ بِكَمَالِهَا كَمَا ذَكَرَهَا فِي الْحَمَاسَةِ، وَبَعْدَ الْفَرَاغِ مِنْهَا قَالَ: وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْسُبُهَا إِلَى قَيْسِ بْنِ ذَرِيحٍ، وَإِلَى الْمَجْنُونِ أَيْضًا [لَا ذِكْرَ لِيَزِيدَ بْنِ الطُّثَرِيَّةِ !]، وَالْأَكْثَرُ أَنَّهَا لِلصَّمَّةِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَلَا بُدَّ هُنَا مِنَ الْقَوْلِ إِنَّ الْقِدَمَاءَ تَذَوَّقُوا عُذُوبَةَ شِعْرِ الصَّمَّةِ، حَتَّى قَالَ فِيهِ إِبْرَاهِيمُ ابْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ سُلَيْمَانَ الْأَزْدِيُّ^(٢): "لَوْ حَلَفَ حَالِفٌ أَنَّ أَحْسَنَ أَبْيَاتٍ قِيلَتْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ قَوْلُ الصَّمَّةِ الْقُشَيْرِيِّ: (حَنَنْتُ إِلَى رَيَّا ...) مَا حَنَنْتُ".

(١) نفسه، ٦ ص ٣٧٠-٣٧١

(٢) الأغاني، ٦ ص ٢٩٤



قافية الهمزة

(١)

{ الطويل }

- ١ لَعَمْرُكَ مَا رَبَّاءُ بِذَاتِ أَمَانَةٍ وَلَا عِنْدَ رَبِّاءٍ لِلْمُحِبِّ جَزَاءُ^(١)
- ٢ وَلَا حَبْلُ طَبَّاءٍ قَاطَعَتْ أَسْرَتِي بَاقٍ، وَلَا طَبَّاءُ بِذَاتِ وِفَاءٍ^(٢)
- ٣ خَلِيلِي، لَا أَرْدَادُ إِلَّا مَوَدَّةً لَطَّاءٍ، وَإِنْ عَدَّتْنِي الْعُدَّاءُ^(٣)

(١) أشار الشيخ الجاسر إلى أنَّ في هامش هذه الصفحة من تعليقات المحرر إشارة مضمونها: (يُروى: طبَّاء، وهو الصواب)، ولعله ليس من كلام المحرر؛ الذي يستشهد الجاسر بكونه روى شعر الصمّة عن بعض القشّيرين على صواب طبَّاء بدل ربَّاء، فقد يكون من كلام الناسخ.

(٢) البيت فيه إقواء، وهو الإتيان بالرؤي مكسوراً وأصله الضم. ويُدلُّ البيت على مقدار حسرة الصمّة إذ زوّجت ربَّاء من غيره، مما يرجّح أنّه قال هذا الشعر بعد رحيله عن ديار قومه، ويطمئنُّ إلى ذلك أنّه قال: (قاطعتْ أَسْرَتِي).

(٣) على عادة الشعراء في ينداء صحبيهم، سواءً أكانوا جماعة (وقوفاً بها صحبي)، أم اثنين كما هنا، أم فرداً واحداً (تبصّر خليلي هل ترى من طعّانين). وقوله: (عَدَّتْنِي الْعُدَّاءُ) قال في اللسان: (والعداء والعدواء والعادية، كُله: الشغل يُعدّوك عن الشيء. قال محارب: العداء عادة الشغل، وعدواء الشغل موانعه. ويقال: جثني وأنا في عدواء عنك أي في شغل... والعدواء على وزن الغلواء: المكان الذي لا يطمئن من قعد عليه) (اللسان: عدا). فيكون معنى قوله هذا إن الشواغل لا تشغله عن حبها، إنما يرداد لها حباً على مر الزمان فلا تؤثر فيه الصوارف والأشغال.

قافية الباء

(٢)

تخريج الأبيات:

تعليقات المحرري - الجاسر (مقطوعة ١٤٥)، وانظر ق ٦٨٠/٢، العرب/ ١٥٢، ديوانه/ ٢٤-٢٥. ومن الواضح أن الشاعر قال هذه الأبيات بعد أن زوّجت ربّا من رجلٍ غيره، وقد تقدّم الحديث عن ذلك في أخبار الصّمة، فليُنظر!

{ الطويل }

١- أَلَا يَا جُرَادَ الْغُورِ، هَلْ أَنْتَ مُسْلِعٌ سَلَامًا، وَلَا تَبْحَلُ، عِمَارَ شَعْبَعًا؟ (١)

(١) في التعليقات (يا جراد)، (لا تبخل) وكذلك في ديوانه، وهما تصحيف وتخريف ظاهران، وفي العريب (جراد) (لا تبخل). والغور: ما انخفض من الأرض عما يجاوره، وثمة أمكنة كثيرة تُعرف بهذا الاسم، والمقصود منها الأرض المنخفضة الممتدة على ساحل البحر، وذلك يشمل تهامة أيضًا (العرب/ ١٤٨). وقد انصرف الجاسر والفصل إلى أن الشاعر يطلب من سيرب جراد في الغور أن يبلغ ديار محبوبته السلام، وخفي عليهما أن في هذا دعاء عليها من حيث دعا على ديارها بالهلاك، فالجراد لا يبق على أحضر ولا يابس في الديار التي يغزوها. وأميل إلى أن الأصل هو ما أثبتته من أن المقصود هو (جراد الغور) لا (جراد الغور)، ويرجح ذلك أن (جرادًا) كما ذكر ياقوت هو: (ماء في ديار بني تميم عند المروت) (البلدان: جراد)، والمروت في طرف ديار قشير من الشمال على ما ذكر الجاسر، قال: (وتنشئ هذه القبيلة في وادي الرين (الرب) قديمًا)، وفي السهل الواقع بين العارض والعرض؛ بين المروت من الناحية الشمالية إلى رمل الدليل المعروف الآن باسم (نفود الدحي) من الناحية الجنوبية، ويجاور القبيلة في المروت بنو حنّان من تميم) (العرب/ ١٢٩). ويرجح ذلك ما ذكره ياقوت عن نصر قال: "جراد زملة عريضة بين البصرة واليمامة، بين حائل والمروت في ديار بني تميم، وقيل في ديار بني عامر، وقيل أرض بين غلبا تميم وأسفل قيس". وجاء بشعر يذكر المكان وفيه قرّن الشاعر بين جراد ووادي جفاف، وهو وادي يرد ذكره في شعر الصّمة بعد، قال فيه:

منها يتغف جراد والمبايض من وادي جفاف مرّا ذلياً ومستمع

أما عمار شَعْبَع، فالعمار لغة الماء الكثير، ولكن الظاهر أن الصّمة قصد مكانًا بعينه قريبًا من شَعْبَع التي هي قرينته على ما ذكر الهمداني في صفة جزيرة العرب؛ حيث قال: "البَيْضَةُ قَفٌّ أبيض فيه مياه وتخل ومزارع، من مياهه عَشِيرَةٌ والكفافة والغاضرية والخلائق، وعن يسارها شَعْبَع، وهي قرية كانت لبني طفيل بن قرة، هي وحاجر البليح". (صفة الجزيرة: ١٤٨)

وأما شَعْبَع، فقد قال فيه ياقوت إنه ماء للصّمة بن عبد الله يحائل من وراء الثّغر يوم؛ تهيّط من الثّغر حائلًا (البلدان: شعب). وقد تقدّم أن الهمداني رأى أن شَعْبَعًا قرية، وهذا لا يناهض ما قاله ياقوت، فالسّاء قد يطلق على القرية إما يدل على استقرار الناس حوله.

وقد ذكر الشيخ الجاسر أن شَعْبَعًا "هذه قد درّست الآن وجعلت، وهي في حائل، وحائل هذه سبق تحديدها الهمداني لها، تقع بين المروت من الناحية الشمالية، وسفوح جبال العرض من أسفله، بحيث تفيض أوديتها مشرفة. ومن الناحية الشرقية نفود يبرك الذي يعرف قديمًا بجبل يبرك - كما ورد في شعر الصّمة. ويبرك منهل لا يزال معروفًا. أما من ناحية الجنوب فيحدها رمل الدليل المعروف الآن باسم نفود الدحي؛ الذي من مناهله المعروفة الآن قتي والهوة، وكانا معروفين منذ القدم، وورد الأول في شعر الصّمة". (العرب/ ١٩٦٧، ج ١: ١٤٢)

(١) في ديوانه (ألا تُجدد)، وفي العريب (الأ تُجدد)، وضبطها بالصّم غير وارد بالاعتبارين: باعتبار كَوْن (ألا) مركبة من (أن) الناصبة و (لا) النافية، فيكون الفعل منصوبًا، واعتبار (ألا) مركبة من (إن) الجازمة الشرطية و (لا) النافية، فيكون الفعل مجزومًا، وكونه مضارعًا يقتضي ظهور الفتح على آخره بدلًا من السكون. ولعلي أميل إلى ما أثبتت، كما أرجح أن يكون كلامها انتهى بِنهاية الشطر الأول، وأن عجز البيت إنما هو من كلامه ردًا على قولها، فكأنه يقول: ليس للقوى بقاء وإن لم تُجدد.

وأما تجددت وتجدد، فالجذم والتجدد بمعنى، وهما ينصرفان إلى القطع والانقطاع.

(٣)

تَخْرِيجُ الْبَيْتَيْنِ :

تعليقات الهجري- الحمادي (مقطوعة ٤٤٨)، العرب/ ١٥٢، ديوانه/ ٢٧

{ الطَّوِيل }

- ١ فَوَاحَسُرْتِي، لَمْ أَقْضِ مِنْكَ لُبَانَةً وَلَمْ أَمْتَعْ بِالْجَوَارِ وَالْقُرْبِ^(١)
- ٢ يَقُولُونَ: هَذَا آخِرُ الْعَهْدِ مِنْكُمْ فَقُلْتُ: وَهَذَا آخِرُ الْعَهْدِ مِنْ قَلْبِي^(٢)
- ٣ أَلَا يَا حَمَامَ الشَّعْبِ: شَعْبٌ مُرَاهِقٌ سَفَيْتَ الْعَوَادِي مِنْ حَمَامٍ وَمِنْ شَعْبِ^(٣)

تَخْرِيجُ الْآيَاتِ :

الأغاني ٢٩٤/٧، ٢٩٥، البديع في نقد الشعر/ ١٣٧، الوَحْشِيَّات/ ١٨٧، العرب/ ١٥٣، ديوانه/ ٢٨، ولعلَّ هذه الآيات مِمَّا قَالَهُ الصَّمَّةُ قَبْلَ رَحِيلِهِ عَنْ دِيَارِ قَوْمِهِ إِلَى الشَّامِ، وَيُرْجَّحُ ذَلِكَ قَوْلُهُ فِي الْبَيْتِ الثَّانِي: (هَذَا آخِرُ الْعَهْدِ مِنْكُمْ)

(١) في التعليقات (دَفِيءُ الْمَحَانِي)، (قد اغشَبَا) وكذلك في ديوانه، ولا يستقيم بهما وزن، والغريب أن المحقق يُشير إلى أن إحدى مخطوطتي التعليقات تُورد (دَفِيء) فيعلق: وهو تحريف! والتحريف ما اقترفه. وفي بدء العجز أثبتت (قري)، والواجب فيها أن تكون (تَر) لأنها مضارع حَوَّابٍ شَرَطُ حَازِمٍ، ويبدو أن التامسين؛ أو المُحَقِّقِينَ، تنبهوا إلى خلل الوزن الحادث عن حذف العلة للحزم، على أنني أظن الأرجح فيها أن تكون بإضافة هاء السكت؛ هكذا (ثَرَةً)، وبها يستقيم الوزن والتظلم.

وقوله: (تُصِفُ) تحتمل أن تكون مضارع (صاف) منجروماً، وهو الأولى لمناسبة ذكره الشتاء والدَّفء في المَحَانِي شتاءً، وذكره إغشَابَ الرُّوضِ والخضِرَاءِ صَيْفًا. وتحتمل أن تكون مضارع (وصف) منجروماً؛ وهذه - وإن كانت مُحْتَمَلَةً - غَيْرُ ملائمةٍ للبيت!

والمَحَانِي: جَمْعُ مَحْنِيَّةٍ، وَمَحْنِيَّةُ الْوَادِي: مُتَعَرِّجَةٌ حَيْثُ يَنْعَطِفُ، وَهِيَ الْمَخْنُوَّةُ وَالْمَخْنَأُ. وَهِيَ أَيْضًا: مُنْحَنَى الْوَادِي حَيْثُ يَنْعَرِجُ مُنْخَفِضًا عَنِ السَّنَدِ. أَمَّا مَحْنِيَّةُ الرَّمْلِ، فَهِيَ مَا انْحَنَى عَلَيْهِ الْجَيْفُ. (اللسان: حنا).

(١) اللَّبَانَةُ: الْحَامَةُ وَالْوَطْرُ فِي النَّفْسِ، وَيُفَسِّرُهَا التَّمَتُّعُ بِالْقُرْبِ فِي عَجْرِ الْبَيْتِ.

(٢) إِسْنَادُ فِعْلِ الْقَوْلِ هُنَا إِلَى وَائِ حَمْعِ الْعَائِلِينَ قَدْ يُشِيرُ إِلَى تَقْوِيلِ بَعْضِ أَهْلِ قَبِيلَتِهِ، لَكِنَّهُ لَيْسَ دَالًّا قَطْعًا عَلَى مِثْلِ ذَلِكَ؛ فَالشَّاعِرُ هُوَ الَّذِي اعْتَزَمَ الرَّحِيلَ بِنَفْسِهِ!

(٣) فِي دِيَوَانِهِ (سَفَيْتَ الْعَوَادِي). وَقَالَ الشَّيْخُ الْحَاسِرُ إِنَّ شَعْبَ مُرَاهِقٍ مِنَ الْأَمَاكِنِ الَّتِي لَمْ يَهْتَدِ إِلَى مَعْرِفَتِهَا (العرب/ ١٤٦). قُلْتُ: لَعَلَّ الْكَلِمَةَ مُحَرَّفَةٌ عَنْ (مَرَاغَة)، فَالَّذِي يَذْكُرُهُ يَاقُوتُ عَنْ ابْنِ الْكَلْبِيِّ فِي شَأْنِ (مَرَاغَة) هَجَرَ يُرْجَّحُ ذَلِكَ يَقُولُ: "قَالَ ابْنُ الْكَلْبِيِّ: فِي مَرَاغَة هَجَرَ سَوَّقٍ لِأَهْلِ تَجْدٍ مَعْرُوفٍ"، وَقَالَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ قَرَنَ فِيهِ مَرَاغَة هَذِهِ بِ (الْمَرْدَمَة): "قَالَ الْأَصْمَعِيُّ وَذَكَرَ مِيَاهَا، ثُمَّ قَالَ: وَمِنْ هَذِهِ الْأَمْوَاءِ مِنْ صُلْبِ الْعَلَمِ، وَهِيَ الْمَرْدَمَة، رَدَاهُ مِنْهَا الْمَرَاغَة" (البلدان: مَرَاغَة). وَالْمَرْدَمَة عَلَى مَا يَذْكُرُ الشَّيْخُ الْحَاسِرُ جِبَالٌ تَقَعُ عَلَى طَرِيقِ الْمَتْجَةِ إِلَى مَكَّةَ مِنْ وَسْطِ يَلَادِ بَنِي قُشَيْرٍ، وَقَرِيبَ مِنْهَا مَاءٌ (مَطْلُوب) الَّذِي وَرَدَ فِي شِعْرِ الصَّمَّةِ الَّذِي يَصِفُ فِيهِ رَحِيلَتَهُ عَنْ دِيَارِ قَوْمِهِ إِلَى مَكَّةَ، وَالْمَقْصُودُ بِوَاءِ مِنْ مِيَاهِ (تَمَلَّى)!

وله وهو بالشام :

{ الطويل }

- ١ ألا أيها البستان بالأجرع الذي
٢ هجرتكما هجر البغيض وفيكما
٣ علقت بدار الصيد، ما كفة الغضا
بأسفل مفضاه غصًا وكيب^(١)
من الناس إنسان إلي حبيب^(٢)
ولا دابق من واسطٍ تقرب^(٣)

تخريج الأبيات :

- ٤ فما طابت الريح الجنوب دابق
٥ جنوب يداوي هيجها بارح الهوى
٦ يقولون لي: دار الأحيّة قد دنت
٧ فقلت: وما تعني ديار تقاربت
ولكنها بالعمتين تطيب^(١)
لها بعد نوم السامرين ديب^(٢)
وأنت كيب، إن ذا لعجيب!
إذا لم يكن بين الديار حبيب^(٣)

تعليلات الحجرى-الحمادي (مقطوعة ١٧٥)، البستان ١-٢ أمالي القالي

١/١٩٤، وقد أحلّ بهما شعره وديوانه المطبوع، سمط اللآلي ١/٤٦٣، العرب/١٥٣، ديوانه/٢٩

(١) الأجرع: المكان الواسع الذي فيه جُرُوةٌ وحشونة. وهو أكبر من الجرعة أو الجرعة، وقيل هي الرملة المستوية، وقيل هي الدغص لا تثبت شيئاً. والجرعة عندهم هي: الرملة الطيبة المثبت التي لا عُونة فيها. وقيل الأجرع: كيب حبيب منه رمل، وحبيب حجارة (اللسان: جرع ٤٦/٨)، ولعل ما ورد في هذا البيت يدل على جُرُوة الأجرع وانعدام النبات فيه، وينبغي أن يكون كيباً، فهو يقول إن بأسفل ما يغضي إليه نبات غصًا وكيب رمل. ولأن الأجرع على هذه الصفة فقد كثرت الأجرع، ولهذا فهو لا يُذكر في الشعر إلا موصوفاً، وفي الأغلب الأعم يوصف بالموصول وراءه حيث تحدده جملته الصلة، ومثاله ما جاء هنا، وما جاء في قول ابن الدنينة:

سلي البانة الغنياء بالأجرع الذي به البان، هل حبيب أطلال دارك

(٢) يقصد هجره ديار قومه بعد ما حصل له فيها، والبغيض هنا تحمّل أن تكون فعلاً بمعنى فاعل، أي مبغض، وفعلًا بمعنى مفعول، أي مبغض، ولعل الأرجح أن تكون الأولى؛ أي بمعنى مبغض؛ فحين عادته الشعراء أن يذكروا أن هجرهم لم يكن عن قلى منهم للديار، وتقابلها حبيب بمعنى محبوب في عجز البيت، والحبيب هنا رثا. ولعل البيتين اللذين خصهما الشاعر هنا هما بيت أبيه عبد الله، وبيت عمه أبي رثا!

(٣) في التعليقات (حلفت)، (كفة)، (دابق)، وفي ديوانه (بقریب)، وفي البيت سباد.

وقد ظن عبد العزيز الفصيل أن المقصود بواسط هنا قرية تحلب في الشام قرب بزاغة، وأحال على (مراسد الأطلال ٣/١٤٢٠). في حين حقق الجاسير أن المقصود موضع "في بلاد بني قشير لا يزال معروفًا، فيه قرية صغيرة، ويروى وقت الشتاء يقع في الجنوب الشرقي من بلدة الدواذمي، وهو معلود من نواحيها". (العرب: ١٥٠)

وقد ذكر باقوت هذا الموضع بقوله: "قرية متوسطة بين بطن مر وراي نخلة ذات نخيل. قال لي صديقنا الحافظ أبو عبد الله محمد بن محمود التجار: كنت بطن مر فرائت نخلا عن بعد، فسألت عنه، فقبل لي: هذه قرية يقال لها واسط". ثم قال باقوت: "وقال بعض شعراء الأغراب يذكروا واسطاً في بلادهم"، وذكر أربعة أبيات من دالية الصمة التي ذكر فيها (طمياء) من دون أن ينسب الأبيات (البلدان: واسط)

أما دار الصيد: فلم أقف في ما بحث فيه من مصادر البلدان ما يدل عليها، ويذكر باقوت دياراً كثيرة، ودارات كذلك، ليس منها دار الصيد. هذه على أن تعريفها بإضافتها إلى الصيد دال على أنها إحدى الأماكن التي كانوا يعطادون فيها.

وأما كفة الغضا، فلم يذكرها الجاسير فيما ذكر من مواطن قشير في شعر الصمة، وقد وجدت في معجم باقوت ما نصه: "الكفاف: كائف جمع كيفة أو كفة. قال اللغويون: كل مستدير نحو البيران وجبال الصائيد فهو كفة، وكل مستطيل كالنورب والقميص فخرته كفة، وهو اسم موضع قرب وادي القرى" (البلدان: الكفاف). وراي القرى هذا واد معروف بين الشام والندنية، وهو بين طمياء وخبر، فيه قرى كثيرة (البلدان: قرى). ولعل الشاعر إنما أراد المعنى اللغوي للكفة مضافة إلى الغضا لتحديد، وإذا كان قال هذه القصيدة بالشام؛ بذليل ذكره (دابق)، فلربما قصد كفة غصًا هناك!

وأما دابق (ويروى دابق)، فقرية قرب حلب من أعمال عزاز، بينها وبين حلب أربعة فراسخ، عندها مرج مغيب نرة (البلدان: دابق)، وهذا المرج هو الذي وقعت فيه معركة مرج دابق.

(١) العلتان: ظن عبد العزيز الفصيل أن المقصود جبل بالمدينة يقال له سُلَيْع، عليه بيوت أسلم بن أفضى، يُنسب إليه ثبته عثت (البلدان: عثت)، وبين هذا وموطن الشاعر مسافة كبيرة، ولعل الصواب ما ذكره الجاسير من أن الشاعر قصد "موضعاً يعنيه، وقد يقصد كثيرين من أكتبة بلاد قشير التي تحيط بها الكتياب من جوانبها الثلاثة"، حيث إنه قال القطعة وهو في دابق، وهي بلاد جليّة! (العرب: ١٤٧)

(٢) في التعليقات (ربيب) وهو تحريف، وجاء الصادر في ديوانه هكذا جنوب يداوي هيجها بارح الهوى الهوى! ولعل جعل الريح تحمّل السلام إلى الأحيّة، ولعل جعل هويها يشفي فؤاد من برحه الهوى إذا هبت من ديار الأحيّة أو مرت بها، من خصائص شعر غزلي البادية، وهذا من المعاني التي ما تزال دائرة في أدينا الشعبي.

وفي البيت صورة بلاغية رائعة، وذلك حين جعل الريح الجنوب تدب بعد نوم السامرين. وكان من عادة الشعراء أن يلاقوا محبوباتهم (في الشعر) بعد نوم السامرين. ومن ذلك قول ابن أبي ربيعة:

وغاب قُمَيْرُ كُنْتُ أَرْجُو غُيُوبَهُ وَرَوْحُ رُغِيَانٍ وَنَوْمُ سَمُرٍ

فكانه جعل الريح تحمّل رثا حبيبته إليه، فدبت إليه ديباً بعد نوم السامرين خفية.

(٣) في السمط (بين الديار قريب)، ولعل الشاعر قال هذه الأبيات - لا كما ذكر الجاسير - وهو في الشام، بل قالها وهو عائذ إلى موطنه فيما أرى في مرؤ ما، يدل على ذلك هذا البيت والذي تقدمه.

{ الطويل }

- ١ سَقَى اللهُ أَبَا مَا لَنَا وَلِيَالِيَا لَهْنَ بِأَكْنَفِ الشَّابِّ مَلَاعِبِ^(١)
٢ إِذِ الْعَيْشُ غَضُّ وَالزَّمَانُ يَغْبِطَةُ وَشَاهِدُ آفَاتِ الْمُحِبِّينَ غَائِبُ^(٢)

تَخْرِيجُ الْبَيْتَيْنِ :

الحماسة البصرية ١٣٧/٢، العرب/ ١٥٣، ديوانه/ ٢٦

(١) الدُّعَاءُ بالسُّقْيَا معروفٌ عند العربِ لِلْمَكَانِ الذي يُحِبُّونَهُ، والشَّاعِرُ هُنَا دَعَا بالسُّقْيَا لِلزَّمَانِ، عَلَى أَنَّ ذَلِكَ لَيْسَ بعيدًا من السُّقْيَا لِلْمَكَانِ، ذَلِكَ بِأَنَّ تِلْكَ الْآيَاتِ وَالْيَالِيَا إِنَّمَا قُضِيَتْ فِي مَكَانٍ هُوَ الذي يدعُو الشَّاعِرُ لَهُ بالسُّقْيَا، وَلَعَلَّ فِي هَذَا الْبَيْتِ رَجْعًا بِلَاغِيًّا لَمْ يَذْكُرْهُ الْبَلَاغِيُونَ، وَهُوَ ضَرْبٌ مِنْ ضُرُوبِ الْحَازِ الْمُرْسَلِ؛ إِذْ ذَكَرَ الزَّمَانِ وَأَرَادَ الْمَكَانَ الذي قَضَاهُ فِيهِ.

أَمَّا أَكْنَفُ الشَّابِّ، فَقَدْ قَالَ ياقوت: "لَمَّا ظَهَرَ طَلِيحَةُ الْمُتَنَبِّي وَنَزَلَ يَسْمِيرَاءُ أُرْسِلَ إِلَيْهِ مُهْلَهْلٌ بِنُ زَيْدِ الْخَيْلِ الطَّائِي: إِنَّ مَعِيَ حَدًّا لِقَوْتٍ، فَإِنَّ ذَهَبَهُمْ أَمْرٌ فَتَحْنُ بِالْأَكْنَفِ بِجِبَالِ فَيْدٍ، وَهِيَ أَكْنَفٌ سَلَمَى. قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: الْأَكْنَفُ جَبَلًا طَيِّئٌ: سَلَمَى وَأَجَأٌ وَالْفَرَادِخُ" (البلدان: الأكناف). وَقَالَ فِي اللِّسَانِ: "الْكَنْفُ وَالْكَنْفَةُ: نَاحِيَةُ الشَّيْءِ، وَنَاحِيَتَا كُلِّ شَيْءٍ كَنْفَاهُ، وَالْحَمْعُ أَكْنَفٌ ... وَأَكْنَفُ الْجَبَلِ الْوَادِي: نَوَاحِيهِ حَيْثُ تَنْضَمُّ إِلَيْهِ"، وَمِنْهَا أَكْنَفٌ بِشَيْءٍ (اللِّسَانُ: كَنْفٌ). وَقَالَ فِي فَيْدٍ: "وَقَالَ الْحَازِمِيُّ: فَيْدٌ، بِأَيِّهِ، أَكْرَمُ نَجْدٍ، قَرِيبٌ مِنْ أَحْسَا وَسَلَمَى جَبَلِي طَيِّئٌ"، وَقَالَ: "وَبَيْنَ فَيْدٍ وَوَادِي الْقُرَى سِتُّ لِيَالٍ" (اللِّسَانُ: فَيْدٍ). وَأَمِيلُ إِلَى تَرْجِيحِ أَنَّ يَكُونُ هَذَا اسْمًا لِمَوْضِعٍ مِنَ الْمَوَاضِعِ فِي دِيَارِ قُشَيْرٍ، وَهِيَ وَاسِعَةٌ تَتَّصِلُ بِدِيَارِ طَيِّئٍ؛ وَالْإِضَافَةُ هُنَا تَكُونُ عَلَى الْحَقِيقَةِ، يُطْمِئِنُّ إِلَيْهَا قَوْلُهُ (مَلَاعِبُ)، وَتَحْتَمِلُ أَنَّ تَكُونُ إِضَافَةً الْأَكْنَفِ إِلَى الشَّابِّ الرَّيِّ، بِمَعْنَى أَيَّامِ الشَّابِّ.

(٢) أَرَى أَنَّ كَلِمَةَ (آفَاتٍ) إِنَّمَا هِيَ تَحْرِيفٌ لِشَبِيهَتِهَا (أَهَاتٍ)؛ لِأَنَّ آفَاتِ الْخَيْبِ لَا تَتَجَاوَزُ فِرَاقَهُمْ وَمَا يُصِيبُهُمْ مِنْ جَرَائِهِ، وَالشَّاعِرُ هُنَا يَتَحَدَّثُ عَنِ الْغِبْطَةِ وَالْعَيْشِ الْغَضِّ، وَهَذَا لَا يَتَوَافَقُ مَعَ الْآفَاتِ. وَيَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ غِيَابُ الرِّشَاقِ وَالرَّقَبَاءِ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ لِقَاءَ الْأَحِبَّةِ خُفْيَةً فَلَا يَقْضِي الْعَاشِقُ مِنْهُمْ لَبَّائَةً مِنْ إِلَيْهِ حَذَرَ الْعَيُونِ.

{ الطويل }

- ١ إِلَى اللَّهِ أَشْكُو نِيَّةً يَوْمَ قَرْقَرَى مُفَرَّقَةَ الْأَهْوَاءِ شَسَى شُعُوبَهَا^(١)
٢ وَيَوْمًا يَحْصُنُ الْبَاهِلِيَّ ظِلُّهُ أَكْهَفُ عِبْرَاتٍ تَفِيضُ غُرُوبَهَا^(٢)
٣ وَيَوْمًا عَلَى تِبْرَاكَ أَقْنَعْتُ بِالَّذِي مُحَازِرُهُ تَفْسٌ فَشَبَّ شُوبَهَا^(٣)
٤ وَيَوْمًا بِقَاعِ الْأَخْرَبِينَ جَرَى لَنَا بِنَحْسٍ ظِبَاءُ الْأَخْرَبِينَ وَذَيْبَهَا^(٤)

(١) فِي التَّعْلِيقَاتِ وَدِيَوَانِهِ (أَشْكُو نِيَّةً)، (مُفَرَّقَةً). وَقَرْقَرَى: مَجْمُوعَةٌ مِنَ الْقُرَى تَقَعُ فِي السَّهْلِ الْمُسْتَدِّ مِنْ سَفْحِ جَبَلٍ طَوِيلٍ إِلَى عَارِضِ الْيَمَامَةِ مِنَ الْقَرْبِ. وَفِيهَا قُرَى كَثِيرَةٌ أَشْهَرُهَا ضَرْمًا، وَهَذِهِ الْقَرْيَةُ لَيْسَتْ مَعْرُوفَةً الْآنَ. وَتَتَّصِلُ قَرْقَرَى بِبِلَادِ قُشَيْرٍ مِنَ النَّاحِيَةِ الشَّمَالِيَّةِ الشَّرْقِيَّةِ، وَهِيَ أَخْفَضُ مِنْهَا، وَتُعْرَفُ الْآنَ بِاسْمِ الْحَمَادَةِ (العرب/ ١٤٥)، (١٤٨). وَقَدْ ذَكَرَهَا الشَّاعِرُ فِي هَذِهِ الْقَصِيدَةِ الَّتِي يُعَدُّ فِيهَا أَسْمَاءُ الْمَوَاضِعِ الَّتِي مَرَّ بِهَا فِي رَحْلَتِهِ عَنْ دِيَارِ قَوْمِهِ مَتَّجِيًا إِلَى الشَّامِ، لَكِنَّ هَذِهِ الْمَوَاطِنَ تَقَعُ عَلَى طَرِيقِ الصَّادِرِ عَنْ دِيَارِ قُشَيْرٍ بِاتِّجَاهِ مَكَّةَ أَوَّلًا. وَقَالَ ياقوت: "أَرْضُ الْيَمَامَةِ إِذَا خَرَجَ الْخَارِجُ مِنْ وَشْمِ الْيَمَامَةِ يُرِيدُ مَهَبَ الْجَنُوبِ، وَجَعَلَ الْعَارِضَ شِمَالًا، فَإِنَّهُ يَعْلُو أَرْضًا تُسَمَّى قَرْقَرَى فِيهَا قُرَى وَزُرُوعٌ وَنَحِيلٌ كَثِيرَةٌ" (البلدان: قَرْقَرَى).

(٢) فِي التَّعْلِيقَاتِ (وَيَوْمًا)، وَالتَّائِلُ فِي الْآيَاتِ بَعْدَهُ يَرَاهَا مَنْصُوبَةً عَلَى الْعَطْفِ، فَهِيَ تَشْكُو نِيَّةً، وَيَوْمًا ...، وَفِي دِيَوَانِهِ (ظَلَّلْتُه). وَحِصْنُ الْبَاهِلِيِّ: عُرِفَ قَدِيمًا بِحِصْنِ ابْنِ عِصَامِ الْبَاهِلِيِّ حَاجِبِ الثُّعْمَانِ بْنِ الْمُنْذَرِ، وَهُوَ فِي بِلَادِ بَاهِلَةَ الْمُحَاوِرَةِ لِبِلَادِ قُشَيْرٍ مِنَ النَّاحِيَةِ الْغَرْبِيَّةِ. وَيَقَعُ هَذَا بِقَرَبِ بِلَدَةِ الْقَوْصِيَّةِ (العرب/ ١٤٤).

(٣) فِي التَّعْلِيقَاتِ (تِبْرَاكَ)، (تُحَازِرُهُ) وَهُوَ تَصْغِيرُ سَيْمٍ، وَفِي دِيَوَانِهِ (فَشَبَّ). وَتِبْرَاكَ، قَالَ ياقوت: "مَوْضِعٌ بِجِدَاوٍ تَغْشَارٍ، وَقِيلَ: مَا لَيْسَ بِالْعَمِيرِ، وَفِي كِتَابِ الْخَالِجِ: تِبْرَاكَ مِنْ بِلَادِ عَمْرُو بْنِ كِلَابٍ فِيهِ رَوْضَةٌ ذُكِرَتْ مَعَ الرِّبَاضِ، وَحَكَى أَبُو عُبَيْدَةَ عَنْ عُمَارَةَ أَنَّ تِبْرَاكَ مِنْ بِلَادِ بَنِي عَمِيرٍ، قَالَ: وَهِيَ مُسَبَّةٌ لَا يَكَادُ أَحَدٌ مِنْهُمْ يَذْكُرُهَا لِمُطْلَقِ قَوْلِ حَرِيرٍ:

إِذَا جَلَسْتُ نِسَاءَ بَنِي عَمِيرٍ عَلَى تِبْرَاكَ أَحْبَبْتُ الرَّمَالَا

... وَقَالَ نَصْرٌ: تِبْرَاكَ مَا لَيْسَ بِعَمِيرٍ فِي أَذْنِ الْمَرْبُوتِ لِاصِقٍ بِالْوَرَكَةِ" (البلدان: تِبْرَاكَ)، وَلَعَلَّهُ الْمَقْصُودُ.

(٤) وَفِيهَا (بِقَاعِ الْأَخْرَبِينَ)، (بِنَحْسٍ). وَقَاعُ الْأَخْرَبِينَ: الْقَاعُ هُوَ التَّخْفُضُ مِنَ الْأَرْضِ، وَأَمَّا الْأَخْرَبَانِ، فَحَمْعُ أَخْرَبٍ، وَهِيَ قُرُونٌ حُمُرٌ بَيْنَ سَحَا وَالثَّغَلِ، وَهُمَا مَنَهَلَانِ فِي عَالِيَةِ نَجْدٍ مَا يَرِالَانِ مَعْرُوفَيْنِ إِلَى الْآنَ، وَلَكِنَّهُمَا بَعِيدَانِ عَنْ بِلَادِ قُشَيْرٍ. وَالشَّاعِرُ ذَكَرَهُمَا وَهُوَ فِي طَرِيقِ رَحْلَتِهِ إِلَى مَكَّةَ رَاجِعًا عَنْ دِيَارِهِ كَمَا تَقَدَّمَ، وَمَنَهَلَا سَحَا وَالثَّغَلِ يَقَعَانِ عَلَى طَرِيقِ الصَّادِرِ عَنْ دِيَارِ قُشَيْرٍ إِلَى مَكَّةَ أَيْضًا (العرب/ ١٤٢).

- ٥ وَيَوْمًا عَلَى مَاءِ الْهُدْيَةِ قَالَ لِي صِحَارِي: طِبْ نَفْسًا، وَكَيْفَ أَطْيِبُهَا^(١)
- ٦ وَيَوْمًا بِمَطْلُوبٍ وَجَدْتُ جَرَارَةً طَوِيلًا بِالْوَادِ الْفُؤَادِ شَشْوِيهَا^(٢)
- ٧ وَيَوْمًا عَلَى مَاءِ الْمُحَلِّقِ طَيْرُهُ أَحَدْتُ نَفْسًا صَبَّةً: مَا يُكَيِّبُهَا؟^(٣)
- ٨ وَيَوْمًا بَقَرْنٍ: قَرْنٍ تَحْلَةً، رَاجَعْتُ بِنَفْسِكَ زَقَرَاتٍ، يَتَجَدَّدُ طَبِيبُهَا^(٤)
- ٩ وَيَوْمًا لَدَى الْبَيْتِ الْحَرَامِ تَجَلَّدْتُ لَكَ النَّفْسُ إِكْرَاهًا عَلَى مَا يُرِيهَا^(٥)
- ١٠ فَيَا أَهْلَ بَجْدٍ، لَا شَقِيمٍ وَلَقِيتُ رَكَابَكُمْ رُشْدًا، وَحَلَّتْ ذَوْبُهَا^(٦)

- ١١ إِذَا مَا أَتْنَا الرِّيحُ مِنْ نَحْوِ أَرْضِكُمْ أَتْنَا بِرَبَاكُمُ فَطَابَ هُبُوبُهَا^(١)
- ١٢ أَتْنَا بِطِيبِ الْمِسْكِ خَالَطَ عَنَبْرًا وَرِيحَ الْخَزَامَى بَاكَرَتْهَا جَنُوبُهَا
- ١٣ إِذَا مَا لَقِيتُمْ أَهْلَ بَجْدٍ وَعَرِيتُ قَلَابِصُ أَدْنَاكُمْ وَقَدْ طَالَ دَوْبُهَا^(٢)
- ١٤ فَمِنِّي عَلَيْهِمْ فَاقْرُؤْ نَحْيَةً يُخَصُّ بِهَا شُبَّانُ قَوْمِي وَشَبِيبُهَا^(٣)
- ١٥ نَحْيَةً مُشْتَقًا إِلَى أَنْ يَرَاهُمْ وَرَجَّعَ أَمَائِلٍ يُرْجَى عَرِيهَا^(٤)

تخريج الأبيات :

قال الهجري: أنشدني العبداء بن مضاء، من ولد الثوب بن الصمة بن عبد الله بن طفيل بن زيد بن ثور ...، وينتهي به إلى بني قشير. تعليقات الهجري- الحمادي (مقطوعة ٥٠٤)، الأغاني ٢٩٢/٥، تجريد الأغاني ق ١ ج ٢/٧١٥، وروى ابن عبد البر البتتين ١٠-١١ في بهجة المجالس ق ١ م ١/٨٢٢، الوافي بالوفيات ١٦/١٩٣، معاهد التنصيص ٣/٢٥٦، العرب ١٥٤-١٥٥، شعراء قشير ٢/٦٧-٦٨، ديوانه ٣٥-٣٦

(١) هذا البيت والذي يليه ذكرًا في المصادر بوصفهما نطفة مستقلة، وقد رأيتهما ملائمين تمامًا للمكان الذي أحلا فيه من القصيدة.

(٢) هذا البيت انفردت به تعليقات الهجري، وهو في ديوانه (ما أتيتكم)، والقلائص جمع قلوص، وهي النافقة الفتيحة الشديدة. أما الدوب فهو الذؤوب مسهل الهمزة، وهو المواظبة والمبالغة في العمل، وها هنا بمعنى المواظبة على المسير (اللسان: دأب).

(٣) في التعليقات (يخص بها شبان) ولا يستقيم بها الوزن ولا القظم، فشبان مضافة يسقط تنوينها، ويخص للمعلوم لا المجهول بناؤه.

(٤) في التعليقات وديوانه (نفدت عريها). والأمائل جمع الأمل، وأمائل الناس وأمائلهم: خيارهم وأشرفهم. العريب: حي من اليمن، والرجل الفصيح المعرب، وتقول: ما بالدار من عريب؛ أي ما بها أحد، والذكر والأُنثى في سواء (اللسان: عرب). ولعل الرجاء هنا هو المعنى الثاني؛ لأن الرجوع هنا إنما هو رجوع الحديث.

(١) هذا البيت من التعليقات، ولم تورد المصادر الأخرى، وهو في ديوانه. وماء الهدية كما قال ياقوت: "موضع حواري اليمامة، وقال أبو زيد الكلابي: من مياه أبي بكر بن كلاب الدقة، وهي في رمل، وجذاعها ماءة يقال لها الهدية، وينسب ذلك الرمل إليها فيقال: رمل الهدية" (البلدان: الهدية)، ولم يصفه الجاسر، أو يذكره.

(٢) فيها (وجدت جرارة)، (باعوا الفؤاد)، والتصحيح فيها ظاهر بين، وفي ديوانه (بالعواد) وبه لا يستقيم الوزن ولا المعنى. أما مطلوب فهو كما قال ياقوت: "اسم يثر بين المدينة والشام بعيد الغمر يستقى منها يذلاء"، وقيل: "جبل". وقال أبو زيد الكلابي: من مياه بني بكر بن كلاب مطلوب، وقال الأصمعي: "ومن مياه تَحْلَى مطلوب" (البلدان: مطلوب)، وهذا الأخير هو الذي عناه الجاسر بقوله: "المقصود به ماء من مياه تملأ بقررب جبال المزدمة، وتقع على طريق المتجه إلى مكة من وسط بلاد بني قشير" (العرب/١٤٩).

(٣) لم أجد لماء كهذا ذكرًا في مصادر البلدان، كما أن في نظم البيت شيئًا من الخلل بهذه الرواية، فلو كان طيره فاعلاً لاسم الفاعل (المُحَلِّق) لكان ينبغي أن يكون المُحَلِّق صفةً لمُحَدِّثٍ مُضَافٍ إليه؛ أي (ماء المكان أو الرجل المُحَلِّق طيره)، وإلا فإن (طيره) تظل مبتدأ يقتضي خبرًا عنه، وليس في البيت ما يقوم مقام الخبر عنه. ولعل الرواية أصلاً هي (على الماء المُحَلِّق طيره)، أو (على ماء يُحَلِّق طيره).

(٤) وفيها (بقرن قرن)، (زقرات) وتجب تنوينها لاستقامة الوزن والنظم نحوًا. وفي شعراء قشير (بقرن قرون تحلة)، ولا يستقيم بها وزن ولا نظم. وقرن تحلة: يقصد وادي قرن، وهو قرن المنازل المعروفة الآن باسم السيل، ومنه يُحْرَمُ حُجَّاجٌ عالية تجد، بل أكثر أهل نجد. وأضافه إلى تحلة؛ إذ هو أعلى وادي تحلة، وهما تحلتان: الشامية واليمانية، ويلقيان فيكونان وادياً عظيماً يدعى مرّ الظهران قديماً، ووادي فاطمة حديثاً، ثم يتحدان إلى البحر فيصب فيهِ إلى الجنوب من مدينة جدة (العرب/١٤٨).

(٥) وفيها (تجددت)، ومثلها في ديوانه. وقوله البيت الحرام يدل على مروره بمكة، وأن كل المواضع التي تقدم ذكرها في القصيدة إنما كانت على طريقه بين ديار قشير حتى وصله مكة.

(٦) ذكرتها المصادر هكذا (ذوبها)، وبها لا يستقيم المعنى، والمقصود ذوبها، وهي دعوة لها بأن تفر.

قافية التاء

(٧)

{ الطويل }

١ أَلَا مَنْ لَعِينٍ لَا تَرَى قُلَّ الْحِمَى وَلَا جَبَلَ الْأَوْشَالِ إِلَّا اسْتَهَلَّتْ^(١)

(١) في الحمدونية (ما ترى)، (وَلَا أَبْرَقَ الظُّمَانُ). قُلَّ الْحِمَى: القلَّة من كل شيء رأسه وأغلاؤه، وأعلى الجبل، وحصى بعضهم به أعلى السنام والرأس والجبل، وقلالة الجبل كقلته؛ وهي كالقصة، إلا أن القلَّة تَجْمَعُ الشُّكْلَ الذي تكون القصة أغلاؤه، وهي تشبه قلة الماء والحالة هذه، وهذه كانت معروفة بهذه التسمية عندهم، واشتهرت منها قِلَالُ اليمَنِ والأحساء. أما القنات (جمع قنَّه) فهي التَّسَوَاتِ البارزة المرتفعة في الجبل، وتكون أدون من القصة أو القلة.

وأما الحمى، فالذي يقصده الشاعر هنا هو حمى النهر، وهو حمى كلَّيب وائل في القديم، ويقع في الجنوب الغربي من ديار قشير (العرب/١٤٤)، قال ياقوت: "النهر جبل بأعلى نجد شرقه لعيني ابن أعصر وغريبه لعاضرة بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن، وجذاه بالأحساء يواد يقال له ذو حمار، وهذا الوادي ينحصر من أقاصي النهر... وبالتير قبر كلَّيب بن وائل - على ما خبرنا بعض طيِّين - على الجبلين، قال: وهو قُرب ضربة" (البلدان: النهر)، ويرد في البيت التالي

أما جبل الأوشال، فلم أقف له على تعريف في مصادر البلدان، ووجدت الجاسير قال: "قد يكون هذا الاسم ليس علمًا، وإنما هو جبل تكثر فيه أوشال الماء؛ هذا إذا لم يكن الاسم مُحَرَّفًا" (العرب/١٤٤)، وتابعه الفيصل (شعراء قشير ٧٤/٢، ديوانه/٣٧). والوشل: الماء القليل يتخلَّب، وذلك إذا تكوَّن سفح الجبل من التراب والصخور غير المتصلة بعضها ببعض، فعندما ينزل المطر يخترق التراب شيئًا منه، ويتغلغل الماء في التراب حتى يصل حد الصخر الصلب، فينزل عنه إلى أسفل متحيرًا حتى يجد مخرجه أسفل السطح عند أصول الجبل مما يحاذي الوادي. وقد روى ياقوت عن أبي منصور قال: "رأيت في البادية جبلًا يقطر منه في لحظ من سقفه ماء فيجتمع في أسفل، يقال له الوشل". وقال الجوهري: وشل اسم جبل عظيم يناحية يهامة، وفيه مياه عذبة... وقال أبو غبيد الله السكوني: الوشل ماء قريب من غصور ورمّان شرقي سميراء، ولحظ الجبل أصله (البلدان: الوشل)، ولعل هذا الجبل هو المقصود بعينه، فسيراء هذه تقدّم ذكرها في حديث طليحة الأسدي المتني (انظر هامش الأول في المقطوعة البائية الرابعة - أكناف الشباب).

واستهلت العين: دمت، ومثلها الهلت عيّه وتهللت، وتكون بمعنى سألت بالدمع إن أغزرت، انظر (اللسان: هلت).

٢ وَلَا تِيرَ إِلَّا أَسْـبَلَتْ وَكَأَنَّهَا عَلَى رَمَدٍ بَاتَتْ عَلَيْهِ وَطَلَّتْ^(١)
٣ لَجُوجٍ إِذَا لَجَتْ، بِكِيٍّ إِذَا بَكَتْ بَكَتْ فَادَقَّتْ فِي الْبُكَاءِ وَأَجَلَّتْ^(٢)
٤ كَمَا هَتَّتْ طَرْفَاءَ نَاشَتْ غُصُونُهَا جَنُوبٌ وَقَدْ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلِ طَلَّتْ^(٣)

(١) في العرب وديوانه وشعراء قشير (ربك)، والصواب ما أثبتناه. وقد تقدّم ذكر النهر في الهامش المتقدم (الحمى)، أما الرمد فهو ألم يصيب العين بالتيقح وأحمرار، ونعرف له اليوم أنواعًا منها الرمد الربيعي. وأستلّت العين من سال دمعها، ومن المعروف أن الأرمد والرمداء يُبْرِئُ الدمع في عيونهما أقل أثر من ريح أو غبار أو ضوء زائد وحاج
(٢) العين اللجوج: التي دمعها لجوج؛ تلك التي تنمادي في البكاء وتأبى أن تنصرف عنه، قال أبو ذؤيب الهذلي: (اللسان: لجج)
(٣) فإني صبرت النفس بعد ابن عتبس فقد لج من ماء الشؤون لجوج

أما بكى؛ فهي بمعنى بكاء، وأدقت وأجلت أي أقلت، زادت، فهي إذن لا تنقطع عن البكاء، إنما يخفّ دمعها قليلًا ثم يزداد شيئًا فشيئًا
(٣) في ديوانه (جنوب)، هتت السماء: صبت ماءها وأغزرت مطرها، وإذا كثر دمع العين شبه عندهم بالسحاب القطر، والذلاق الماء من مُزَادَةٍ لم يحكم خرزها، أما الطرفاء، فجماعة الطرفية، نوع من الشجر، قال في اللسان: "الطرفاء من العضا، وهذبه مثل هذب الأثل، وليس له خشب، وإنما يخرج عصيًا سمحة في السماء، وقد تتحمض به الإبل إذا لم تجد حِمَضًا غيره" (طرف)، فيكون تشبيهه لانهمال الدمع من العين هنا بالجمار قطرات الطل عن أغصان الطرفاء حين تحرك أغصانها بالرياح الجنوب، ولو لم تكن أغصان الطرفية مستديقة سمحة صاعدة في السماء لما كان تشبيهه دقيقًا، لأن كونها كذلك يجعل حركة أعلى القطرات مكانًا إلى أسفل تحرك القطرات دونها، وهكذا تساقط القطرات من أعلى إلى أسفل متحدرة متلاحقة في أنسياب وتتابع. أما قوله (ناشت غصونها)، فعلى تشبيه ما تفعله الرياح الجنوب بهذه الأغصان من تحريكها بما تفعله الأنعام والظباء من توش الأغصان؛ فكلاهما يسبب حركة خفيفة لا عنف فيها ولا صخب، فكأنه جعل للريح ما للظباء وغيرها.
وتقول: "طلت" أي أصابها الطل، أو نديت، أما "طل"، فهو من مطلول الدم، ولا تقوم هذه مكان تلك، والصم فيها ليعني (نديت) لحن (هكذا ورد في هامش تعليقات المجري).

- ٥ ألا قاتل الله الحِمَى مِنْ مَحَلَّةٍ وَقَاتِلَ دُبَانَا بِهَا كَيْفَ وَلَسَتْ^(١)
- ٦ غَفِينَا زَمَانًا بِالْحِمَى ثُمَّ أَصْبَحَتْ عِرَاصُ الْحِمَى مِنْ أَهْلِهَا قَدْ تَحَلَّتْ^(٢)
- ٧ وَتَادَى الْمُتَنَادِي بِالْفِرَاقِ فَتَوَضَّعُوا بُيُوتًا تُرَى أَطْنَابُهَا حَيْثُ شُدَّتْ^(٣)
- ٨ شَدَّدَتْ بُيُوتِي حَشْوَةً صَبَّتْ بِهَا يَدُ الشَّوْقِ يَوْمَ الْبَيْنِ حِينَ اخْرَأَلَتْ^(٤)
- ٩ وَقَلْتُ لِأَصْحَابِي غَدَاةَ فِرَاقِهَا : وَدَدْتُ الْبُحُورَ الْعَامَ بِالنَّاسِ طَمَّتْ^(٥)
- ١٠ فَتَقَطَّعَ الدُّنْيَا الَّتِي أَصْبَحَتْ بِهِمْ كَمَثَلِ مُصَابَاتٍ عَلَى النَّاسِ عَمَّتْ^(٦)
- ١١ وَلَكِنَّمَا الدُّنْيَا كَهَيِّءِ غَمَامَةٍ أَظَلَّتْ بَغِيمٍ سَاعَةً وَأَضْمَحَلَتْ^(٧)

(١) في ديوانه (وُلَّتْ)، المَحَلَّةُ والمَحَلُّ كالْمَنْزِلِ والمَنْزِلَةِ، ويكونُ المَحَلُّ والمَحَلَّةُ المَوْضِعُ الَّذِي يُحَلُّ فِيهِ، ويكونُ المَحَلُّ مَصْدَرًا، وكِلَاهُمَا يَفْتَحُ الحَاءَ لِأَنَّهُمَا مِنْ حَلٍّ يَحُلُّ، أَمَّا مَجَلٌّ فَهُوَ مَنْ حَلَّ يَحِلُّ أَي وَجِبَ.

(٢) في الحمدونية والعرب (كَيْفَ أَصْبَحَتْ)، وفيهما وفي شعراء قشير وديوانه (عِرَاصُ الْوَلَّى)، وَهُوَ تَصْغِيرُ ظَاهِرٍ. وَالْعِرَاصُ وَالْفَرَصَاتُ جَمْعُ عَرَصَةٍ، وَهِيَ السَّاحَةُ وَالْفِنَاءُ. وَيُقَالُ: "خَلَّى الْأَمْرَ وَتَخَلَّى مِنْهُ وَعَنَهُ وَحَلَاهُ: تَرَكَهُ" (اللسان: خلا).

(٣) في العرب وشعراء قشير وديوانه (تُرَى أَطْنَابُهَا) وَلَا وَجْهَ لِلْخِطَابِ هُنَا، وَيُقَوَّى مَا أَثْبَتْنَاهُ قَوْلُهُ (شُدَّتْ) بِالْبَاءِ لِلْمَجْهُولِ. وَالْبَيْتُ وَمَا يَلِيهِ مِنْ أَيْاتٍ تُظْهِرُ أَنَّ الْقَصِيدَةَ قِيلَتْ فِي ارْتِحَالِ بَنِي عَمٍّ عَنِ الدُّبَارِ الَّتِي كَانَ يَغِيمُ فِيهَا إِلَى مَرَابِعٍ أُخْرَى فِي دِيَارِ قَشِيرٍ. وَتَقْوِيضُ الْبُيُوتِ طَيِّبًا بَعْدَ فَلَكَ أَطْنَابُهَا إِذْنًا بِالرَّحِيلِ.

(٤) شَدَّ ثِيَابَهُ عَلَى خَصْرِهِ لِيُقِلَّ مِنْ إِيلَامِ كِبِيدِهِ، وَالْحَشْوَةُ هُنَا الْخَشَا أَوْ الْأَحْشَاءُ. أَمَّا (صَبَّتْ) فَهِيَ بِمَعْنَى أَمْسَكَتْ بِهَا تَمَامًا، وَجَعَلَتْهَا فِي قَبْضَتِهَا فِي شِدَّةٍ (اللسان: ضبت)، وَالْبَيْنُ الْفِرَاقُ. أَمَّا الْاِخْرَافُ، فَهُوَ الارتفاعُ فِي السَّيْرِ وَالْأَرْضِ، وَاحْرَأَلَتْ الْإِبِلُ إِذَا احْتَمَعَتْ ثُمَّ ارْتَفَعَتْ عَنْ مَتْنٍ مِنَ الْأَرْضِ فِي ذَهَابِهَا (اللسان: حرزل). وَهَذَا يَسْقُ غِيَابَهَا عَنْ النَّظَرِ، لِأَنَّهَا عَمَّا قَلِيلٍ يُخْفِيهَا مُنْخَفَضٌ مِنَ الْأَرْضِ بَعْدَ ارْتِفَاعِهَا، وَهَذِهِ عَادَةٌ مَا تُكُونُ لِحُظَّةِ التَّنَظُّرَةِ الْآخِرَةِ الَّتِي يُلْقِيهَا الْعَاشِقُ.

(٥) يَتَمَتَّى لَوْ حَلَّ طُوفَانٌ بِالنَّاسِ جَمِيعًا.

(٦) فِرَاقُهَا كَأَنَّهُ نَهَايَةُ الدُّنْيَا عِنْدَهُ، لَكِنَّهُ يَتَمَتَّى لَوْ كَانَ ذَلِكَ عَلَى الْحَقِيقَةِ.

(٧) مَقْصُودُهُ إِلَى أَنَّ السَّعَادَةَ قَصِيرَةُ الْعُمُرِ؛ فِي حِينٍ يُسَيِّطُ الْحُزَنُ فِي الْأَعْمِ الْأَعْلَى، وَوَقَعَ الْأَمْرُ أَنَّ هَذَا كَانَ تَهْنِئًا مَعْرُوفًا عِنْدَ شُعْرَاءِ الْعَرَبِ، وَلِهَذَا تَجِدُ شَاعِرَهُمْ يَقُولُ:

يَطُولُ الْيَوْمُ لَا أَلْفَاكَ فِيهِ وَحَوْلَ نَلْتَقِي فِيهِ قَصِيرُ

وَتَرَى هَذَا الْمَعْنَى عِنْدَ شُعْرَاءِ عَصْرِنَا هَذَا، فَتَجِدُ مُحَمَّدَ دُرُوشٍ يَقُولُ فِي رِثَاءِ رَاشِدٍ حَسِينٍ إِنَّهُ كَانَ (طَوِيلًا كُنْشِيدَ سَاجِلِي وَحَزِينٍ، وَالْجَامِعُ بَيْنَ هَذِهِ الْأَقْوَالِ فِي مُجْمَلِهَا هِيَ أَنَّ الزَّمَانَ الْمَوْضِعِيَّ قَدْ يَخْتَلِفُ إِحْسَاسُ النَّاسِ بِهِ، فَتَخْتَلِفُ قِيَمَتُهُ الْفِيْزِيَاءِيَّةُ مِنْ نَمَّةٍ، فَهَذَا يَرَى اللَّيْلَ طَوِيلًا بِسَبَبِ حُزْنِهِ وَأَرْفَقِهِ، وَتَرَاهُ الْآخَرَ قَصِيرًا لِفَرَجِهِ وَحَلَاوَةٍ مَا يَذُوقُهُ فِيهِ.

- ١٢ ألا قاتل الله الحِمَامَةَ غُدُوَّةً عَلَى الْفَرَعِ مَاذَا هَيَّجَتْ حِينَ عَنَّتْ
- ١٣ تَعَنَّتْ غِنَاءً أَعْجَبِيًّا فَهَيَّجَتْ جَوَايَ الَّذِي كَانَتْ ضُلُوعِي أُجَنَّتْ
- ١٤ نَظَرْتُ بِصَحْرَاءِ الْبُرَيْقَيْنِ نَظْرَةً حِجَازِيَّةً لَوْ جُنَّ طَرْفُ لَجَنَّتْ^(١)
- ١٥ أَقُولُ لِعُثْمَانَ بْنِ وَهَبٍ وَقَدْ رَأَى سُخُوقِي جَرَتْ فِيهَا دُمُوعِي قَبَلَتْ^(٢)
- ١٦ أَلِكْنِي إِلَى طَيِّبَا، أَلِكْنِي لِحَاجَةٍ مِنَ الْحَاجِ قَدْ هَمَّتْ بِنَفْسِي وَهَمَّتْ^(٣)
- ١٧ بِأَيِّ مَا سَارَتْ، فَلَمَّا تَمَكَّنْتُ حَبَابُهَا مِنْ شُعْبَةِ الْقَلْبِ حَلَّتْ^(٤)
- ١٨ وَقَالَتْ: حَلَلْنَا وَادِيًا ذَا طُرُفَةٍ وَكَانَتْ مَطَايَانَا مِنَ السَّيْرِ كَلَّتْ^(٥)
- ١٩ فَحَلَّتْ مَحَلًّا لَمْ يَكُنْ حُلَّ قَبْلُهَا وَهَانَتْ مَرَاقِيهِ لَطِيبَا وَذَلَّتْ^(٦)

(١) صَحْرَاءُ الْبُرَيْقَيْنِ: رَمْلَةٌ فِي بِلَادِ قَشِيرٍ، مَتْنَى الْبُرَيْقِ (يَاقُوت: البريقان)

(٢) فِي دِيَوَانِهِ (عُثْمَانُ بْنُ وَهَبٍ)، وَلَا يَسْتَقِيمُ. وَعُثْمَانُ بْنُ وَهَبٍ أَخَذَ أَصْحَابُ الشَّاعِرِ، لَكِنِّي لَمْ أَقِفْ لَهُ عَلَى ذِكْرِ فِي الْمَصَادِرِ. أَمَّا (السُّخُوقُ)، فَهِيَ مُجَارِي الدَّمْعِ بِمَا يُحَاطَرُ الْعَيْنَ، وَسَخَفَتِ الْعَيْنُ الدَّمْعَ: حَذَرَتْهُ (اللسان: سَخَقَ).

(٣) أَلِكْنِي إِلَيْهَا؛ أَيْ أَرْسِلْنِي إِلَيْهَا، أَلْقِنِي بِهَا، أَلْقِنِي بِأَمْرِي (اللسان: ألك). أَمَّا الْحَاجُ فَجَمْعُ حَاجَةٍ. وَأَمَّا قَوْلُهُ (هَمَّتْ) الْأَوَّلَى، فَهِيَ مِنْ مَعْنَى هَمَّتْ يَوْمَ، أَيْ أَرَادَتْهُ، وَهَمَّتْ بِنَفْسِي أَيْ هَمَّتْ بِإِثْلَافِهَا، أَمَّا الْآخَرَى فَهِيَ مِنْ مَعْنَى الْهَمِّ، أَيْ أَسْكَنْتُهَا الْهَمَّ وَالْكَتَدَ (اللسان: هَمَم).

(٤) الشُّعْبَةُ: مَا شُعِبَ مِنَ الْجِلْدِ لِيَكُونَ حَقِيقَةً أَوْ مُرَادَةً؛ وَالشُّعْبُ هُنَا بِمَعْنَى خِرَزُرِ الْجِلْدِ بِالشُّعْبِ لِيُحَاطَ (اللسان: شَعَبَ)؛ فَكَأَنَّهُ أَرَادَ أَنَّهَا لَمَّا اسْتَحْكَمَتْ عِلَاقُ هَوَاهَا مِنْ قَلْبِهِ، وَأَوْثَقَتْهُ بِحِبَالِ الْوَصْلِ وَالْعِشْرِ حَتَّى تَمَكَّنَتْ مِنْ فَوَادِهِ، رَحَلَتْ فَحَلَّتْ مَا كَانَتْ أَوْثَقَتْ غُرَاهُ.

(٥) الطَّرِيفَةُ ضَرْبٌ مِنَ الْكَلَامِ، وَهِيَ مِنَ الثَّبَاتِ أَوَّلُهُ الَّذِي تَسْتَطِرُّهُ الْأَنْعَامُ فَتَرَعَاهُ، وَقِيلَ سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِطَرَفِهَا وَكَرَمِهَا، وَأُطْرِفَتِ الْأَرْضُ: كَثُرَتْ طَرِيفَتُهَا، وَأَرْضٌ مَطْرُوفَةٌ: كَثِيرَةُ الطَّرِيفَةِ (اللسان: طرف)، وَالْقَصْدُ هُنَا إِلَى الْوَادِي الْمُعْصِرِ الْخَصِيبِ، أَمَّا الْكَلَالُ فَالتَّكَبُّ.

(٦) الْمَرَاقِي: جَمْعُ (مَرَقٍ)؛ مَا يُرْتَقَى مِنَ الْأَرْضِ، وَهِيَ مَرْتَفَعَاتُهَا. وَقَوْلُهُ (هَانَتْ ...) وَذَلَّتْ) يُشِيرُ بِهِ إِلَى أَنَّ الصَّعَابَ ذُلَّتْ لِحَبِيبَتِهِ فِي رَحْلَتِهَا، وَإِلَى أَنَّ الْمَقَامَ طَابَ لَهَا فِي مَرْتَحِلَتِهَا عِنْدَ ذَلِكَ الْوَادِي. وَنَمَّةٌ مَا يُمَكِّنُ لِحُظَّةٍ هُنَا فِي قَوْلِهِ (طَيِّبَا) بَدَلُ (رَيَّا)، وَهُوَ أَنَّ الْقَصَائِدَ الَّتِي غَلَبَ عَلَى إِحْسَاسِ الشَّاعِرِ فِيهَا تَهْنِئَةٌ طَيِّبَا، أَوْ التَّسْلِيمُ لِفِرَاقِهَا وَفِرَاقِ دِيَارِهِ بَعْدَ أَنْ تَزَوَّجَتْ، قَدْ غَلَبَ عَلَيْهَا هَذَا الْأَسْمُ (طَيِّبَا)، فِي حِينِ غَلَبَ (رَيَّا) عَلَى قَصَائِدِ حَسِينِهِ إِلَيْهَا، وَتَشَوُّقِهِ إِلَى تَجَدُّدِ لِرَاحَتِهَا، وَلَعَلَّ الْأَسْمَ (طَيِّبَا) يُحْمِلُ فِي ثَنَائِهِ شَيْئًا مِنَ الطَّيِّبِ الَّذِي يَدُلُّ عَلَى التَّهْنِائَاتِ دَائِمًا، وَطَيِّ الْمَقَاوِرِ وَالرَّحِيلِ وَالْفِرَاقِ!

- ٢٠ خَلِيلِي، فِي طَيِّبَا أَقْلًا مَلاَمَتِي فَقَدْ بَخَلْتُ طَيِّبًا عَلَيْنَا، وَضَنْتِ^(١)
- ٢١ لَعْمَرِي، لَئِنْ أَحْبَبْتُ طَيِّبًا، وَأَثَرْتُ عَلَيَّ الْعِدَا، مَا سَنَّةُ الْعَدَلِ سَنَّتِ
- ٢٢ أَظَلُّ أَمْنِيهَا الْفُؤَادَ سَفَاهَةً إِذَا مَا انْطَلَوْتُ نَفْسِي عَلَى الْيَأْسِ مَلَّتِ^(٢)
- ٢٣ فَوَجَدِي بِطَيِّبًا وَجَدْتُ أَشْمَطَ رَاعَهُ يَوَاحِدِهِ دَاعِي الْمَنَايَا أَلَمَّتِ^(٣)
- ٢٤ وَوَجَدِي بِطَيِّبًا وَجَدْتُ بِكَرٍ غَرِيرَةً عَلَى وَالِدِيهَا فَارْقَاهَا فَجَنَّتِ^(٤)
- ٢٥ وَوَجَدِي بِطَيِّبًا وَجَدْتُ هَيْمَاءَ حَلَّتْ عَنْ الْمَاءِ كَأَنَّ مُنْدُ خَمْسِينَ ضَلَّتِ^(٥)

- ٢٦ إِذَا سَافَتِ الْأَغْطَانُ، أَوْ شَمَّتِ النَّارُ رَمَاهَا وَلِيَّ الْمَاءِ عَنْهُ، فَوَلَّتِ^(١)
- ٢٧ وَلَنْ أَشْرَفْتُ مِنْ أَكْمِ الْمَاءِ مَيِّفَعًا لَوْتُ رَجُلَهَا الْيُسْرَى بِالْآخِرَى فَحَنَّتِ^(٢)
- ٢٨ فَحَنَّتْ حَنِينًا يُطْرِبُ الصَّبَّ ذَا الْهُوَى وَقَدْ تَهَلَّتْ مِنْهُ بِيَأْسٍ وَعَلَّتِ^(٣)
- ٢٩ وَلَا وَجَدْتُ بِكَرٍ حُرَّةً أَرْحِيَّةً تَرُودُ حَوَالِي طِفْلِهَا قَدْ أَتَمَّتِ^(٤)
- ٣٠ أُتِيحَ لَهَا فِيمَا تَرُوحُ وَتَعْدِي خُشَارُمُ مِنْهُ رُعْبُهَا فَاشْمَعَلَّتِ^(٥)
- ٣١ وَجَاءَتْ مُجَاهَةً تَرَى فَرْتُ طِفْلِهَا سِرْحَانِهِ أَظْفَارُهَا قَدْ كَدَمَتْ^(٦)

(١) جرى في البيت على عادة الشعراء في نداء الصّاحبين، وقد تقدّم الحديث عن ذلك. وأضيف هنا أنّ من عادات الرّاحلين أنّ يكونوا جمّعا زُرُافات لا وخذائا، ويبدو أنّ أدنى عَدَمٍ للسّفر عند العرب في الأحوال العادية كان ثلاثة؛ تَلَمَحُ بِمَثَلِ هذا في قوله عليه الصّلاة والسّلام: (إِذَا كُنْتُمْ ثَلَاثَةً فَأَمَرُوا وَاحِدًا مِنْكُمْ)، ولهذا جرّت العادة بمُنَادَاةِ الْاِثْنَيْنِ أَكْثَرَ مِنْ نِدَاءِ الْوَاحِدِ وَالْجَمَاعَةِ عِنْدَ الشُّعْرَاءِ !

(٢) هاءُ المفعول (أَمْنِيهَا) تَحْتَمِلُ الْفُؤَادَ إِلَى (طَيِّبًا) فِي الْبَيْتِ الْمُتَقَدِّمِ؛ فَيَكُونُ الْمَعْنَى عَلَى هَذَا أَنَّهُ أَقَامَ دَهْرًا يُعْنِيهَا بِمِلْكِ فُؤَادِهِ، وَأَنَّهُ يَقَرُّ بِكَوْنِهِ سَفِيهَا لِمَا فَعَلَ، كَمَا تَحْتَمِلُ الْفُؤَادُ إِلَى (نَفْسِي) الْمَتَّاحِرَةِ فِي عَجَسِ الْبَيْتِ؛ فَيَكُونُ الْمَعْنَى عَلَى هَذَا الْوَجْهِ أَنَّهُ ظَلَّ يُعْنِي نَفْسَهُ يَمًا فِي فُؤَادِهِ مِنْ حُبٍّ، وَبِأَنَّهُ قَدْ قَرَّبَ وَصَالَهُ؛ لَكِنَّهُ كَانَ سَفِيهَا إِذْ أَمَسَ بِذَلِكَ، وَلَمْ يَأْمَنْ غَوَائِلَ الدَّهْرِ وَضُرُوفَهُ، حَتَّى تَمْلِكَ نَفْسُهُ الْيَأْسَ فَمَلَّتْ أَمَانِيَّةَ الْمَعْسُولَةِ الْخَادِعَةِ، وَيُقْوِي هَذَا الرَّجْعُ أَنَّهُمْ سَلَكُوا فِي شِعْرِهِمْ بِمَثَلِ هَذَا؛ يَقُولُ شَاعِرُهُمْ (أَعْلَلُ النَّفْسَ بِالْأَمَالِ). لَكِنَّ الْأَوَّلَ أَقْوَى وَأَقْرَبُ؛ مِنْ حَيْثُ يَدُلُّ عَلَى مِقْدَارِ خُضُوعِهِ لِحَبِيبَتِهِ، وَمَا كَانَ يَدُلُّ لَهَا مِنْ أَمَانِيٍّ؛ لَكِنَّهُ لَمْ يَقُوْ عَلَى مِلْكِهِ مَا يُحَقِّقُ بِهِ وَعُودَهُ !

(٣) الْأَشْمَطُ مِنَ الرِّجَالِ: الَّذِي وَخَطَ الشَّيْبَ فِي شَعْرِهِ، وَهُوَ الَّذِي بَلَغَ مِنَ الْعُمُرِ مَبْلَغًا يَحْتَاجُ فِيهِ إِلَى أَنْ يَسْتَظْهَرَ يَغْيَرُهُ عَلَى مَنَاعِبِ الدُّنْيَا، وَيُطَمِّئِنُّ إِلَى أَنَّ لَهُ مُعِينًا عَلَى ضُرُوفِهَا، وَقَارِبَ عَلَى سِنٍ لَا يُنْجِبُ فِيهَا، وَهَذَا الْمَعْنَى الَّذِي قَصَدَ إِلَيْهِ الشَّاعِرُ حِينَ قَالَ: (يَوَاحِدِي)؛ أَيِ بَائِيهِ الْوَحِيدِ. وَمَوْثِقَةُ الشَّمْطَاءِ (اللسان: شَمَطَ)، وَهُوَ فِي الْبَيْتِ يُصَوِّرُ مَدَى حَزْنِهِ وَفَجِيعَتِهِ بِفِرَاقِ رَبِّهَا .

(٤) الْبُكَرُ مِنَ النِّسَاءِ: الَّذِي لَمْ تَتَزَوَّجْ بَعْدَ، وَخَدِيئَةُ السِّنِّ يَمَعْنِي الْمَعْنَى؛ وَالْغَرِيرَةُ مِنَ النِّسَاءِ تُقَابِلُ الْغَرَّ مِنَ الرِّجَالِ؛ أَيِ لَمْ تَخْبِرِ الدُّنْيَا بَعْدَ؛ فَهِيَ فِي حَاجَةٍ إِلَى غَيْرِهَا؛ وَلَا سِيمًا أَبَوَيْهَا (اللسان: غَرَر).

(٥) الْهَيْمَاءُ: التَّاقَةُ الَّتِي أَصَابَهَا الْهَيْأُ؛ وَهُوَ شَيْءٌ الْعَطَشُ، وَخَلَّتْ؛ صَدَّتْ وَأَبْعِدَتْ، وَالْجُمُاسَانُ مَتْنَى الْجُمُاسِ؛ وَهُوَ وَرُودُ الْمَاءِ بَعْدَ خَمْسَةِ أَيَّامٍ، وَالْمَعْرَبُ يَقُولُ: ثَلَثُ وَرَبْعٌ ... إِلَى تِسْعٍ، وَلَا يَقُولُ: عَشْرٌ، وَلِلذَلِكَ نَتْنَى الشَّاعِرُ الْجُمُاسَ لِيَدُلَّ عَلَى انْقِطَاعِ التَّاقَةِ عَنْ وَرُودِ الْمَاءِ بَعْدَ عَشْرَةِ أَيَّامٍ، (اللسان: هِيمَ، حَلَا، حَمَسَ). وَالْبَيْتُ يُدَكِّرُ بِقَوْلِ ابْنِ الطُّفَيْرِيِّ:

فَمَا وَجَدُ مَلَوَاحٍ مِنَ الْهَيْمِ حَلَّتْ عَنْ الْمَاءِ حَتَّى جَرَفَهَا بِصَلْصَلٍ
تَحُورُ وَتَلَحَّاهَا الْعَصِي وَحَوَّلَهَا أَقَاطِيعُ الْأَعْمَامِ تَعَلَّ وَتَهَلَّلَ
بِأَكْثَرِ مَتْنِي غُلَّةٍ وَتَهَلَّلَا إِلَى الْوَرْدِ إِلَّا أَنِّي أَتَحَمَّلُ

(١) سَافَتِ الْأَغْطَانُ: تَشَقَّقَتْ رَائِحَةُ مَبَارِكِ الْإِبِلِ خُرُولَ الْمَاءِ (اللسان: سوف، عطن)، وَلِوَلِيِّ الْمَاءِ: الَّذِي يَفْرُلَى أَمْرُ سَفْيِ الْإِبِلِ، أَيِ حَلَّاهَا عَنْ الْمَاءِ فَاتْتَهَرَّتْ أَوْ رَمَاهَا بِحَجَرٍ فَوَلَّتْ .

(٢) أَشْرَفْتُ: نَظَرْتُهُ مِنْ مَكَانٍ مُشْرِفٍ عَلَيْهِ، وَهُوَ الْمَتَفَعُّ (اللسان: يفع)، وَالْأَكْمُ جَمْعُ أَكْمَةٍ، وَهِيَ أَشْرَافُ فِي الْأَرْضِ كَالرُّوَابِيِّ (اللسان: أَكَمَ)، وَأَمَّا لَهَا رَجُلَهَا الْيُسْرَى بِالْيَمْنَى فَكَيْفَايَةُ عَنْ تَحَسُّرِهَا عَلَى صَدِّهَا عَنْ الْمَاءِ مَعَ شِدَّةِ عَطَشِهَا، وَهِيَ تَرَى غَيْرَهَا يَرُدُّهُ فَلَا يُصَدُّ مِثْلَهَا، أَمَّا حَنِينُهَا؛ فَصَوْتُ حَزِينٍ تُطْلِقُهُ التَّاقَةُ حِينَ تُرَحَّلُ تَارِكَةً فَصَلِيلَهَا وَرَاءَهَا، أَوْ تَمُرُّ بِدَارٍ كَانَتْ فِيهَا قَبْلُ. وَالْجَدِيرُ بِالذِّكْرِ هُنَا أَنَّ غَزَلِي الْبَادِيَةَ أَكْثَرُوا فِي شِعْرِهِمْ مِنْ تَصْوِيرِ حَنِينِ الْإِبِلِ؛ كَمَا فَعَلُوا بِهَدْيِلِ الْحَمَامِ، وَوَضَفَوْهُ فِي تَصْوِيرِ لَوَاعِيهِمْ وَزَفَرَاتِهِمْ الْحَرَى حِينَ يَفَارِقُونَ دِيَارَهُمْ وَمَحْبُوبَاتِهِمْ .

(٣) الصَّبُّ: الْعَاشِقُ (اللسان: صَبَبَ)، وَالتَّهَلُّةُ: الشَّرُّةُ الْأُولَى؛ تَلِيهَا الْعَلَّةُ (اللسان: نهل، علل) .

(٤) بَدَأَ الشَّاعِرُ فِي هَذَا الْبَيْتِ مَعَ مَا يَلِيهِ (٢٦-٣١) بِاسْتِخْدَامِ التَّصْوِيرِ بِاللُّوْحَةِ، فَهُوَ يَرَسُمُ لَوُجْهِهِ صُورَةً مُقَابِلَةً بِاسْتِخْدَامِ أُسْلُوبِ التَّذْوِيرِ؛ حَيْثُ يُوْدِي كُلُّ بَيْتٍ جُزْئِيَّةً مِنْ جُزْئِيَّاتِ اللُّوْحَةِ الَّتِي يَرَسُمُهَا، وَهُوَ بِذَلِكَ يُحَاوِلُ أَنْ يَسْتَفْصِيَ التَّفْصِيْلَاتِ الَّتِي يَرَاهَا مُؤَدَّةً لِلْحَالَةِ الَّتِي يَرِيدُ تَصْوِيرَهَا. أَرْحَبُ: قَبِيلَةٌ مِنْ هَمْذَانَ تُنْسَبُ إِلَيْهَا النَّجَاطُ الْأَرْحِيَّةُ (اللسان: رَحِبَ)، تَرُودُ: تَرُوحُ وَتَعْدِي غَيْرَ أَمِينَةٍ؛ فَهِيَ تَقْطُلُ تَبَحُّثَ عَنْهُ (اللسان: راذ)، أَتَمَّتِ التَّاقَةُ، وَهِيَ مُيَمَّةٌ: دَنَا تَاجُهَا (اللسان: تَمَمَ) .

(٥) الْخُشَارُمُ: الْأَصْوَاتُ، وَخَشَرَمَتِ الضَّعِيعُ: صَوَّتَتْ فِي أَكْلِهَا (اللسان: خَشَرَمَ)، اشمَعَلَّتْ: ارْتَسَاعَتْ فَأَجْفَلَتْ مُسْرِعَةً (اللسان: شَمَعَلَ)، وَفِي هَذِهِ الْأَيَّاتِ صُورَةٌ لِنَاقَةِ أَتَمَّتْ حَمْلَهَا وَدَنَا تَاجُهَا، تَرَعَى وَطِفْلَهَا فَرَاغَهَا صَوْتُ أَجْفَلَتْ مِنْهُ، ثُمَّ عَادَتْ تَبْحَثُ عَنْ طِفْلِهَا فَوَجَدَتْ أَشْلَاءَهُ مُتَنَابِرَةً .

(٦) مُجَاهَةً: عَظِيمَةً الطَّنِّ بِسَبَبِ تَمَامِ حَمْلِهَا؛ أَيِ ثَقِيلَةً الْحَرَكَةَ (اللسان: فجا)، وَالْفَرْتُ: حَشَوُ الْمِعْدَةِ (اللسان: فرت)، وَالسَّرْحَانَةُ: أُنْثَى السَّرْحَانِ الذَّيْبَةِ (اللسان: سرح) .

- ٣٢ نَهَزُ مِنَ الْوَجْدِ الْحَصِيلَ ، وراعها صَوِيَّتْ حَنِيَّ خَلْفَهَا فَاقْشَعَرَّتْ^(١)
- ٣٣ فَمَا وَجَدَتْ مِنْ طِفْلِهَا غَيْرَ شِلْوِهِ شَمَاطِيطَ لَمْ تَقْنَعْ بِهَا حَيْثُ شَمَّتْ^(٢)
- ٣٤ فَظَلَّتْ تُرَاعِي شِلْوَهَا مُسْجِحَةً إِذَا سَلَيْتِ رَجَعَ الْحَنِينِ اسْتَهَلَّتْ^(٣)
- ٣٥ وَلَا أَمْ أَحْوَى شَادِنٍ عَطَفَتْ لَهُ قُبَيْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ ، أَوْ حِينَ ذُرَّتْ^(٤)
- ٣٦ فَلَمَّا سَفَقَتْهُ الدَّرُّ أَحْجَمَ قَائِمًا إِلَيْهَا قَلِيلًا ، ثُمَّ وَلَّى وَوَلَّتْ^(٥)
- ٣٧ إِلَى مَرْتَعٍ قَدْ عَوَّدَتْهُ وَمَهْمَلٍ سَلِيلٍ ، فَظَلَّتْ يَوْمَهَا حِينَ ظَلَّتْ^(٦)
- ٣٨ فَلَمَّا دَنَا الْإِظْلَامُ أَذْرَكَ سَمْعُهَا صَوِيَّتًا حَنِيًّا رَاعِيًا فَاحْزَلَّتْ^(٧)

- ٣٩ تَمَارَتْ عَلَى جَرَسٍ ، فَصَنَّتْ بِجِيدِهَا وَكَانَتْ عَلَى طُولِ الْحَلَاءِ أَذْلَتْ^(١)
- ٤٠ وَدَارَتْ بِأَذْنَى عَهْدِهِ ، ثُمَّ رَاجَعَتْ أُمَاقِي تَكْلَى ، مَا تَجِدُ مَا أَضَلَّتْ^(٢)
- ٤١ وَلَا وَجَدُ أَغْرَابِيَّةٍ قَذَفَتْ بِهَا صُرُوفُ النَّوَى مِنْ حَيْثُ لَمْ تَكُ ظَلَّتْ^(٣)
- ٤٢ يَشْدُ عَلَيْهَا الْبَابَ أَحْمَرُ لَازِمٍ عَلَيْهَا رُقَاقِي قَرِيَّةٍ قَدْ أَتَتْ^(٤)
- ٤٣ تَمَنَّتْ أَحَالِيبَ اللَّقَاحِ وَضَيْعَةً بِجَدٍ ، فَلَمْ يَقْدِرْ لَهَا مَا تَمَنَّتْ^(٥)

(١) تَمَارَتْ: شَكَّتْ وَتَوَحَّشَتْ خِيفَةً، وَهُوَ مِنَ الْبُورِيَّةِ (اللسان: مرًا)، الْجَرَسُ: الصَّوْتُ الْخَفِيُّ (اللسان: جرس)، فَصَنَّتْ بِجِيدِهَا (أو جِيدِهَا): رَفَعَتْ عُنُقَهَا فِي اسْتِيقَامَةٍ (اللسان: نصص)، وَهَذَا فِعْلٌ أَلْفَا رُؤْيَا الْخَيَوَانَاتِ الْبَرِّيَّةِ تَفْعَلُهُ حِينَ تُورِسُ مَا يُرِيحُهَا صَوْتًا أَوْ حَرَكَةً؛ وَذَلِكَ أَذْعَى لَهَا لِكَيْ تَرَى مَا حَوْلَهَا، وَتَسْمَعُ مَا يَصْدُرُ مِنْ أَصْوَاتٍ بَعِيدًا عَنِ الْأَرْضِ الَّتِي قَدْ تَقَلَّ أَصْوَاتُ أَقْدَامِ الْخَيَوَانَاتِ الْبَعِيدَةِ الْمَرَاكِضَةِ. الْحَلَاءُ وَالْحَلَاءَةُ: الْأَرْضُ الَّتِي تَقْشَرُ سَطْحُهَا، عَلَى التَّشْبِيهِ بِالْحَلَا وَالْحَلَى مَقْصُورًا وَمَهْمُوزًا، وَهُوَ الْقَشْرَةُ عَلَى جِلْدِ الْكُوعَيْنِ أَوْ الرُّكُوتَيْنِ (اللسان: حلا)، وَأَذَلَّتْ: عَهَدَتْ ذَلِكَ الْمَكَانَ فَاصْتَبَحَتْ لَا تَخَافُ الرَّعْيَ فِيهِ، وَهُوَ مِنَ الْإِذْلَالِ (اللسان: دلى).

(٢) أُمَاقِي: جَمْعٌ لِأَحْدَى الْأَلْفَاظِ الدَّالَّةِ عَلَى مُؤَخَّرِ الْعَيْنِ أَوْ مُقَدِّمِهَا، وَهِيَ: "مُؤَقٌّ وَمَأَقٌّ وَمُؤَقٌّ"، وَجَمْعُ "الْمُؤَقِّي وَالْمَأَقِّي" مَأَقٍ عَلَى الْقِيَاسِ، وَبَعْضُهُمْ يَزُكُّ هَمْزَهَا، وَيَجْمَعُهَا عَلَى أَمْوَاقٍ إِلَّا فِي لُغَةٍ مِنْ لُغَةٍ فَقَالَ: أَمَاقٍ (اللسان: ماق)، وَيَدُلُّ فِي الْبَيْتِ عَلَى أَنَّهَا ضَلَّتْ عَنْ شَادِنِهَا بِسَبَبِ الصَّوْتِ الَّذِي رَاعِيَهَا، ثُمَّ أَخَذَتْ تَدُورُ فِي الْمَرْعَى فَلَمْ تَجِدْهُ، فَاعْوَدَتْهَا الْبُكَاءُ.

(٣) لَعَلَّ فِي هَذَا الْبَيْتِ وَمَا يَلِيهِ (٤١-٤٤) مَا يَذْكُرُ بِأَيَّامٍ مَبْسُورٍ بِنْتٍ تَحْذِلُ حِينَ قَالَتْ:

لَبِيتُ تَخْفِيقُ الْأَرْوَاحِ فِيهِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ قَصْرِ مُنِيفٍ
وَلَبَسْتُ عِبَادَةَ وَتَقَرَّ غِنِي أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ لَبْسِ الشُّفُوفِ

(٤) الْأَحْمَرُ مِنَ الرِّجَالِ: الْبَحِيلُ الَّذِي لَا يُعْطِي إِلَّا بَعْدَ الْإِحْجَاجِ، وَهُوَ غَيْرُ ذِي السَّلَاحِ (اللسان: حمر)، وَالرُّقَاقِي: الطَّرِيقُ الضَّيِّقُ التَّافِذُ وَغَيْرُ التَّافِذِ، وَهُوَ دُونَ السَّكْوَةِ - يُذَكَّرُ وَيُؤنَّثُ (اللسان: رقق)، وَأَبْنَى فُلَانٌ بِالْمَكَانِ إِذَا لَزِمَهُ وَأَقَامَ فِيهِ (اللسان: بن)، وَفِي هَذَا الْبَيْتِ يَصِفُ حَالِ الْأَغْرَابِيَّةِ الَّتِي كَانَتْ تَمْلِكُ حَرِّيَّتَهَا فِي الْإِنْطِلَاقِ بِلَا قَيْدٍ؛ ثُمَّ أَصْبَحَتْ رَهِيْنَةً جُدْرَانِ بَيْتٍ يَشْدُ بِأَنَّهُ عَلَيْهَا بِحِيلٍ مَقِيَّتٌ مُلَازِمٌ لِلْبَابِ لَا يُفَارِقُهَا؛ وَيَسْدُ عَلَيْهَا أَرْقَةَ الْقَرِيَّةِ الَّتِي بِهَا تَقِيْمُ فَلَا يَأْذُنُ لَهَا بِالْخُرُوجِ.

(٥) أَحَالِيبُ الْإِقْلَاحِ: مَا تَدْرُهُ التَّاقَةُ الَّتِي تُنْتِجُ فِي أَوَّلِ الرَّبِيعِ، فَلَا تَزَالُ لِقَاحًا حَتَّى يُدْبِرَ الصَّيْفُ عِنْدَهَا، وَاللَّقْحَةُ: التَّاقَةُ مِنْ حِينَ يَسْتَنْ سَنَامٌ وَلَدِهَا، لَا يَزَالُ ذَلِكَ اسْمَهَا حَتَّى يَحْضِيَ لَهَا سَبْعَةُ أَشْهُرٍ وَيُفْضَلُ وَلَدُهَا، وَذَلِكَ عِنْدَ طُلُوعِ سُهَيْلٍ، وَهِيَ فِي هَذِهِ الْمَدَّةِ أَغْرَزُ وَأَطْيَبُ مَا تَكُونُ لَبْنًا (اللسان: لقح)، وَلِهَذَا شَبَّهُوا الْحَدِيثَ الْحَسَنَ بِوَإِذْ يُشَابُ بِمَاءٍ بَارِدٍ مِنْ شُقُوقِ الصَّخَرِ وَعَسَلٍ، قَالَ شَاعِرُهُمْ:

وَإِنْ حَدِيثًا مِنْكَ لَوْ تَبَدَّلَتْهُ جَنَى التَّحْلِ فِي أَلْبَانِ غُودٍ فَطَافِلٍ
مَطَافِلٍ أَبْكَارٍ حَدِيثٍ تَنَاجِيَا يُشَابُ بِمَاءٍ مِثْلِ مَاءِ الْمُتَفَافِلِ

أَمَّا الضَّيْعَةُ، فَكُلُّ أَرْضٍ مُحَصَّنَةٍ لَهَا مَنْ يَقُومُ عَلَيْهَا فَيَعْرِفُهَا وَيَرْزُقُهَا (اللسان: ضيع).

(١) الْخَصِيلُ: اللَّتَبُ غَرِيرُ الشَّعْرِ (اللسان: خصل).

(٢) الثَّلْوُ: كُلُّ مَسْلُوحَةٍ أَكَلَ مِنْهَا شَيْءٌ فَبَقِيَ شِلْوُ (اللسان: شلا)، وَالشَّمَاطِيطُ: الْقِطْعُ الْمُنْتَائِرَةُ، وَاحِدُهَا شِمَاطِيطٌ وَشَمُطُوطٌ وَشِمُطَاطٌ (اللسان: شَمَط).

(٣) ظَلَّتْ تُرَاعِي شِلْوَهَا: أَيِ ظَلَّتْ قَائِمَةً عَلَيْهِ تَشْمُهُ وَتَلَاظِمُهُ بَيْنَ حَنِينٍ وَبُكَاءٍ.

(٤) الْحَوَّةُ: السَّوَادُ فِي الشَّفَتَيْنِ، وَالْأَحْوَى وَمُؤَنَّثُهُ حَوَاءٌ (اللسان: حوا)، وَهَذِهِ الصَّفَةُ إِنَّمَا جَاءَتْ مِنْ سُمَرَةِ الطَّبَنِ الَّذِي خُلِقَ مِنْهُ الْبَشَرُ، وَهِيَ الْحَوَّةُ الَّتِي مِنْهَا حَوَاءُ، وَالْأُدْمَةُ الَّتِي مِنْهَا آدَمُ (ع). أَمَّا الشَّادِنُ فَوَلَدُ الظَّبْيَةِ (اللسان: شدن)، وَأَمَّا ذُرَّتْ الشَّمْسُ فَظَلَّتْ (اللسان: ذر).

(٥) الدَّرُّ: الْحَلِيبُ، وَأَحْجَمَتْ الْمَرَأَةُ الْمَوْلُودَ: أَرْضَعَتْهُ أَوَّلَ إِرْضَاعِهِ، وَحَجَمَهَا هُوَ وَأَحْجَمَهَا: مَصَّ ثَدْيَهَا (اللسان: حجم).

(٦) الْمَرْتَعُ: الْمَكَانُ الْمُحْصَبُ الَّذِي تَرْتَعُ فِي الْأَنْعَامِ (اللسان: رتع)، وَالْمَهْمَلُ: الَّذِي تَرْتَاذُهُ الْهَوَامِلُ مِنَ الْإِبِلِ؛ وَهِيَ الَّتِي لَيْسَ لَهَا رَاعٍ يَرَعَاهَا، فَهِيَ ضَالَّةٌ لَا رَعَاءَ لَهَا، وَلَا مَنْ يُصْلِحُهَا وَيَعْنِي بِهَا، وَفِي الْمَثَلِ: "اِخْتَلَطَ الْمَرْعِيُّ بِالْمَهْمَلِ" (اللسان: همل)، وَالسَّلِيلُ: الْوَادِي الْوَاسِعُ (اللسان: سل).

(٧) احْزَلَّتْ: انْقَضَتْ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ مِنَ الْخَوَافِ (اللسان: جزل)، وَنَحْنُ نَرَى مِثْلَ هَذَا فِي الْخَيَوَانَاتِ وَالْبَشَرِ جَمِيعًا؛ وَتَعْلِيلُهُ أَنَّ الْخَوْفَ يَسَبِّبُ صَدَمَةً عَصِيَّةً تَقْلُصُ عُضَلَاتِ الْجِسْمِ بِسَبَبِهَا؛ وَيَنْجُمُ عَنْ هَذَا التَّقْلُصِ اجْتِمَاعُ الْأَطْرَافِ إِلَى الْجِسْمِ، فَضْلًا عَنْ انْقِبَاضِ الْأَحْشَاءِ وَالْمَعْدَةِ وَتَقَوُّسِ الظَّهْرِ، فَكَأَنَّ الْمَحْزِلَ يَتَكَوَّرُ كَالْكُرَةِ فِي اجْتِمَاعِ جَسَدِهِ.

- ٤٤ إِذَا ذَكَرْتُ مَاءَ الْعَظَاةِ وَطَبِيبَهُ وَبَرَدَ الْحَصَا مِنْ أَرْضٍ بَجْدٍ أَرَسْتُ^(١)
- ٤٥ بِأَكْبَرٍ مِنْ وَجْدٍ بِطَيَّا وَجِدْتُهُ غَدَاةً ارْتَحَلْنَا غُدُوَّةً وَاطْمَأَنَّتِ^(٢)
- ٤٦ لَهَا فَحِذَا بُحْثِيَّةٌ بِحَرْيَّةٍ وَسَاقٌ إِذَا قَامَتْ عَلَيْهَا ائْتَهَلَتْ^(٣)
- ٤٧ وَخَصْرَانِ دَقًّا فِي اعْتِدَالٍ، وَمِنَّةٌ كَمِنَّةٍ مَصْقُولٍ مِنَ الْهِنْدِ سُلَّتِ^(٤)
- ٤٨ وَعَيْنَا أَحْمَ الْمُدْرَيْنِ وَمَضْحَكٌ إِذَا مَا جَرَتْ فِيهِ الْمَسَاوِيكُ زَلَّتِ^(٥)

(١) ماء العظاة: ماء يئتي كعب بن أبي بكر، وهو في الأصل (العظاة) (البلدان: العظاة) لم يذكره الجاسير، قلت: لعلها مُحَرَّفَةٌ عن (العضاء)، والمأثور أنهم كانوا يلقبون الضاد طاءً أحياناً، والعكس ثابت عنهم، ولعل هذه أوفق للمعنى؛ حيث يريد أن يُصوِّرَ شوق الأعرابية إلى ديارها بكل ما فيها، وتَمَتُّبُها ذلك كله على شِدَّةٍ ما فيهِ وقسوته؛ لأنه يظل أطيب عندها من حياة المَدَنِيَّةِ بما فيها من ألوان العيش الرغيد، والعضاء كل شجر ذي شوك (اللسان: عضه)، وأرست: أغرقت في بكائها وصوتت (اللسان: رن).

(٢) اطمأنت: استوطنت وأقامت في المكان الذي ارتحلت إليه، أو رحل هو عن الديار وظلت هي في ديارها مقيمة (اللسان: طمن).

(٣) البُحْثِيَّةُ من الإبل: تلك التي أصلها من خراسان، والإبل الخراسية تُنتج من بَيْنِ عَرَبِيَّةٍ وفاليج، وهي معروفة بطول أعناقها، وضخامة خلقها، وامتلأ أفخاذها (اللسان: بخت)، والبَحْرِيَّةُ منها: ما كان يمشي البَحْرِيَّةُ، (اللسان: يَحْتَر)، وهذا أدعى لامتلاء نحضها والتفاف فخذيهما. أما قوله: (ائتهلت)، فهو من الاعتدال في القامة (اللسان: مهل).

(٤) الخَصْرَانِ: مثنى الخَصْر، وهو الحاصرة أيضاً، ما بين الحرقفة والقَصِيرَى (اللسان: خصر)، والمثنان: لَحْمَتَانِ معصوبتان بينهما صلب الظهر (اللسان: متن)، وهما نسيجان عضليان طويلان يمتدان على جانبي العمود الفقري من أسفل الظهر حتى الرقبة، والشاعر يقصد هنا اعتدال القوام؛ فهاتان العضلتان تكونان سبباً في بقاء الظهر معتديلاً، وقد يصيبهما شد أو ارتعاش فيسبان فيه التقوس والالحناء، وهذا ما نلاحظه أحياناً عند بعض المستن، والمنته المعتدلة تدل على الشباب.

(٥) أَحْمَ الْمُدْرَيْنِ: أسود القرنتين من الغزلان والطباء، والمدرى: القرن يدرى به الطي أو الغزال ضربات غيره من الحيوانات من مثله، أو المُفْتَرَسَةُ (اللسان: حم، درى)، والمَضْحَكُ: يقصد به هنا إلى وصف أسنانها بآية ذكره المساويك بَعْدَهُ، وإذا زلت المساويك عن الأسنان كان ذلك دليلاً على نفاقتها ونصاعيتها وملاسيتها وبعيرها واستوائها، والمساويك جمع مسواك، هو عود يؤخذ من شجر الأراك، ثم تلحى قشرة مُقَدِّمِهِ فيصبح كالفرشاة، تُنظف به الأسنان.

- ٤٩ وَدَاجٍ عَلَى اللَّبَاتِ وَخَفَ كَأَنَّهُ عَنَاقِيدُ جُؤْنٍ مِنْ كُرُومٍ تَدَلَّتِ^(١)
- ٥٠ فَإِنَّ يَكُ هَذَا عَهْدَ طَيَّا وَأَهْلَهَا فَهَذَا الَّذِي كُنَّا ظَنَنَّا وَظَنَنْتِ^(٢)
- ٥١ وَكَانَتْ رِيَّاحٌ تُحْسِرُ الْحَاجَ بَيْنَنَا فَقَدْ عَمِيَتْ أَرْوَاحُ طَيَّا وَصَمَّتِ^(٣)
- ٥٢ خَلِيلِي، فِي طَيَّا أَعِينَا أَخَاكُمَا فَقَدْ بَخَلَتْ طَيَّا عَلَيْنَا وَضَمَّتِ^(٤)
- ٥٣ قَطَعْتَ طَيَّا أَلْهَمَ وَالْفَقْرَ وَالْعَنَى وَطَيَّا مَنَى تَفْسِي إِذَا مَا تَمَنَّتِ^(٥)
- ٥٤ وَطَيَّا أَرْوَجَ الْجَبِيْبِ، مَهْضُومَةُ الْحِشَا كَمَزْنَةِ صَيْفٍ هَجَرَتْ فَاسْتَهَلَّتِ^(٦)

(١) الداجي: الشجر الأسود (اللسان: دجى)، اللَّبَات: جمع لبة، وهي مخمعة الصدر والتهدئين مما يلي العنق (اللسان: لب)، ولاستواء اللبة وملاسيتها أطلفت على ما يحيط فوهة التركبان من صهير أملتس صليبي في الإنجليزية، وعلى الجيم بعامَّة (Lava). أما الوخف فالشجر الكيف الحسن المُرَحَّل، وشبهه بعد يعناقيد الكرمة السود (اللسان: وخف).

(٢) هكذا في الروايات، ولعلها (فما ذا الذي كنا ظننا وظننت).

(٣) الْحَاج: جمع حاج، والحاجة في كلام العرب أصلها الحاجة حذفوا منها الباء؛ فلما جمعوها أعادوا إليها ما حذفوا منها، فقالوا: حاجة وخَوَاج (اللسان: حوج)، والأرواح: جمع ريح، وأصلها بالواو (اللسان: روح)، وقد تقدم بيت ميسون بنت بحدل. وهاتان لطيفة تقضي الذكر؛ وهي أن الألفاظ التي تُطلق على الإنسان مثل: (الروح، والتفلس، والتسمة)، مأخوذة في أصلها من ثلاث كلمات ثقابها، وهي: (الريح/الروح، والتفلس، والتسمة)، وكلها متعلقة بالهواء؛ ولا ريب في أن الهواء أهم ما يقيم حياة الإنسان، ولهذا جعل الله ملكيته عامَّة لا خاصة، ثم الماء وملكته عامَّة وخاصة، ثم الطعام وملكته خاصة؛ ذلك بأن الإنسان لا يصير على انقطاع الهواء عنه دقائق، ويصير أياماً على العطش، ويصير أسابيع على انقطاع الطعام.

(٤) عَجَزُ هذا البيت تكرر؛ فقد كان عَجَزُ البيت العشرين من القصيدة، ويكاد صدره يكون كذلك.

(٥) في ديوانه بالعرب (والعنى)، والبيت بهذا لا يستقيم معناه؛ إذ يُدْخِلُهُ التناقض. وقطع بها أَلْهَمَ وَالْفَقْرَ وَالْعَنَى؛ أي لم يشعر بهذه الثلاثة حين كان حبل الوصال قائماً بينهما، والعنى والعناء سببان.

(٦) أَرْوَجَ الْجَبِيْبِ: طيبة الرائحة، وقد يقصد بها على المجاز طيب الذكر (اللسان: أريج)، ومهْضُومَةُ الْحِشَا: أي دقيقة الخصرين، لا عظيمة البطن (اللسان: هضم)، مَزْنَةُ الصَّيْفِ: السحابة الرقيقة البيضاء الخفيفة، وهجرت: أي ظهرت وقت المهاجرة، وهي نصف النهار، وسارت في السماء (اللسان: هجر)، واستهلت: سالت فطرها.

- ٥٥ إذا جَلَسَتْ بَيْنَ الْغَوَانِي عَشِيَّةً عَلَى أَيِّ حَالٍ : عَاطِلًا أَوْ تَحَلَّتْ^(١)
- ٥٦ سَمَتْ تَحَوَّهَا الْأَبْصَارُ أَوَّلَ وَهْلَةٍ بَدَيَا ، وَعَادَتْ تَحَوَّهَا ، فَتَتَّ^(٢)
- ٥٧ خَلِيلِي هَذَا زُفْرَةُ الْيَوْمِ قَدْ مَضَتْ فَمَنْ لَعْدٍ مِنْ زُفْرَةٍ قَدْ أَطْلَتْ
- ٥٨ وَمِنْ زُفْرَاتٍ لَوْ قَصَدَنْ قَتَلَنِي تَقْضُ الْيَوْمَ بَقِيَّتِي قَدْ تَوَلَّتْ

قافية الجيم (٨)

{ الخفيف }

- ١ إِنْ أَفَارَقَهُمْ فَقَدْ عِشْتُ دَهْرًا فِي سُرُورٍ مِنْ قُرْبِهِمْ وَأَيْتِهَاجٍ
- ٢ فَرَمْنَا الْأَيَّامَ أَغْفَلَ مَا كُنْذُ نَا عَلَى غَفْلَةٍ بَيْنَ مُفَاجِي^(١)
- ٣ فَأَنْصَدَعْنَا صَدْعَ الزُّجَاجَةِ بَاتَتْ كَيْفَ لِي بِأَنْصِدَاعِ صَدْعِ الزُّجَاجِ^(٢)

تخريج الأبيات :

أُمَالِي الْيَزِيدِي / ١٥٠، رواها عن عمِّه فضل عن عُيَيْنَةَ بْنِ الْمِنْهَالِ، والمراثي / ٣١٠، وليست في العرب ولا في ديوانه

تخريج الأبيات :

قال الهجري: "ريادة للصِّمَّة بن عبد الله، أولها: ألا"، ثم روى البيهقي الأول والثاني. قال: "أنشدني الشُّهْرَانِيُّ لمضاء بن مُضَرَّحِيٍّ بن الثَّوَيْبِ بن الصِّمَّة ...". تعليقات الهجري- الحمادي (مقطوعة ١٧٥). وفي حماسة الخالد بن: "أنشدني عداء بن مضاء من ولد الثَّوَيْبِ ابن الصِّمَّة بن طُفَيْل بن زيد بن ثور بن سَوَادَةَ بن قُرَّة بن سَلَمَةَ الخير بن قُشَيْر (مقطوعة ١١٥)، الأغاني ٤٣٥/٥، تجريد الأغاني ج ١/ ٧١٧/٢، سمط اللآلي ٧٣٦/٢، التذكرة الحمدونية ٦/ ٧١-٧٢، المرزوقي ٣/ ١١١٠، التبريزي ٧٤/٣، المجتني ٦٤، ٨٣، أمالي الرَّجَّاجِي / ١٥، ٢٤، وقد أكَّد نسبها إليه أيضًا العَوْنِيُّ الصُّحَارِيُّ؛ إذ أوردَ منها أبياتًا ثلاثًا في مواطن ثلاثٍ من كتابه (الإبانة ٢٥٩/١، ٩٥/٢، ١٥٢/٢)، وصرَّح بالاسم فيها جميعًا. محاضرة الأبرار ٢٤٨/٢، تزيين الأسواق ١/ ٢٣١. الحماسة الشجرية ٥٥٩-٥٦٠، ونسب بعضُها لعلِّي بن عُمَيْرَةَ الجَرْمِيِّ، ومنها في معجم البلدان خمسة أبيات (الحمى)، وثلاثة منها تُسَبِّتُ لامرأة فيه (ربان)، ورويت ثمانية لأعرابي في مصارع العشاق / ١٦٧، العرب / ١٥٥-١٦٠، ديوانه المطبوع / ٣٨

(١) الْغَوَانِي: جَمْعُ غَانِيَةٍ، وَهِيَ الْحَسَنَاءُ الَّتِي غَنِيَتْ بِحُسْنِهَا وَذَلَّهَا عَنْ الْحَلِيِّ (اللسان: غنى)، وَالْعَاطِلُ مِنَ النِّسَاءِ: الَّتِي لَمْ يَكُنْ عَلَيْهَا حَلْيٌ، وَأَمَّا الْحَالِي، وَمَنْ تَحَلَّتْ، فَهِيَ الَّتِي عَلَيْهَا حَلْيٌ (اللسان: حلى، عطل).

(٢) الْوَهْلَةُ: أَوَّلُ الرُّؤْيَا، وَالْمَرَّةُ مِنَ الْوَهْلِ، وَهِيَ مَنْ وَهَلَ يَوْهَلُ وَهْلًا (اللسان: وهل). وَالْبَدْيُ وَالْبَدْيُ الْأَوَّلُ، وَمَنْ قَوْلُهُمْ: "افْعَلْهُ بَادِيً بَدْيً، عَلَى فَعْلٍ، وَبَادِيً بَدْيً، عَلَى فَعْلٍ، أَيْ أَوَّلُ شَيْءٍ، وَالْبَاءُ مِنْ بَادِيٍّ سَاكِئَةٍ فِي مَوْضِعِ التَّصْبِرِ؛ هَكَذَا يَتَكَلَّمُونَ بِهِ (اللسان: بدأ)

(١) أَصْلُهَا (مُفَاجِيٌّ)، وَقَدْ سُهِّلَتِ الْهَمْزَةُ فِيهَا.

(٢) وَرَدَتْ فِي الْأَصْلِ هَكَذَا، وَلَعَلَّهَا (كَيْفَ لِي بِأَنْصِدَاعِ صَدْعِ الزُّجَاجِ)، فَهِيَ إِنَّمَا يَتَمَنَّى أَنْ يَعُودَ شَمْلُهُ بِرَبِّهَا مُجْتَمِعًا، وَأَنْصِدَاعُ صَدْعِ الزُّجَاجِ (كَسْرُهُ) يَزِيدُ افْتِرَاقَهُ عَنْ حَبِيبَتِهِ !

قافية الحاء

(٩)

{ الطويل }

١ كدَاءِ الشَّجَا بَيْنَ الْوَرِيدَيْنِ ، كَلَّمَا
ذَكَرْتُكَ ، لَمْ تَقْدِرْ عَلَيْهِ النَّحَانُحُ^(١)

تَخْرِيجُ الْبَيْتِ :

تعليقات الهجري- الحمادي (مقطوعة ١٧٧)، تعليقات الهجري- الجاسر

ق ٦٨١/٢، العرب / ١٦٠، ديوانه / ٥٣

(١) في التعليقات (الشحابين) وهما تصحيف وتخريف سيّان. وقد ذهب الحمادي إلى أن الأصح هو ما أثبتته، ثم ذهب يفسره بالشحاح والشحيج ! ومال إلى جعله مما يفعله البحيل إذا سئل شيئاً، وليس صحيحاً. والأصح ما أثبتناه (كداء الشجا بين الوريدين)؛ أي في الخلق، والشجا شبه العَصَا حين لا تفارق الخلق، ويدل به الشاعر على ما يَكُنُّم في صدره من ألم مُحْتَقِن.

قافية الدال

(١٠)

{ الطويل }

١ خَلِيلِيَّ ، إِنْ قَابَلْتُمَا الْهَضْبَ ، أَوْ بَدَا
لَكُمْ سَنَدُ الْوَدَّكَاءِ ، أَنْ تُبْكِيَا جَهْدًا^(١)
٢ سَلَا عَبْدُ الْأَعْلَى حَيْثُ أَوْفَى عَشِيَّةً
خُرَازِي ، وَمَدَّ الطَّرْفَ ، هَلْ آسَرَ التَّجْدَا^(٢)
٣ فَمَا مِنْ قَلِيٍّ لِلتَّجْدِ أَصْبَحَتْ هَا هُنَا
إِلَى جَبَلِ الْأَوْشَالِ مُسْتَحْيَا بُرْدًا^(٣)

(١) يقصد الشاعر بالهضبة الهضبة الواقعة في عالية نجد بقرب المردمة؛ وهو في جنوب البحر نحو العرب يميل واحد، وما يزال معروفاً (العرب: ١٥١). وهو عند ياقوت علم على أماكن كثيرة، فيها هضبة القلب، قال: "علم فيه شعاب كثيرة، قال الأصمعي: هضبة القلب يتجلى، والهضبة جبال صغار والهضبة في وسط هذا الموضع. قال العامري: هضبة القلب نصف ما بيننا وبين بني سليم؛ حاجز ما بيننا وبينهم" (البلدان: الهضبة).

أما سَنَدُ الْوَدَّكَاءِ؛ فالسند عند ياقوت ما قبالك من الجبل وعلا من السفح، والسند ماء معروف لبني سعد، وقرية من قرى هراة، والمقصود ماء بني سعد (البلدان: السند)، وقال في الودكاء: "من الودكاء؛ وهو الدهن والدسم: رملة أو موضع بعينه" (البلدان: الودكاء). وقد عرّف الجاسرُ بها فقال: "الودكاء ذكرها الشاعر مضافاً إليها سنداً؛ أي جانباً من الرمل، وذكر معها الهضبة، والودكاء هذه مادة (لعلها ماء) في أعلى وادي خنثل المعروف الآن، وهو قريب من جبال الهضبة" (العرب: ١٥١).

(٢) ديوانه (عبد الأعلى)، ولا يستقيم بها وزن، ولعل عبد الأعلى يكون أحد أصدقائه، أما خرازي، فقد عرّف بها الجاسر بقوله: "ويُسَمَّى خراز بدون ألف، وهو جبل لا يزال معروفاً يُشاهد من بلدة دُخْنَة الواقعة في عالية نجد رأي العين" (العرب: ١٤٥)، وقال ياقوت: "خراز وخرازي هما لغتان؛ كلاهما يفتح أوله ... اختلفت العبارات في موضوعه؛ فقال بعضهم: هو جبل بين منيع وعاقيل بإزاء حمى ضريبة ... وقال أبو زياد: هما خرازان؛ وهما هضبتان طويلتان بين آبائين: جبل بني أسد وبين مهَبِّ الجنوب، على مسيرة يومين يواد يقال له منيع، وهما ببلاد بني عامر وبني أسد" (البلدان: خرازي).

(٣) في التعليقات (من قلمي)، (أصبحت)، وجبل الأوشال تقدّم ذكره والتعريف به في مطلع تائيته.

- ٤ وَلَكِنْ حَاجَاتِ الْفَتَى قَدْفَ بِهِ
٥ دَعُونِي مِنْ بَجْدٍ فَإِنْ سِـبِنِنَهُ
٦ لَحَا اللَّهُ بَجْدًا كَيْفَ يَبْرُكُ ذَا النَّدَى
٧ عَلَى أَنْ بَجْدًا قَدْ كَسَانِي حُلَّةً
٨ سَوَادًا، وَأَخْلَقًا مِنَ الصُّوفِ بَعْدَمَا
٩ أَلَا أَيُّهَا الْبَرُّقُ الَّذِي بَاتَ يَرْتَقِي
١٠ وَهَيَّجَنِي مِنْ أَذْرِعَاتٍ وَمَا أَرَى
١١ سَقَى اللَّهُ بَجْدًا مِنْ رِبْعٍ وَصَيِّفٍ
١٢ وَبَجْدًا إِذَا جَادَتْ بِهِ رَهْمُ الْحَيَا

(١) في التعليقات (حاجات الفتى)، وقُذِفَ: أي أنَّ حاجات الإنسان تتفاقم بين حلِّ وإرتحال .
(٢) في التعليقات (تجدد ألف)، (وَحَرُّ الْقَوْمِ)، وديوانه (تَحْسِينُهُ)، وتجدد يُذَكِّرُ ويؤكِّث، وقد ورد البيت على روايتين (كيف تَزُكُّ)، (كيف يَزُكُّ) .

(٣) قالَ ياقوت في أذرعات: " كَأَنَّهُ جَمَعَ أَذْرَعَةً؛ جَمَعَ ذِرَاعٍ جَمَعَ قِلَّةً، وَهُوَ بَلَدٌ فِي أَطْرَافِ الشَّامِ يُجَاوِرُ أَرْضَ الْبَلْقَاءِ وَعَمَّانَ، يُنسَبُ إِلَيْهِ النُّحْمَرُ " (البلدان: أذرعات). ويبدو أنَّ الشاعر مرَّ بأذرعات في طريقه إلى الشَّامِ، أو أنَّه مرَّ بها في إحدى تَفْلَاتِهِ، والبيت والذي تقدَّمه لَمْ يُثَبِّتْهُمَا الْجَاهِلُ وَالْفَيْصَلُ لَهُ .

(٤) في التعليقات (تُرحَى)، وفي نِزَانَةِ الْبَغْدَادِي (وَجَوْدٌ وَتَسْكَابٍ سَقَى مُرْتُهُ نَجْدًا). الرَّبِيعُ وَالصَّيْفُ الْمَطَرُ وَقُتِ الرَّبِيعُ وَالصَّيْفُ، وَإِذَا كَانَ الْمَكَانُ يَسْقِيهِ الْحَيَا شَيْئًا فِي الْوَضْعِ الْعَادِيِّ، وَجَادَهُ الْغَيْثُ فِي الرَّبِيعِ وَالصَّيْفِ، كَانَ حِينَئِذٍ دَائِمَ الْخُضْرَةِ وَالْمَاءِ، وَهُوَ أَذْعَى لِجُصْبِهِ وَاسْتِقْرَارِ أَهْلِهِ فِي جِوَاهِمِهِ .

(٥) في التعليقات (بِهِ الْمَكَانُ وَالنَّقْلُ)، وَالرَّهْمُ جَمْعُ رَهْمَةٍ: الْمَطَرُ الْخَفِيفُ الدَّائِمُ الصَّغِيرُ الْقَطَرِ (اللسان: رهم)، أَمَّا الْمَكَانُ فَضَرْبٌ مِنَ التَّبَاتِ زَهْرَتُهُ صَفَرَاءُ صَغِيرَةٌ (اللسان: مكن)، وَأَمَّا النَّقْلُ، فَضَرْبٌ مِنَ التَّبَاتِ دَقِيقُ (اللسان: نفل) .

- ١٣ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّيْلَ يَقْصُرُ طُولُهُ
١٤ بَلَى، إِنَّهُ قَدْ كَانَ لِلْغَيْشِ قُرَّةُ
١٥ خَلِيلِي، قَوْمًا أَشْرَفُوا الْقَصْرَ فَانْظُرَا
١٦ وَآيِي لِأَخْشَى إِنْ عَلَوْنَا عَلَوُهُ
١٧ نَظَرْتُ وَأَصْحَابِي بِذُرْوَةِ نَظَرَةٍ

(١) النَّطَافُ: قَطْرُ الْمَاءِ، تَقُولُ: الْقَرِيَّةُ تَنْطَفُ؛ أَيْ تَنْطَرُ لِأَنَّهَا لَمْ يُحْكَمْ خَرْزُهَا (اللسان: نطف). والمقصودُ به هُنَا مَاءُ الْمَطَرِ الَّذِي تَلَفَّحَهُ الصَّبَا وَالْجَنُوبُ بِتَجْدٍ وَهُمَا بَارِدَتَانِ عَلَيَّتَانِ، وَهَذَا أَدْعَى لِأَنْ يَكُونَ مَاءُ الْمَطَرِ فِيهِ أَثَرٌ مِنْهُ فِي غَيْرِهِ .

(٢) في التعليقات (لِلْغَيْشِ مَرَّةً)، وَالْبَيْضُ: الشَّاءُ الْحَسَنُ، وَبَيَاضُ أَدَمِ الْمَرْأَةِ مِنَ الصِّفَاتِ الْجَمَالِيَّةِ عِنْدَهُمْ، وَالْمُتَرَلَّةُ الْحَمْدُ؛ أَيْ الْمَحْمُودَةُ .

(٣) في ديوانه (تونس) بتسهيل الممرَّة، والقصر: الْبِنَاءُ الْعَالِي الْمُنْطَلِّ، وَهُنَاكَ قُصُورٌ كَثِيرَةٌ انْتَشَرَتْ فِي نَجْدٍ، لَكِنَّ الشَّاعِرَ يَذْكُرُ قَصْرًا بَعِيدًا عَنْ دِيَارِهِ، وَالتَّطَلُّعُ تَحَوُّ دِيَارِ الْأَحْيَةِ مِنْ بَعِيدٍ لَيْسَ غَرِيبًا عَلَى الْعَاشِقِينَ، وَلَا الَّذِينَ يَحْتَوُونَ إِلَى دِيَارِهِمْ، فَدَأَّبُ النَّاسِ أَنْ يَنْتَظِعُوا تَحَوُّ دِيَارِهِمْ وَلَوْ لَمَحَّ الْغَيْثُ .

(٤) في العرب (عَلَوْنَا عَلَوُهُ)، وَلَا يَسْتَقِيمُ .

(٥) ذُرْوَةٌ، قَالَ فِيهَا الْجَاهِلِيُّ: " لَا تَجْدُ فِيهَا (؟) بَيْنَ أَيْدِينَا مِنَ التَّصَوُّصِ مَا نَسْتَطِيعُ بِهِ مَعْرِفَةَ مَكَانِ هَذَا الْاسْمِ لَنَسْتَطِيعَ أَنْ نَرْجِعَ أَنَّ الشَّاعِرَ أَرَادَهُ؛ فَهَنَّاكَ مَاءً فِي بِلَادٍ غَطَّفَانِ هَذَا الْاسْمِ، وَنَسْتَعِيدُ أَنْ يَكُونَ الشَّاعِرُ قَصَادَةً، وَلَعَلَّ هَذِهِ الْمَقْطُوعَةَ مِمَّا نُسِبَ إِلَى الشَّاعِرِ وَلَيْسَتْ لَهُ " (العرب: ١٤٥) .

وَوَاقِعُ الْأَمْرِ أَنَّ الْحَمَوِيَّ ذَكَرَ مَوَاقِعَ ثَلَاثَةً مِنْ هَذَا الْأَصْلِ، وَهِيَ:

- ذُرْوَةٌ، وَقَالَ فِيهَا: " مَكَانٌ حِجَازِيٌّ فِي دِيَارِ غَطْفَانَ، وَقِيلَ مَاءٌ لِبَنِي مُرَّةَ بْنِ عَوْفٍ. وَعَنْ الْأَزْهَرِيِّ: ذُرْوَةٌ بِكُسْرٍ أَوَّلُهُ اسْمُ أَرْضٍ بِالْبَادِيَةِ، وَعَنْ بَعْضِهِمْ: ذُرْوَةُ اسْمُ جَبَلٍ ... وَذُرْوَةٌ: بَلَدٌ بِالْحِمْيَرِ مِنْ أَرْضِ الصَّيْدِيِّ " (البلدان: ذرورة) .

- ذُرْوَةٌ، وَقَالَ فِيهَا: " وَقِيلَ: وَإِذْ يُفْرَغُ فِي تَخْلٍ وَيَخْرُجُ مِنْ حَرَّةِ النَّارِ " (البلدان: ذرورة) .

- ذُرْوٌ، وَقَالَ فِيهِ: " قَالَ ابْنُ الْفَقِيهِ: ذَاتُ ذُرْوٍ - مِنْ غَيْرِ هَاءٍ - مِنْ أَوْدِيَةِ الْعَلَاةِ بِالْيَمَامَةِ "، ثُمَّ قَالَ: " وَقَالَ الصَّمَّةُ الْقَشِيرِيُّ ... "، وَذَكَرَ الْآيَاتُ (١٥-١٨) (البلدان: ذرو) .

وَأَرْجَحُّ أَنْ تَكُونَ ذُرْوَةُ الْمَقْصُودَةِ هُنَا هِيَ الْوَادِيَةُ بِالْيَمَامَةِ؛ ذَلِكَ أَنَّ الشَّاعِرَ ذَكَرَ الرُّكْبَ الْمُصْبِعِيَيْنِ بِاتِّجَاهِ نَجْدٍ، وَتَجَدُّ أَعْلَى مِنَ الْيَمَامَةِ، وَالتَّصْعِيدُ إِلَيْهَا يَكُونُ مِمَّا هُوَ أَخْفَضُ مِنْهَا .

- ١٨ إذا مَرَّ رَكْبٌ مُضْعِدِينَ فَلَيْتَنِي
مَعَ الرَّائِحِينَ الْمُضْعِدِينَ لَهُمْ عَبْدَا
- ١٩ يَا رُقَّةً مِنْ آلِ بُصْرَى تَحْمَلُوا
رِسَالَتَنَا لَقِيتَ مِنْ رُقَّةٍ رُشْدًا^(١)
- ٢٠ إِذَا مَا وَصَلْتُمْ سَالِمِينَ فَبَلَّغُوا
نَحِيَّةً مَنْ قَدْ ظَنَّ أَنَّ لَا يَرَى نَجْدًا
- ٢١ وَقُولُوا لَهُمْ: لَيْسَ الضَّلَالُ أَجَارَنَا
وَلَكِنَّا جُزْنَا لَنَلْقَاكُمْ عَمْدًا
- ٢٢ وَإِنَّا تَرَكْنَا الْحَارِثِيَّ مُكَبَّلًا
يَكْبِلُ الْهَوَى مِنْ ذِكْرِكُمْ مُضْمِرًا وَجَدًا^(٢)

تخريج الأبيات :

تعليقات المهجري- الحمادي (مقطوعة ٢٧٤)، الأغاني ٨٠/٢، الحماسة
الشجرية ٥٨٥/٢، اللسان (نجد، عن ثعلب، معجم البلدان (نجد، أذرعات)، تهذيب
ابن عساكر ٦٥/٦، المنازل والديار ٩١/١، شرح الشواهد للعيبي ١٧١/١، المقاصد
التحوية ١٧٠/١، جامع الشواهد ١١٢، شرح التصريح ٨٤/١، الضرائر ١٦٦،
رسالة الملائكة ٢٥٧، شرح ابن عقيل ٥٨/١، شرح ألفية ابن مالك لابن الناطم/
١٦، العرب ١٦٠-١٦١، ديوانه ٥٩، ٦٤

(١) بَصْرَى، قَالَ فِي الْعَرَبِ: "مَعْرُوفٌ أَنَّ بَصْرَى مِنْ بِلَادِ الشَّامِ الَّتِي ارْتَحَلَ إِلَيْهَا الشَّاعِرُ" (١٤٤). وَقَالَ يَاقُوتُ:
"بِالشَّامِ مِنْ أَعْمَالِ دِمَشْقٍ، وَهِيَ قِصَّةٌ كَوْرَةٌ حَوْرَانٌ؛ مَشْهُورَةٌ عِنْدَ الْعَرَبِ"، وَذَكَرَ الْأَبْيَاتَ (١٩-٢٢) مِنْ
الْقَصِيدَةِ مَنْسُوبَةً لِأَعْرَابِيٍّ، كَمَا أَثْبَتَ لِلصَّمَّةِ بَيْتَيْنِ سِوَى هَذِهِ يَرِدَانِ فِي قَافِيَةِ اللَّامِ. (البلدان: بَصْرَى). وَالصَّمَّةُ
فِي هَذِهِ الْأَبْيَاتِ يُخَاطَبُ رَكْبًا مِنَ الْمَسَافِرِينَ بِاتِّحَاكِ نَجْدٍ لِيُبَلِّغُوا سَلَامَهُ إِلَى نَجْدٍ وَأَهْلِيهِ، وَالْأَبْيَاتُ (١٩-٢٢) لَمْ
تُنِشِئْهَا الْعَرَبُ وَلَا دِيَوَانَهُ لِلشَّاعِرِ.

(٢) الْكَبْلُ: الْقَيْْدُ، وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي الْحَدِيثِ عَنْ رَبِّمَا مَعْشُوقَةِ الصَّمَّةِ شَيْءٌ مِنَ الْحَدِيثِ الْمُفْصَّلِ فِي وَصْفِهَا بِالْحَارِثِيَّةِ
(فَلْيُنْظَرِ)، وَهِيَ هُنَا يَصِفُ نَفْسَهُ بِالْحَارِثِيَّ، وَفِي الْمَقْطُوعَةِ الدَّالِّيَّةِ (أَلَا أَيُّهَا الصَّمْدُ) سَمِرٌ وَصَفَهُ لَهَا بِالْحَارِثِيَّةِ.

{ الطويل }

- ١ أَلَا أَيُّهَا الصَّمْدُ الَّذِي كُنْتَ مَرَّةً
تَحُلُّكَ، أَسْقَيْتَ الْعَوَادِي مِنْ صَمْدٍ^(١)
- ٢ وَمِنْ وَطَنٍ لَمْ تَسْكُنِ النَّفْسُ بَعْدَهُ
إِلَى وَطَنٍ فِي قُرْبِ دَارٍ وَلَا بُعْدٍ^(٢)
- ٣ وَمَنْزِلَتِي ظُمِيَاءَ مِنْ بَطْنٍ عَاقِلٍ
وَذَاتِ السَّلِيلِ، كَيْفَ حَالُكُمَا بَعْدِي^(٣)

(١) فِي دِيَوَانِهِ (كُنْتُ مَرَّةً يَحُلُّكَ)، وَفِي شِعْرَاءَ قَشِيرٍ مِثْلَهَا، وَفِي بِلْدَانِ يَاقُوتَ (كَانَ مَرَّةً تَحُلُّ سُقَيْتَ
الْأَهَاضِيَّةَ)، وَفِي الْعَرَبِ (الصَّمْدُ الَّتِي كُنْتُ مَرَّةً تَحُلُّكَ) وَلَا يَسْتَقِيمُ.

وَالصَّمْدُ، قَالَ الْجَاسِرُ: "وَرَدَ هَذَا الْاسْمُ فِي مَقْطُوعَةٍ فِي التَّغَزُّلِ بِظُمِيَاءَ، وَرَدَ فِيهَا اسْمُ السَّلِيلِ وَعَاقِلٍ، وَوُصِفَتْ
ظُمِيَاءُ هَذِهِ بِالْحَارِثِيَّةِ، وَنَرَى أَنَّ الْمَقْطُوعَةَ لَيْسَتْ لِلصَّمَّةِ؛ إِذْ عَاقِلٌ وَالسَّلِيلُ فِي شِمَالِ نَجْدٍ بَعِيدَانِ عَنْ بِلَادِ قَشِيرٍ؛
ثُمَّ إِنَّمَا لَمْ نَرِ الصَّمَّةَ يَذْكُرُ ظُمِيَاءَ الْحَارِثِيَّةِ، وَالَّتِي نَرَى أَنَّهَا مِنْ حَارِثَةِ بَنِي أَسَدٍ، بِقَرِينَةِ ذِكْرِ عَاقِلٍ وَالسَّلِيلِ،
وَالصَّمْدُ لَيْسَ بَعِيدًا عَنْ مَنَازِلِ أَسَدٍ، وَكَذَا السَّلِيلُ" (العرب: ١٤٦-١٤٧).

وَقَالَ يَاقُوتُ: "الصَّمْدُ: الصَّلْبُ مِنَ الْأَرْضِ الْغَلِيظَةِ، وَكَذَلِكَ الصَّمْدُ بِالصَّمِّ" (البلدان: الصمد). وَالشَّاعِرُ يَقْصِدُ
صَمْدًا بَعِيْنَهُ، وَالصَّمْدُ كَثِيرَةٌ كَالْأَجَارِخِ، وَلِهَذَا وَصَفَهُ بِقَوْلِهِ: "الَّذِي كُنْتُ مَرَّةً".

(٢) هَذَا الْبَيْتُ أَثْبَتَهُ يَاقُوتُ وَحْدَهُ، وَالْأَبْيَاتُ عِنْدَ الْخَالِدِيِّينَ ثَلَاثَةٌ حَسْبُ، وَلَمْ يَشِئْهُ الْجَاسِرُ وَلَا الْفَيْصَلُ.

(٣) فِي بِلْدَانِ يَاقُوتَ (وَمَنْزِلَتِي دَلَّاءَ مِنْ بَطْنٍ وَاسِطٍ وَمِنْ ذِي سَلِيلٍ ...)، وَهَذِهِ الرِّوَايَةُ تُلْغِي شُكُوكَ الْجَاسِرِ فِي
نَسَبِ الْأَبْيَاتِ لِلصَّمَّةِ؛ لِأَنَّهُ اعْتَمَدَ فِيهِ عَلَى ذِكْرِ الصَّمَّةِ لِبَطْنِ عَاقِلٍ وَذَاتِ السَّلِيلِ، وَدَلَّاءَ عِنْدَ يَاقُوتَ هِيَ
تَصْحِيفٌ (دَلَّاءَ)، وَكَانَ الْجَاسِرُ قَدْ رَأَى أَنَّ (ظُمِيَاءَ) إِنَّمَا هُوَ تَحْرِيفٌ (طِيَاءَ)، وَهُوَ تَحْلِيلٌ لَا يَسْتَقِيمُ، وَعَلَى آيَةٍ
حَالِ فِكْلٍ مِنْ (ظُمِيَاءَ)، وَ (دَلَّاءَ) إِنَّمَا هُوَ صِغَةُ لَا عِلْمَ. أَمَّا وَاسِطٌ فَقَدْ تَقَدَّمَ الْحَدِيثُ عَنْهَا (انظر فهرس
الأمكن)، وَأَمَّا عَاقِلٌ، فَقَدْ قَالَ الْجَاسِرُ: "عَاقِلٌ هَذَا وَادٍ يُعْرَفُ الْآنَ بِاسْمِ الْعَاقِلِيِّ، فِيهِ مَزَارِعٌ لِأَهْلِ مَدِينَةِ الرَّبِيعِ،
وَكَانَ مِنْ مَنَازِلِ بَنِي أَسَدٍ، ...، وَالْوَادِي طَوِيلٌ يَشْتَرِكُ فِيهِ فِي الْقَدِيمِ مَعَ بَنِي أَسَدٍ غَنِيٍّ وَثَمِيمٍ، وَلَكِنَّهُ كَمَا قُلْنَا
بَعِيدٌ عَنْ مَنَازِلِ بَنِي قَشِيرٍ" (العرب: ١٤٧).

قَالَ يَاقُوتُ: "عَاقِلٌ وَادٍ لِبَنِي أَبَانَ بْنِ دَارِمٍ مِنْ دُونَ بَطْنِ الرُّمَّةِ، وَهُوَ يُنَاوِحُ مَتَّعِيًا مِنْ قُدَّامِهِ وَعَنْ يَمِينِهِ، وَيُقَالُ:
عَاقِلٌ وَادٍ يَنْجَدُ، ...، وَعَاقِلٌ: وَادٍ فِي أَعَالِيهِ إِمْرَةٌ وَفِي أَسَافِلِهِ الرُّمَّةُ، وَهُوَ مَسْلُوءٌ طَلْحًا، وَبَطْنُ عَاقِلٍ: مَوْضِعٌ عَلَى
طَرِيقِ حَاجِّ الْبَصْرَةِ بَيْنَ رَامَتَيْنِ وَإِمْرَةٍ، وَذَكَرَ أَمْكِنَةُ أُخْرَى عُرِفَتْ بِعَاقِلٍ أَكْثَرُهَا فِي نَجْدٍ، إِنَّمَا رَمَالَ أَوْ جِبَالَ أَوْ
مِيَاهَ (البلدان: عاقِل).

وَكَمَا وَهَمَ الْجَاسِرُ فِي هَذَا الْاسْمِ، فَقَدْ وَهَمَ فِي السَّلِيلِ أَيْضًا، قَالَ فِيهِ: "لَا أَعْرِفُ مَوْضِعًا بِهَذَا الْاسْمِ إِلَّا الَّذِي
فِي بِلَادِ بَنِي أَسَدٍ غَرْبَ الْقَصِيمِ، وَهُوَ بَعِيدٌ عَنْ بِلَادِ الشَّاعِرِ، وَلَا يُسْتَبَعَدُ أَنْ يَكُونَ هُنَاكَ اسْمٌ مَوْضِعٌ آخَرُ غَيْرِهِ
أَرَادَهُ الشَّاعِرُ إِذْ صَحَّ نَسَبُهُ هَذَا الشَّعْرَ إِلَيْهِ (العرب: ١٤٥).

وَمَا فِي بِلْدَانِ يَاقُوتَ يُوَكِّدُ أَنَّ السَّلِيلَ فِي دِيَارِ الشَّاعِرِ، قَالَ: "قَالَ اللَّيْثُ: السَّلِيلُ وَالسَّلَآنُ: الْأَوْدِيَّةُ ... وَقَوْلُ
عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسِ الرُّقَيْطِ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ أَرَادَ الْوَادِيَّ اسْمَ جَنْسٍ؛ فَقَالَ: (فَالسَّلِيلُ الَّذِي يَمْدُقُّ قَرْنَ فَا تَغْتَضُّ
إِلَّا ثَلَاثًا جُثُمًا)" (البلدان: السَّلِيل). وَقَرَأَ هَذِهِ فِي دِيَارِ قَشِيرٍ، قَالَ يَاقُوتُ: "قَالَ أَبُو عُبَيْدِ اللَّهِ السَّكُونِيُّ: قَرْنَ
قَرْنِيَّةٌ بَيْنَ فُلْجٍ وَبَيْنَ مَهَبِّ الْجَنُوبِ مِنْ أَرْضِ الْيَمَامَةِ فِيهَا تَحُلُّ وَأَطْوَاءٌ، وَلَيْسَ وَرَاءَهَا مِنْ قَرَى الْيَمَامَةِ وَلَا مِيَاهِهَا
شَيْءٌ، وَهِيَ لِبَنِي قَشِيرٍ، وَلَيْسَتْ مِنَ الْعَارِضِ" (البلدان: قَرْنَ).

(١٢)

{ الطويل }

- ١ أَحِنُّ إِلَى بَجْدٍ وَإِنِّي لَيَأْتِسُ طَوَالَ اللَّيَالِي مِنْ رُجُوعٍ إِلَى بَجْدٍ
٢ فَإِنَّكَ لَا لَيْلَى وَلَا بَجْدَ فَأَعْرِفُ بِهِجْرٍ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَالْوَعْدِ^(١)

تَخْرِيجُ الْأَبْيَاتِ :

الأشباه والتظائر ١١١/٢، معجم البلدان (واسط)، العرب/١٦١-١٦٢، شعراء
قشير ١٣٧/٢، ديوانه/ ٦٥

تَخْرِيجُ الْأَبْيَاتِ :

أما لي القالي ١٩٤/١، الزهرة/ ٣٤٩، وقد نسبهما لمجنون بني عامر، وهما في
ديوانه/ ٧١، وقد أخل بها مجموع شعره وديوانه المطبوع

(١) لَمْ يُعْرِفَ عَنِ الْمَجْنُونِ أَنَّهُ فَارَقَ نَحْدًا وَغَابَ عَنْهُ غِيَابًا يَدْعُو إِلَى مِثْلِ هَذَا الْقَوْلِ، وَإِذَا كُنَّا قَدَمْنَا أَنَّ أَشْعَارَ
غَزَلِي الْبَادِيَّةِ قَدْ اخْتَلَطَتْ عِنْدَ الرُّوَاةِ، وَخَلَطَ بَيْنَهَا الْمُصَنِّفُونَ، وَتَدَاخَلَتْ حِكَايَاتُهُمْ وَأَخْبَارُهُمْ حِينَ أَصْبَحُوا
أَحَادِيثَ الْمَجَالِسِ وَالْقَصَاصِ؛ فَإِنِّي أَرَى أَنَّ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ لِلصَّمَّةِ لَا لِمَجْنُونٍ، وَأَرَى أَنَّ (الليلى) هُنَا إِنَّمَا هُوَ
تَحْرِيفُ (رَبَا)، أَوْ هُوَ نَتِيجَةُ اسْتِبْدَالِ (الليلى) بِ(رَبَا) عِنْدَ أَحَدِ الرُّوَاةِ. وَمِمَّا يُوَكِّدُ هَذَا أَنَّ الصَّمَّةَ هَجَرَ نَحْدًا
بَعْدَ زَوَاجِ رَبَا، وَلَمْ يَغْدِ إِلَيْهِ طِيلَةَ أَيَّامِهِ حَتَّى وَافَقَهُ مَبِيتُهُ .
وَالْبَيْتُ هُنَا عَلَى تَقْدِيرٍ مَحْدُوفٍ مِنَ الْكَلَامِ، وَيَكُونُ مَخْرَجُ الْبَيْتِ : (فَإِنَّكَ لَا لَيْلَى تَرَاهَا وَلَا نَحْدَ تَعْرِشُ فِي
رُبُوعِهِ) .

(١) ديوانه (تتابع)، وهي تصيح، وكذلك الأخرى الْمُثَبَّتَةُ الَّتِي هِيَ بِحَذْفِ تَاءِ الْمَضَارَعَةِ حَشِيَّةٌ تَوَالِي ثَلَاثَ -
وَالْأَنْوَاءِ جَمْعُ نَوَاءٍ، وَهُوَ النَّحْمُ الَّذِي يَطْلُوهُ يَكُونُ نُزُولُ الْعَيْثِ (اللسان: نَوَاء). وَفِي بَلَدَانِ يَاقُوتُ (أَمَّا لَكُمَا
بِالْمَالِكِيَّةِ مِنْ عَهْدٍ)، وَهَذَا يُحَفِّفُ مِنْ مِثْلِ الْحَاسِرِ إِلَى عَدِّ الْقَصِيدَةِ مِمَّا لَيْسَ لِلصَّمَّةِ؛ لِأَنَّهُ ذَكَرَ الْحَارِثِيَّةَ، وَتَابِعَ
اعْتِقَادَهُ فِي مَا بَنَاهُ عَلَى ذِكْرِ عَاقِلٍ وَذَاتِ الْمَلِيلِ، وَهُمَا لِيَنِي حَارِثَةُ مِنْ أَسَدٍ، أَنَّ الْأَبْيَاتَ لَيْسَتْ لَهُ، وَفِي شُعْرَاءِ
قَشِيرِ (مِنْ عَهْدِي)، وَلَا يَسْتَقِيمُ أَيْضًا؛ فَاَلْمَعْنَى فِي هَذَا التَّرَكِيبِ أَنَّ يَكُونُ مَا بَعْدَ (مِنْ) نَكِيرَةً لَا مَعْرَفَةً .

{ الوافر }

١ وقاءٌ ما مُعِيَّةٌ مِنْ أَبِيهِ لِمَنْ أَوْفَى بَعْدَهُ أَوْ يَعْقِدُ^(١)

تخريج البيت :

المقتضب ٢/ ٢٨٤، ديوانه ٦٦/

{ الطويل }

١ لا تُعْذِلُنَا فِي الزَّيَارَةِ، إِنَّا وَإِيَّاكَ كَالظُّمَانِ وَالْمَاءِ بَارِدُ^(١)
 ٢ يَرَاهُ قَرِيبًا دَائِمًا غَيْرَ أَنَّهُ تَحُولُ الْمَنَايَا دُونَهُ وَالرَّوَاصِدُ^(٢)

تخريج الأبيات :

أما لي القالي ١/ ١٩٥، وقد أحلَّ بهما مجموع شعيره وديوانه المطبوع. وفي أول البيتين خرم يحذف متحرك فعولن الأول .

(١) العَذْلُ واللُّومُ بمعنى، وعَدَلَّ مِنْ بَابِ ضَرَبَ؛ أَي أَنْ عَيَّنَ مُضَارِعِهِ تُكْسَرُ وتُضَمُّ كَمَا فِي ضَرْبِ (اللسان: عدل).

(٢) هذه الصورة تكاد تكون شائعة عند غزلي البادية، ولعلها شائعة في شعر الغزل عند العرب قديمًا، ولا سيما ما نراه من تشبيههم حديث الحبيبة بالماء القراح الذي شيب به حليب الأبقار الغوذ المطافيل، وتذكر هذه الصورة هنا بقول شاعرهم:

إِنِّي وَإِيَّاكَ كَالصَّادِي رَأَى نَهْلًا وَدُونَهُ هُوَّةٌ يَخْشَى بِهَا التَّلْفَا

يَرَى بِهَا مَنَهْلًا قَدْ عَزَّ مَوْرَدُهُ وَلَيْسَ يَمْلِكُ دُونَ الْمَاءِ مُنْصَرَفًا

والمنايا جمع منية، وهي الموت، والرواصد جمع اسم الفاعل منها، والرواصد هنا بمعنى الرقباء، والرواصد على الماء هم الصيادون الذين يرتقبون ورود الحيوانات على الماء، ويكونون قد نصبوا شراكهم، وأعدوا كلابهم. ويشيع في شعر غزلي البادية الحديث عن الوشاة الذين يسعون في إفساد الود بين العائشيين، والكاشحين الحساد، والرقباء الذين يرصدون حركات المحبين وأقوالهم، والعوازل الذين يلومون المحب على حبه .

(١) أظن هذا البيت ليس للصمة، إنما هو لعبد الله بن الصمة؛ أخي دريد بن الصمة، وهو جاهلي لا إسلامي، ويبدو أن الأمر اختلط على بعضهم أحيانًا فخلطوا بين عبد الله أبي الصمة القشيري، وعبد الله بن الصمة أخى دريد؛ حتى إن الزبيدي روى في مرثيته وأماليه عن ابن الكسكري بعض شعر الصمة بن عبد الله وجعله ابن الكسكري عبد الله بن الصمة، وقد أشرنا إلى هذا التخليط في رواية شعر الصمة في مقدمة الديوان؛ فليُنظر في مكانه .

الوقاء: ما بقي الشيء به، معية: اسم علم مذكر تصغير معاوية .

{ الطويل }

- ١ أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَيْسَنَ لَيْلَةً سَعْدٍ وَلَمَّا تَحُلُ مِنْ أَهْلِهَا سَعْدُ^(١)
 ٢ وَهَلْ أَقْبَلَنَ النَّجْدَ أَعْنَاقُ أُتُبُ وَقَدْ سَالَ مَسِيًّا ثُمَّ صَبَّحَهَا النَّجْدُ^(٢)
 ٣ وَهَلْ أَخِيطَنَّ الْقَوْمَ وَالرِّيحُ طَلَّةً فُرُوعَ الْأَلَاءِ حَفَّةً عَقْدَ جَعْدُ^(٣)
 ٤ وَكُتُّ أَرَى سَجْدًا وَرِيًّا مِنَ الْهَوَى فَمَا مِنْ هَوَايَ الْيَوْمَ رِيًّا وَلَا بَعْدُ^(٤)

(١) قال الجاسر: "سعد: قرية من قرى قرقرى، وقرقرى متصلة بديار قشير من التاحية الشرقية الشمالية، وتعرف الآن باسم الحمادة، وهي السهل الممتد في سفح جبل طويق؛ عارض اليمامة من الغرب، وفيها قرى كثيرة من أشهرها ضرماء، وهذه القرية ليست معروفة الآن" (العرب: ١٤٥). وقال ياقوت: "السعد: ماء وقرية تحل غربي اليمامة. وقال أبو زياد: سعد: ماء وقرية وتحل من جانب اليمامة الغربي بقرقرى، وقد ذكره الشعراء؛ فقال الصمة بن عبد الله القشيري وقد فارق أهله وافترض في الجند: "... وذكر الأبيات (١-٥) (البلدان: سعد).
 (٢) ديوانه (سار مسيا، صبحها)، وكذلك في شعراء قشير. ومخرج الكلام: وهل استقبلت في النجد أعناق لشرق سالت بها الأباطيح مساء ثم وصلت نجدًا في الصباح، والبيت يذكر بقول الحارث بن خالد، وبعضهم يرويه لكثير ولغيره:

أَخَذْنَا بِأَطْرَافِ الْأَحَادِيثِ بَيْنَا وَسَالَتْ بِأَعْنَاقِ الْمَطِيِّ الْأَبَاطِحُ

(٣) الخبط في أصله يكون ضرب أعصان الأشجار الشوكية (كالسدر) بالعصي كي تساقط أوراقها فتأكلها الأنعام (اللسان: خبط)، والخبط هنا يعني به ولوجه ديارهم فجأة أو مصادفة دون تحديد طريق سيره، وحلوه بينهم دون أن يعلموا، وكأنه كان يسير على غير هدى دون أن يعرف مكانهم (خبط عشواء). الطل: المطر الصغير القطر، وقيل الندى، وقيل فوق الندى ودون المطر (اللسان: طلل). أما فروع الألأء؛ فهو يشبه رياء وقومه بفروع الألأء، والألأء شجر دائم الخضرة (اللسان: ألأ). حفة: أحاط به. عقيد: رمل ممتلئ يساعده على النوعية الدائمة (اللسان: عقد)، وهذا أدعى للبركة وحملاله. جعد: فيه ارتفاع وانخفاض.

(٤) ديوانه (من هوائي)، وكذلك شعراء قشير. ويظهر البيت شدة الألم التي كان الشاعر يكابدها، وإن كان ظاهره يوحي بسنيانه رياء وسلوه عنها.

- ٥ فَدَعْنِي مِنْ رِيًّا وَبَجْدٍ كَلِيهِمَا وَلَكِنِّي غَادٍ إِذَا مَا غَدَا الْجُنْدُ^(١)
 ٦ أَقُولُ لَعِيَّاشَ صَحْبُنَا وَجَابِرٍ وَقَدْ حَالَ دُونِي هَضْبُ عَارِمَةَ الْفَرْدُ^(٢)
 ٧ قِفَا فَانْظُرَا نَحْوَ الْحِمَى الْيَوْمَ نَظْرَةً فَإِنَّ غَدَاةَ الْيَوْمِ مِنْ عَهْدِهِ الْعَهْدُ^(٣)
 ٨ فَلَمَّا رَأَيْنَا قَلَّةَ النَّيْرِ أَغْرَضَتْ لَنَا، وَجِبَالُ الْحَزَنِ غَيْبَهَا الْبُعْدُ^(٤)

(١) يذكر البيت بقول مالك بن الرثيب:

أَلَمْ تَرَنِي بَعَثَ الضَّلَالَةَ بِالْهَدَى وَأَصْبَحْتُ فِي جَيْشِ ابْنِ عَفَّانٍ غَارِيَا

وهذا القول غير دالّ الثقة على التسيان كما أشرنا آنفاً، ولكنه يدل على محاولة الشاعر أن يتسلى ويتصبر، ويُلوي نفسه وشوقه بما وجد من سبيل للعيش ينهض مختلف يشارك فيه في أشياء أخرى، ويقضي بعض الوقت الذي كان يقضيه كميّاً مخروفاً في العز. ولعل مثل هذا يكون دأب المجتنب حين تسرب الأحلام من بين أيديهم؛ فأما الذين لا يجدون لهم مئسراً عن الكآبة والهم فمضرب بعضهم حكته عنهم أخبار كثيرة.

(٢) خاطب الشاعر في تائيته (عثمان بن وهب)، وهنا يخاطب صاحبه (عياش وجابر)، وليس من سبيل إلى التثبت من أسماء هؤلاء، ولا سيما إذا كانوا بعض الجند، فهم أكثر من أن تحصرهم المصادر التاريخية، ولم أجد لهم ذكراً في شروح شعراء ولا في أفراد قبيلته قشير.

أما هضبة عارمة، فقد تقدّم معنى الهضبة، وعارمة كما قال الجاسر: "يطلق هذا الاسم على موضع في بلاد بني قشير، وعلى جبل بني عامر، وتراه المقصود هنا؛ إذ الشاعر ذكر أنه هضبة، وقرنه بالنير وسواج" (العرب: ١٤٧). قال ياقوت: "قال ابن المعتز الأزد: عارمة من منازل بني قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، وقال الصمة بن عبد الله القشيري: "...، وذكر الأبيات (٦-١٠) (البلدان: عارمة).

(٣) هذا البيت شبيه ببيت الآخر (قفا ودعنا نجداً ومن حل بالحمى)، ولعل الفصلين تحكيان موقفاً واحداً في هذا الباب، ومخرج قوله في عجز البيت: (فإن غداة اليوم العهد من عهده)، وغداة اليوم هنا وإن هي دلت على الزمان الذي يدل عليه الظرف، فإنها ليس القصد بها إلى الظرفية، بل تصبح كقولك: (إن اليوم آجر أيام عهدي بك)، ومعنى قوله ذلك أن غداة اليوم آخر عهدنا بالحمى.

(٤) المرزباني (قلة النير)، (وطول الرمل)، ديوانه (قلة النير) وهو تحريف (النير). قلة النير تقدّمت في تائيته، وجبال الحزن: الحزون في بلاد العرب ثلاثة؛ حزن جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، وهؤلاء بنو عمومة القشيريين. وحزن بني يربوع، وحزن غاضيرة، وأفرها إلى ديار بني قشير حزن جعدة بن كعب، ولعله هو المقصود (البلدان: حزن بني جعدة).

- ٩ وَأَعْرَضَ رُكْبًا مِنْ سُوَاكِ كَاثَةٍ لَعِينُكَ فِي آلِ الضُّحَى فَرَسٌ وَرَدٌ^(١)
- ١٠ أَصَابَ جَهُولُ الْقَوْمِ تَيْسِيمٌ مَا بِهِ فَحَنٌ، وَلَمْ يَمْلِكْهُ، ذُو الْقُوَّةِ الْجَلْدُ^(٢)

تَخْرِيجُ الْآيَاتِ :

لَعَلَّه قَالَهَا وَهُوَ رَاحِلٌ إِلَى الشَّامِ؛ بَايَةً مَا ذَكَرَ نَيْتَهُ لِلْعُدُوِّ مَعَ الْجُنْدِ، وَقَدْ ظَنَّ الْجَاسِرُ أَنَّ الشَّاعِرَ قَالَهَا وَهُوَ قَادِمٌ إِلَى دِيَارِ قَوْمِهِ، وَأَنَّ هَضْبَ عَارِمَةَ قَدْ حَجَرَ بَصَرَهُ عَنْهَا، وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ قَالَهَا وَهُوَ رَاحِلٌ، وَقَدْ نَظَرَ هُوَ وَصَاحِبَاهُ خَلْفَهُمْ فَرَأَوْا بَعْضَ الْمَعَالِمِ الْخَاطِطَةِ بِمَرَابِعِهِمْ.

معجم الشعراء/ ١٤٤-١٤٥، والآيات ١-٥ في معجم البلدان (سُغْد، البشتر)، وبقيتها فيه (عارمة)، كما نسب آخر ثلاثة منها لعبد الله بن الصمة في (البشتر)، وهي كذلك في المؤلف والمختلف بتحقيق فراج/ ٢١٤، رواها (الشتر)، وهما تصحيفان ل (النير) كما أكد الشيخ حمد الجاسر في العرب/ ١٦٢-١٦٣. الْمُحْتَسَنُ/ ٦٤، مسالك الأبصار ٩/ ١٦٤، التبريزي ٢/ ١٦٠، شعراء نجد والحجاز والعراق/ ٧٥٤، ديوانه/ ٥٦

(١) يَدُلُّ هَذَا الْبَيْتُ عَلَى لَوْنِ سُوَاكِ الْمَائِلِ إِلَى الْحُمْرَةِ، وَآلِ الضُّحَى: السَّرَابُ وَقَتِ الضُّحَى، وَمِمَّا يَجْدُرُ ذِكْرُهُ أَنَّ الْعَرَبَ بَعْدَ الْإِسْلَامِ تَأَثَّرُوا بِالْإِسْتِخْدَامِ الْقُرْآنِيِّ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: [مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً] . أَمَّا سُوَاكِ فَقَدْ قَالَ الْجَاسِرُ فِيهِ: " يَقْصِدُ الشَّاعِرُ الْجَبَلَ الرَّاقِعَ جَنُوبَ النَّيِّرِ، وَهُوَ لَا يَسْرَأُ مَعْرُوفًا بِاسْمِهِ، وَلَا يَقْصِدُ الْجَبَلَ الْآخَرَ الَّذِي تَقْدَمُ ذِكْرُهُ " (العرب: ١٤٦)، وَهُوَ الْمَعْرُوفُ بِسُوَاكِ الْمُرْدَمَةِ، وَلَيْسَ سُوَاكِ الْحِمَى، أَوْ سُوَاكِ الْحَبَلِ الْمَعْرُوفِ الْآنَ فِي شَرْقِ حِمَى ضَرْبَةٍ (العرب: ١٤٤). قَالَ يَاقُوتُ: " قُلَّ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ: ... هُوَ جَبَلٌ تَأْوِي فِيهِ الْجُبْنُ، قَالَ بَعْضُهُمْ:

أَقْبَلْنَا مِنْ نَيْرٍ وَمِنْ سُوَاكِ بِالْقَوْمِ قَدْ قَلَّوْا مِنَ الْإِدْلَاجِ

وَقَالَ السُّكْرِيُّ: سُوَاكِ جَبَلٌ بِالْعَالِيَةِ؛ أَيْ عَالِيَةِ نَجْدٍ، وَسُوَاكِ الْمُرْدَمَةِ لَيْسَ سُوَاكِ طَخْفَةِ (البلدان: سُوَاكِ).

(٢) (المرزباني: (أصاب سقيم القوم تيسيم مابه. فحن ولم يملك أخو القوم الجلد)، وفيه أخطاء كثيرة ظاهرة، منها أَنَّ الْعَجْرَ مَحْتَلَّ الرِّوَايَةِ، وَقَالَ الْمَرْزَبَانِي بَعْدَ رِوَايَتَيْهَا: " فِي آيَاتٍ " مُشْتَبِهَاتٍ إِلَى أَنَّ مَا رَوَاهُ آيَاتٌ اخْتَارَهَا. أَمَّا الْأَمْدِيُّ فَفِيهِ (أخو القوة)، وَهُوَ الصُّوَابُ، غَيْرَ أَنَّهُ أَبْقَى عَلَى رِوَايَةِ الْبَيْتِ الْأَوَّلِ كَمَا هِيَ. وَفِي دِيَوَانِهِ (جَهُولُ الْقَوْمِ تَيْسِيمٌ). وَالتَّيْسِيمُ ذَهَابُ الْعَقْلِ مِنَ الْهَوَى (اللسان: تيسم)، أَمَّا الْهَاءُ فِي (يَمْلِكُهُ) هِيَ لِلدَّمْعِ، وَيَكُونُ مَخْرَجُ الْبَيْتِ: (فَحَنٌ ذُو الْقُوَّةِ الْجَلْدُ وَلَمْ يَمْلِكْ دَمْعُهُ).

{ الطويل }

- ١ أَعَاذِلُ، بَعْضَ اللَّوْمِ، إِنَّ مَنِّي لَقَدَّرَ لَيَالٍ مَا لَهْنٌ مَزِيدٌ^(١)
- ٢ وَإِنَّ ارْتَحَالِي لَا يُدَيِّ مَنِّي وَلَا مَانِعِي مِنْ أَنْ أَمُوتَ قَعُودٌ
- ٣ وَقَدْ يُرْجِعُ اللَّهُ الْفَتَى بَعْدَ غَيْبَةٍ وَيَلْقَى الْمَنَايَا آخَرُونَ شُهُودٌ^(٢)

تَخْرِيجُ الْآيَاتِ :

التذكرة السعدية في الأشعار العربية/ ٣١٤، وَلَمْ تَرِدْ فِي الْعَرَبِ، وَلَا دِيَوَانِهِ

المطبوع

(١) عَاذِلُ: مُنَادَى مُرَحِّمٍ، وَهِيَ تَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ غَيْرَ مُرَحِّمٍ إِنْ كَانَ الْعَاذِلُ مُدَكِّرًا، فَتَكُونُ بِالضَّمِّ لَا غَيْرَ، أَمَّا إِنْ كَانَ مُؤَنِّقًا فَتَحْتَمِلُ الْفَتْحَ وَالضَّمَّ كِلَيْهِمَا. وَقَوْلُهُ: بَعْضَ اللَّوْمِ، نُصِبَ عَلَى الْمَفْعُولِيَّةِ نِيَابَةً عَنِ الْمَفْعُولِ الْمَطْلُوقِ. وَقَوْلُهُ: لَقَدَّرَ لَيَالٍ؛ تَوَقُّعٌ مِنْهُ بِدُنُوِّ أَجَلِهِ، وَمَا هُوَ بِالْحَقِيقَةِ، إِنَّمَا يُحَاوِلُ بِهِ أَنْ يَسْتَدِيرَ عَطْفٌ مَنْ يَلُومُهُ لَا أَكْثَرَ.

(٢) فِي التَّذَكُّرَةِ (غَيْبَةٍ)، وَالْأَدَقُّ مَا أَتَيْنَاهُ. وَلَمْ يَكُنِ اللَّوْمُ الَّذِي وَجَّهَهُ الشَّاعِرُ مِمَّنْ عَذَلَهُ عَلَى الرَّحِيلِ وَحْدَهُ، بَلِ الظَّاهِرُ أَنَّهُ لَوَّمٌ عَلَى رَحِيلِهِ وَنَيْبِهِ الْإِنْضِمَامِ إِلَى الْجِيُوشِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي فَتُوحِهَا، وَيَدُو أَنَّ مَنْ عَذَلَ الشَّاعِرَ كَانَ قَرِيبًا مِنْهُ إِلَى دَرَجَةِ رَهْبَةٍ أَنْ يَمُوتَ فِي إِحْدَى الْمَعَارِكِ، وَلَعَلَّ الْعَاذِلَ رَمَى.

{ الطويل }

- ١ أَلَا مَنْ لِنَفْسٍ مُسَخِّفٍ جَلِيدُهَا وَسَلَمَى مُيِّنٌ بَحْلُهَا وَصُدُودُهَا^(١)
 ٢ أَحَقًّا عِبَادَ اللَّهِ أَنْ لَسْتُ نَاطِرًا إِلَى الْهَضْبِ إِلَّا عَاوَدَ النَّفْسَ عِيدُهَا^(٢)
 ٣ وَإِلَّا اسْتَهَلَّتْ عِبْرَةٌ بَعْدَ زَفَرَةٍ يُصَدِّعُ قَلْبِي أَنْ يَلَمَّ صُعودُهَا^(٣)
 ٤ وَإِنْ كُنْتُ قَدْ غَلَقْتُ مِنْ سَاكِنِ الْحِمَى مُكَذِّبَةً وَعُغْدِي، صَدُوقًا وَعِيدُهَا^(٤)
 ٥ وَلَوْ طَلَبْتُ مِنِّي عَلَى ذَاكَ فِي الْهَوَى زِيَادَةَ حُبٍّ، لَمْ أَحِذْ مَا أَزِيدُهَا
 ٦ أَلَا قَاتِلَ اللَّهِ الْهَوَى بَعْدَ نَظَرَةٍ أَفَادَكُمَا يَوْمَ الْإِقَاءِ مُفِيدُهَا
 ٧ فَأَخْفَيْتُ مِنْ أَصْحَابِي الشَّوْقَ بَعْدَمَا جَرَى مِنْ جُفُونِ الْمُتَقَلِّبِينَ فَرِيدُهَا^(٥)

(١) الْمُسَخِّفُ وَالْمُسْتَحْفِي سَيِّان (اللسان: خفي)، وَجَلِيدُهَا: تَحَلَّدُهَا (اللسان: جلد)، وَالْمُيِّنُ الظَّاهِرُ (اللسان: بان). وَالْبَيْتُ فِيهِ مُقَابَلَةٌ بَيْنَ حَالِهِ هُوَ إِذْ يَتَحَلَّدُ حَتَّى لَا يَرَى الشَّائِمُونَ ضَعْفَهُ، وَحَالِ حَبِيبَتِهِ الَّتِي سَمَّاها هُنَا (سَلَمَى) الَّتِي تُظْهِرُ صَدَّه وَتُبْخَلُ عَلَيْهِ بِالْوَصَالِ، وَهَذِهِ عَادَةٌ غَزَلِي الْبَادِيَةِ فِي أَشْعَارِهِمْ.
 (٢) الْهَضْبُ: تَقَدَّمَ الْحَدِيثُ عَنْ هَضْبٍ عَارِمَةٍ، وَالشَّاعِرُ هُنَا ذَكَرَ الْهَضْبَ غَيْرَ مُضَافٍ، وَلَعَلَّهُ الْهَضْبُ الْمُجَاوِرُ لِلنَّيْرِ (البلدان: الهضب). أَمَّا (عِيدُهَا)؛ فَعَادَتُهَا الَّتِي دَرَجَتْ عَلَيْهَا، وَهِيَ الْبُكَاءُ.
 (٣) اسْتَهَلَّتْ الْعَيْنُ وَانْهَلَتْ: سَأَلَتْ دُمُوعُهَا (اللسان: هلل)، وَالزَّفَرَةُ: آهَةُ الْكَبِيرِ تَطُولُ فِي صُعودِهَا مِنْ صَدْرِهِ؛ يُحَاوِلُ بِهَا أَنْ يُخَفِّفَ أَلَمَ كَيْلِهِ الْخَرَى (اللسان: زفر).
 (٤) لَعَلَّهَا (سَاكِنِي الْحِمَى)، لَكُنْهَا بِإِفْرَادِهَا دَالَّةٌ جُنْسٍ مَنْ يَسْكُنُ الْحِمَى مِنَ النَّاسِ (اللسان: سكن)، وَقَوْلُهُ: (غَلَقْتُ)، أَيِ تَعَلَّقْتُهَا فَوَادَهُ. وَالْحِمَى الْمَقْصُودُ هُنَا هُوَ حِمَى النَّيْرِ، وَقَدْ تَقَدَّمَ (البلدان: الحِمَى).
 (٥) الدَّمْعُ الْفَرِيدُ: أَصْلُهُ تَشْبِيهُ الدَّمْعِ فِي تَتَابُعِ قَطَرَاتِهِ بِالذَّرِّ، وَالْفَرَادَةُ صِفَةٌ لِلذَّرِّ إِذَا نُظِمَ وَفُصِّلَ بَيْنَ حَبَاتِهِ بِغَيْرِهِ (اللسان: فرد)، وَتَشْبِيهُ الدَّمْعِ بِالذَّرِّ الَّذِي انْفَرَطَ سَيْلُكُهُ مِمَّا هُوَ مشهورٌ مُتداولٌ بَيْنَ الشُّعْرَاءِ.

- ٨ وَكَانَ بُكَاءُ الْعَيْنِ مِنْ قَبْلِ مَا يُرَى عَلَى أُمِّ عَمْرٍو، عَادَةً تَسْعِيدُهَا^(١)
 ٩ لِيَالِي يَدْعُونِي الْهَوَى فَأَحْسِبُهُ وَدَّيَايَ لَمْ يَخْلُقْ عَلَيَّ جَدِيدُهَا^(٢)
 ١٠ فَأَصْبَحْتُ قَدْ حَلَلْتُ عَنْ مَنَهِلِ الصَّبَا صَوَادِي مِنْ قَلْبِي ظَمَاءٌ أَذُودُهَا^(٣)

تُخْرِيجُ الْأَيَّاتِ :

الأشباه والتظائر ١٤٠/٢، العرب/ ١٦٣-١٦٤، ديوانه/ ٦٧

(١) (مَا) فِي هَذَا الْبَيْتِ ظَرْفِيَّةٌ مُصَدَّرَةٌ، وَيَكُونُ مَخْرَجُ الْكَلَامِ بِهَا: (مِنْ قَبْلِ رُؤْيِيهِ عَلَى أُمِّ عَمْرٍو)، وَأُمُّ عَمْرٍو هُنَا كُنْيَةُ حَبِيبَتِهِ رَبَا.
 (٢) يَخْلُقُ: يَتَلَى (اللسان: خلق)، وَقَوْلُهُ: (لَمْ يَخْلُقْ عَلَيَّ جَدِيدُهَا) تَعْبِيرٌ عَنْ مُوَاتَاةِ الْحَيَاةِ لَهُ وَإِقْبَالِهَا عَلَيْهِ، وَاسْتِعْمَالُ هَذَا التَّعْبِيرِ مِمَّا تَوَارَدَ عَلَيْهِ الشُّعْرَاءُ، وَمِنْهُ قَوْلُ جَرِيرٍ:
 بَانَ الشَّبَابُ فَوَدَّعَاهُ حَمِيدَا هَلْ مَا تَرَى خَلْقًا يَعُودُ جَدِيدَا
 (٣) خَلًّا الْأَنْعَامَ عَنْ وَرْدِ الْمَاءِ: لَحَاها بِالْعَصَا وَانْتَهَرَهَا، فَمَتَّعَهَا مِنَ الشَّرْبِ (اللسان: حلا)، وَالصَّوَادِي وَالظَّمَاءُ يَمَعْنِي؛ وَهِيَ الْعِطَاشُ الَّتِي اشْتَدَّ بِهَا الظَّمَا (اللسان: صدا، ظمى)، وَذَاذَهَا يَمَعْنِي أَبْعَدُهَا وَمَنْعَهَا (اللسان: ذاد). وَقَدْ تَكَرَّرَتْ مُفْرَدَاتُ هَذِهِ الصُّورَةِ وَعَنَّاصُهَا فِي قَصِيدَتِهِ النَّائِيَةِ.

قافية الرّاء (١٨)

{ الوافر }

- ١ عَرَفْتَ الْيَوْمَ بِالْأَسْنَادِ دَارَا فَدَمَعُ الْعَيْنِ يَنْهَمِرُ أَتْهَمَارَا ^(١)
- ٢ مَنَازِلَ حَيْرَةٍ شَحَطَتْ نَوَاهُمْ وَأَعْقَبَتْ السَّوَافِي وَالْقَطَارَا ^(٢)
- ٣ رَمَيْتِ بِالسَّلِيلِ غَدَاةً بَاتُوا عَلَى حَدَرٍ، وَمَا رَمَتْ اغْتَرَارَا ^(٣)
- ٤ بِأَذْهَمٍ فَاجِحٍ وَبِذِي غُرُوبٍ كَأَنَّ عَلَى أَشْهَانِيهِ عُقَارَا ^(٤)

(١) الأسناد: جمع سند، وهو ما ارتفع من الأرض في قُبَلِ الوادي أو الجَبَلِ (اللسان: سند) وقد تقدّم حديث عن سَنَدِ الْوَدَّاءِ فَلْيَنْظُرْ .

(٢) شَحَطَتْ نَوَاهُمْ: بَعْدَ مَرَارِهِمْ، وَأَصْبَحَتْ دِيَارُهُمْ بَعِيدَةً (اللسان: شحط)، والسَّوَافِي مِنَ الرِّيَاحِ: تِلْكَ الَّتِي تُسْفِي الثَّرَابَ وَالرَّمْلَ فَتُصْعَبُ الْحَرَكَةُ فِي وَقْتِ هُبُوبِهَا، وَهِيَ أَدْعَى لِتَغْيِيرِ مَعَالِمِ الدِّيَارِ بَعْدَ أَنْ يَرْتَجِلَ عَنْهَا أَهْلُهَا (اللسان: سفا)، وقد سُمِّيَ الْآنَ بِ (الطُّوزِ). أَمَّا الْقَطَارُ فَجَمْعُ الْقَطْرِ، وَهُوَ الْمَطَرُ الْكَبِيرُ الْحَبُّ الْمُتَابِعُ (اللسان: قطر) .

(٣) ظَنَّ الْفَيْصَلُ أَنَّ السَّلِيلَ هُنَا مَوْضِعٌ فِي دِيَارِ بَنِي أَسَدٍ، وَهُوَ إِنَّمَا يَنْقُلُ عَنِ الْجَاسِرِ حِينَ حَدَدَ السَّلِيلَ مَقْرُونًا بِعَاقِلٍ فِي دِيَارِ بَنِي أَسَدٍ، وَقَدْ أَثْبَتْنَا قَبْلَ أَنْ السَّلِيلَ إِنَّمَا هُوَ مِنْ دِيَارِ قُشَيْرٍ عَلَى أَطْرَافِهَا .

(٤) الْأَذْهَمُ: يَقْصِدُ بِهِ الشَّعْرُ الْأَسْوَدُ (اللسان: ذه)، وَأَكَّدَ صِفَةَ الذُّهْمَةِ بِقَوْلِهِ: (فاجح)، وَهُوَ الْأَسْوَدُ الْحَسَنُ (اللسان: فجم). أَمَّا قَوْلُهُ: (ذِي غُرُوبٍ)، فَهُوَ يَصِفُ فَاهَا وَجَمَالَهَا بِمَا تُضَيِّفُ إِلَيْهِ الْأَسْنَانُ الْمُفْلَجَةُ الْبَيضاءَ جَمَالًا آخَرَ، وَالْغُرْبُ: الْيَمَاعُ الْأَسْنَانُ النَّاصِعَةُ بِمَاءِ الرِّيقِ (اللسان: غرب)، وَكُلَّمَا كَانَتْ كَذَلِكَ كَانَ أَطْيَبَ لِرِائِحَةِ الْفَمِ، وَلَا تُكُونُ كَذَلِكَ إِلَّا إِذَا كَانَتْ مُؤَشِّرَةً رَقِيقَةً مُنْتَظِمَةً، وَهَذَا هُوَ الشُّنْبُ فِي أَصْلِهِ (اللسان: شنب). أَمَّا الْعُقَارُ -بِضَمِّ الْقَافِ- فَالْحَمَرُ (اللسان: عقر) .

- ٥ صُهْبَاءُ الشَّرَابِ حَيَّيْ حَوْلَ وَحَوْلًا أَوْقَرَتْ مَدَرًا وَقَارَا ^(١)
- ٦ فَلَمَّا طَابَ مَشْرِبُهَا تَدَاعَى لَهَا الْغَاوُونَ وَابْتَدَرُوا التَّجَارَا ^(٢)
- ٧ بِرَجْمِ الظَّنِّ، غَيْرِ يَقِينٍ عَلِمَ كَمَا شِيمَ الْحَيَا حِينَ اسْتَطَارَا ^(٣)
- ٨ بِأَعْيُنٍ مُحْسِدِينَ أَمُّوا إِلَيْهِ كَمَا أُلْقِيَ إِلَى طَلِيَا ثَوَارَا ^(٤)

تَخْرِيجُ الْأَبْيَاتِ :

تعليقات المحرري (مقطوعة ١٤٨)، العرب/ ١٦٤، شعراء قشير ١٦٥/٢، ديوانه/ ٧٤

(١) صُهْبَاءُ: تَصْغِيرُ صُهْبَاءَ، وَهِيَ الْخَمْرُ الضَّارِبَةُ إِلَى الْخُمْرَةِ (اللسان: صهب). حَيَّيْ حَوْلَ: أَيِ غَصِرَتْ وَخُبَّتْ فِي الرِّقَاقِ حَوْلًا. وَقَدْ جَاءَتْ الْكَلِمَةُ (جَوْلًا) فِي التَّعْلِيقَاتِ، وَهِيَ كَذَلِكَ فِي الْعَرَبِ وَدِيُونِهِ، وَأُظْهِرْنَا (وَحَوْلًا) كَمَا أَثْبَتْنَا، إِذْ لَمْ أَجِدْ لَهَا ذِكْرًا فِي الْمَعَالِمِ، وَبِهَذِهِ يَسْتَقِيمُ نَظْمُ الْبَيْتِ وَمَعْنَاهُ .

(٢) دِيَوَانُهُ وَشُعْرَاءُ قَشِيرٍ (الغادون)، وَمَا أَثْبَتَاهُ مِنَ تَعْلِيقَاتِ الْمَحْرِيِّ، وَابْتَدَرُوا: بَادَرُوا، وَالتَّجَارُ: الشَّرَاءُ وَالْبَيْعُ (مِنَ التَّجَارَةِ)، أَيِ بَادَرُوا إِلَى بَائِعِي الْخَمْرِ فِي الْخَوَانِيتِ؛ وَهُمْ فِي الْعَادَةِ مِنَ الْيَهُودِ وَالتَّصَارِي .

(٣) رَجْمُ الظَّنِّ: التَّوَقُّعُ وَالتَّخْمِينُ اللَّذَيْنِ لَا يَسْتَبْدَانِ إِلَى مَا يُرَجَّحُهُمَا، فَهَوْلَاءُ الْغَاوُونَ ابْتَدَرُوا التَّجَارَ لِشَرَاءِ الْخَمْرِ دُونَ أَنْ يَتَأَكَّدُوا مِنْ أَنَّهَا أَصْبَحَتْ جَاهِزَةً لِلشُّرْبِ، لَكِنَّهُمْ تَوَقَّعُوا ذَلِكَ، وَشَامُوهُ كَمَا يُشَامُ الْمَطَرُ بِالسَّحَابِ وَالْبَرَقِ، وَشَامَ الْبَرَقَ وَالسَّحَابَ: نَظَرَ إِلَيْهِ فَوَقَّعَ مَكَانَ إِمْطَارِهِ (اللسان: شيم) .

(٤) دِيَوَانُهُ وَشُعْرَاءُ قَشِيرٍ (لَقُوا)، وَتَصْوِيهِهِ مِنَ تَعْلِيقَاتِ الْمَحْرِيِّ. الْمُحْسِدُ: الْحَانِي الْمُتَشَوِّقُ الرِّيقَ الْقَلْبِ (اللسان: حذب) .

{ الوافر }

- ١ أقول لصاحبي والعيس نهوي بنا بين المنيقة والضمار^(١)
 ٢ سمع من شميم عرار بجد فما بعد العشيّة من عرار^(٢)
 ٣ وبين قفارها فقصف المطايا فإن العيس تحبس بالقفار^(٣)

(١) في أمالي القاضي وشرح الحماسة (فالضمار)، وفي الأمالي (تخدي)، وفي غيرها (الغمار)، وهي غمرة وما والاها إلى طريق البصرة، ووجه من الغمار، وهي جبال غمرة، وذات عرق من الغمار، ومنها غمرة كندة. والأولى (الضمار)، لا كما قال الجاسر: "والغمار وردت في المؤلفات: الضمار - بالضاد، ولا شك أنه تصحيف قديم". ودليلنا أن الغمار والضمار موقعان مختلفان كما في مصادر البلدانيات (انظر ياقوت: الغمار، الضمار). العيس: الإبل التي يضرب لوئها إلى الصفرة، وقيل هي الإبل البيض مع شقرة يسيرة (اللسان: عيس)، وهوت الإبل في مسيرها: اشتد سيرها فكانها تُرقل إرقالاً، ولا يكون ذلك إلا إذا كانت تسير على متحدر من الأرض. أما المنيقة والضمار فقد ساقهما الجاسر معاً في التعريف بهما، قال: "يحدّه ياقوت بأنه بين نجد واليمامة، وهذا تحديد غريب (١) ويُفهم من البيت الوارد فيه أنه يقرب المنيقة، وهي على ما ذكر ياقوت يترليّ تميم في فلج، وقلج يعرف الآن بالباطن؛ واد عظيم يترق أسفل نجد من الغرب إلى الشرق من الدهناء حتى قرب البحر، ويقع بطريق المنيقة إلى العراق؛ فهل اتخذ الشاعر طريقه إلى الشام الطريق المار بالعراق؟ هذا ما لا نستطيع الجزم به، لعدم الأدلة" (العرب: ١٤٧).

والواقع أن قلجاً هذه ليست التي تكلم الجاسر عليها؛ فهناك أفلاج كثيرة. قال ياقوت وقد ساق الأبيات ونسبها إلى أغرابي: "الضمار موضع بين نجد واليمامة" (البلدان: الضمار)، وقال في المنيقة: "ماء لبني تميم على فلج كان فيه يوم من أيامهم، وهو بين نجد واليمامة"، ثم ذكر البيت الأول والثاني بدون غزو (البلدان: المنيقة). لكنه قال في تعريف فلج: "وفلج مدينة بأرض اليمامة لبني جعدة وقشتر بن كعب بن ربيعة بن عابر بن صعصعة ... والأفلاج لبني جعدة وفيها لبني قشتر" (البلدان: فلج)، وعلى ذلك فلا غرابية، ولا مجال للظن في نسبة الأبيات للصمّة، أو تردّد في أنه اتخذ طريقه إلى الشام من خلال العراق!

(٢) العرار: نبات طيب الرائحة، وهو الترجس البرّي (اللسان: عرار)، والشميم: الشم.

(٣) انفرد بهذا البيت الحربي في كتاب (المناسك وأماكن طرق الحج)، وقد أورد البيت مرتين، أولاهما (وبين رياضها فقصف)، والأخرى (وبين قفارها فقصف)، انظر كتاب المناسك، ص ٣١٨، ص ٦٠٣.

- ٤ ألا يا حبدًا تفحات سجّد ورّيا روصيه بعد القطار^(١)
 ٥ وأهلك، إذ يحلّ الحيّ سجداً وأنت على زمانك غير زار^(٢)
 ٦ شهور تنقّضين وما علمنا بأنصافٍ لهنّ ولا سرار^(٣)
 ٧ نقاصر ليلهنّ، فخير ليل نقاصر ليلهنّ، فخير ليل^(٤)
 ٨ أسست من الحياة، وطال حزني أسست من الحياة، وطال حزني^(٥) فقلبي موجع، والدمع جار

(١) في المروزي (غب القطار)، التفحات: نسائم الريح العليلّة المضمخة بروائح ذكيّة، والرّيا: الرّيح الطيّبة (اللسان: روى)، والقطار: المطر، جمع قطر (اللسان: قطر).

(٢) الزاري: الذي يعقب ويعقب، ورّى عليه: ذكره يسوء وتنقصه (اللسان: زرى).

(٣) المروزي (وما شعرتنا)، السّرار: آخر ليالي الشهر، حين يستمر القمر (اللسان: سرر)، والشاعر هنا يشير قضية الإحساس بالزمن، فالزمن بالتسبّع للإنسان مسألة نسبية؛ فهناك من يرى اليوم شهراً، وهناك من يرى الشهر يوماً، والحقيقة أن الزمن ثابت لا يتغير، لكن الفرح والسعادة عادة ما يوتيان خلصة، وتدوم بالإنسان هُمومته وتدّكه صروف الدهر والحدّثان. ولهذا ظهرت قضية الزمن في الشعر العربي بارزة، ومنها قول شاعرهم:

يطول اليوم لا ألقاك فيه وحول تلقى فيه قصير

(٤) في معاهد التنصيص (فأما ليلهنّ فخير ليل وأقصر ما ...) من المعروف أن الليل والنهار يستويان تقريباً في المناطق القريبة من خط الاستواء، ويطول الليل كثيراً في المناطق القطبية حتى يبلغ أحياناً نصف العام تقريباً، أما المناطق المدارية وشبه المدارية، فليلها أطول من نهارها بنسبة بسيطة، وتفضل الشاعر قصر النهار هنا دليل على أنهم كانوا يحذون الليل عليه لما فيه من برودة؛ فالنهار شديد الحرارة في السوادي، وكلّما قصر النهار كان أفضل عندهم.

(٥) انفرد به الحربي، انظر كتاب المناسك وأماكن طرق الحج، ص ٦٠٣.

المرزوقي ١٢٤٠/٣-١٢٤١، والتبريزي ١٠١/٢-١٠٢ للصِّمَّة القشيري، وهي كذلك في اللسان (عرر) له عن ابن بري، والتاج (عرر)، وفي (ضممر) قال الصَّاعاني: "هكذا أنشده له المرزوقي، والصحيح أنه لجَعْدَةَ بِنِ مُعَاوِيَةَ بِنِ حَزْمِ الْعُقَيْلِيِّ". المناسك وأماكن طرق الحج ٣١٨/٣، ٦٠٣، محاضرة الأبرار ٧٩/٢، الحنين إلى الأوطان/٢٤، رغبة الأمل ١٥/٧، وفي معاهد التنصيص ٢٥٠/٣ نسب الأبيات إلى الصِّمَّة القشيري، وقال بعد أن ساقها: "وقيل: الأبيات لجَعْدَةَ بِنِ مُعَاوِيَةَ بِنِ حَزْمِ الْعُقَيْلِيِّ"، تاج العروس (الغمار)، أمالي القاضي ٣٣/١، سمط اللآلي ١٤٠/١، ٧٦٣/٢، المدهش/١٨٥، معجم البلدان (الضممار، المنيفة)، وزهر الآداب ١٠٣/٣، والوساطة/ ٣٤ بدون عزو، الحماسة البصرية ١٠٩/٢ منسوبة لمُعَقَّلِ بِنِ جَنَابٍ أَوْ لجَعْدَةَ بِنِ مُعَاوِيَةَ، الزهرة/٦٠، المثل السائر ١٧٤/١، وانظر العرب/١٦٦-١٦٧، المرشد إلى فهم أشعار العرب ٣٥٨/١، شعراء قشير ١٧٩/٢، ديوانه/ ٧٨.

وقد وهم البكري في السَّمَطِ، فقال بعد أن ذكر البيت الأول منها: "أنشده أبو تمام للصِّمَّة بِنِ عبد الله القشيري والد دُرَيْد" (سمط اللآلي، ١ ص ١٤٠).

{ الطويل }

- ١ وَهَلْ تَجَزِيَّتِي الْعَامِرِيَّةُ مُوقِفِي عَلَى نَسْوَةِ بَيْنِ الْحِمَى وَغَضَا الْجَمْرِ^(١)
- ٢ مَرَزْنُ بِأَسْبَابِ الصَّبَا ، فَذَكَرْتُهَا فَأَوَمَّاتُ ، إِذْ مَا مِنْ جَوَابٍ وَلَا نُكْرٍ^(٢)

تَحْرِيجُ الأَبْيَاتِ :

الأغاني ٢٩٢/٥، مهذب الأغاني ١٨٦/٤، العرب / ١٦٥، شعراء قشير ١٨٣/٢، ديوانه/ ٨٤

(١) الأغاني وديوانه وشعراء قشير (هَلْ تَجَزِيَّتِي) عَلَى حَذْفِ المتحرِّكِ الأوَّل من فَعُولن، وكذا ديوانه. العامرية هنا هي رَيَّا، وهذا هو اسمها في الرواية التي ساقها أبو الفرج في أغانيه، وتَمَامُ اسمها: العامرية بَنَتْ غَطُفًا بِنِ حَبِيبِ بِنِ قُرَّةِ بِنِ هُبَيْرَةَ، فهي إذا ابنة عمِّ العبد. والشاعر هنا يذكُرُها بما كان من أمره إذ استمع إلى نَسْوَةِ يَذْكُرُهَا فِي حُضُورِهِ؛ فَمَا كَانَ مِنْهُ إِلَّا أَنْ طَلَّ وَاجِمًا دُونَ أَنْ يَوْكُذَ مَا حَكَيْتُهُ عَنْ عَلاقَتِهِ بِهَا، ودون أَنْ يَنْفِي ذَلِكَ.

الْحِمَى: لَعَلَّهُ يُرِيدُ حِمَى النَّمْرِ وقد تقدَّم ذِكْرُهُ، وَلَا شَكَّ فِي أَنَّ الْحِمَى يُطْلَقُ مُجَرَّدًا عَلَى أَيِّ جُزْءٍ مِنْ جَمْعِ الْقَبِيلَةِ، أَمَّا الْغَضَا، فَنَبَاتٌ مِنْ نَبَاتِ الرَّمْلِ لَهُ هَذَبٌ كَهَذَبِ الْأَرَطَى، وَيَدُومُ جَمْرُهُ حِينَ يُشْتَعَلُ طَوِيلًا (اللسان: غضا).

(٢) أسباب الصَّبَا: ذِكْرِيَاتُ الصَّبَا وَحَوَادِثُهُ (اللسان: سبب)، والإيماءُ أَنَّ يَصْنُدُ عَنْ الْإِنْسَانِ الْمُؤَمِّسِ فَعَمَلٌ لَا كَلَامٌ؛ يَشِي بِمَا يُرِيدُ إِيْجَابًا أَوْ رَفْضًا وَإِنْكَارًا، وبعضُ الإيماءاتِ تَحْتَمِلُ الْأَمْرَيْنِ مَعًا مِثْلَ حَرَكَةِ الْعُنُقِ بِالرَّأْسِ إِلَى اسْتَقْلٍ وَأَعْلَى؛ فَدَلَالَتُهَا تَعْتَمِدُ عَلَى مَلاحِظَةِ الْبَدْءِ بِاتِّجَاهِ حَرَكَةِ الرَّأْسِ لِأَيِّ جِهَةٍ كَانَتْ أَوَّلًا. وقد كان من عادة بعض الشعراء تَكَرُّرُ أَسْمَاءِ صَوْنِيَجِيَّاتِهِمْ، وهذا هو المشهورُ من أمرِ الْعَبَّاسِ بِنِ الْأَحْنَفِ وَصَاحِبِيَّتِهِ (فوز).

{ الطويل }

- ١ تَعَزَّرَ بَصِيرٌ ، لَا وَجَدَكَ لَا تَرَى سَنَامُ الْجَمَى أُخْرَى اللَّيَالِي الْغَوَايِرُ^(١)
٢ كَانَ فَوَادِي مِنْ تَذَكُّرِهِ الْجَمَى وَأَهْلُ الْجَمَى ، يَهْفُو بِهِ رِيَشُ طَائِرٍ^(٢)

تَخْرِيجُ الْأَبْيَاتِ :

الأغاني ٢٩٣/٥، تجريد الأغاني ق ١ ج ٢/٧١٦، تزيين الأسواق ١/٢٣١، وفيها أن هذا آخر ما قاله الصَّمَّةُ قبل أن تفيض رُوحُه. معاهد التنصيص ٣/٢٥٦، التذكرة الحمدونية ٦/١٥٣، معجم البلدان/ سَنَام، الوافي بالوفيات ١٦/١٩٣، الزهرة ١٧٧/١٢ (لبعض الأعراب)، ديوان ابن الدمينه ٢٤/٢٤، شعراء قشير ١٦٥/١٦٥، شعراء قشير ٩٩/١٨٢، ديوانه ٨٢. وقد رُوِيَ الأبيات للمُحَنِّونِ في ديوانه ٩٩

(١) في الحمدونية (بَشَامُ الْجَمَى إِحْدَى)، وفي الوافي (لَا وَرَبَّكَ)، وديوانه وشعراء قشير (بَشَام). والتَّعَزَّرِي بالصَّيْر والتَّحَمُّلُ بِهِ، والتَّحَلُّدُ، والتَّصَرُّ؛ كُلُّهَا بِمَعْنَى فِي غَايَةِ الْأَمْرِ. وَسَنَامُ الْجَمَى أَعْلَى مَا فِيهِ مِنْ هِضَابٍ عَلَى التَّشْبِيهِ بِسَنَامِ الْبَعْرِ (اللسان: سَم). قَالَ الْجَاسِرُ: "وَقَدْ يَقْصِدُ الشَّاعِرُ أَعْلَى الْجَمَى، وَهَنَّاكَ مِنْهُلٍ بِقُرْبِ مَاوَانَ فِي جَمَى الرَّبْذَةِ، وَهُوَ بَعِيدٌ عَنْ يِلَادِ الشَّاعِرِ" (العرب/ ١٤٦) ..

وَقَالَ يَاقُوتُ: "قَالَ نَصْرُ: سَنَامُ اسْمُ جَبَلٍ قَرِيبٍ مِنَ الْبَصْرَةِ يَرَاهُ أَهْلُهَا مِنْ سَطُوحِهِمْ، وَفِي بَعْضِ الْأَثَارِ أَنَّهُ يَسِيرُ مَعَ الدَّجَالِ. وَسَنَامُ أَيْضًا جَبَلٌ بَيْنَ مَاوَانَ وَالرَّبْذَةِ. وَسَنَامُ أَيْضًا جَبَلٌ لَبَنِي دَارِمٍ بَيْنَ الْبَصْرَةِ وَالْإِمَامَةِ؛ قَالَ بَعْضُهُمْ... وَحَدَّثَ مُحَمَّدُ بْنُ خَلْفٍ [بَعْنٌ] وَكَيْعٍ، وَرَفَعَهُ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ طَبْرِ سَنَانَ كَبِيرِ السَّنَنِ قَالَ: يَتِمَّا...، وَيَذْكُرُ قِصَّةَ مَوْتِ الصَّمَّةِ، وَيُورِدُ الْبَيْتَيْنِ لَهُ (البلدان: سَنَام).
أَمَّا الْبَشَامُ؛ فَهُوَ شَجَرٌ طَيِّبُ الرَّيْحِ وَالطَّعْمِ يُسْتَأْكَلُ بِهِ، وَاحِدُهُ بَشَامَةٌ (اللسان: بَشَم). وَأَمَّا الْجَمَى فَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ. وَاللَّيَالِي الْغَوَايِرُ: اللَّيَالِي الْبَاقِيَّةُ - الْمُنْتَبَقِيَّةُ (اللسان: غَيْر)، وَهُوَ يَقْصِدُ أَنَّهُ لَنْ يَرَاهَا أَبَدَ الدَّهْرِ فِي مَا تَبَقَّى لَهُ مِنْ أَيَّامٍ.

(٢) فِي الْوَافِي (وَأَهْلُ الْجَمَى). هَذَا الطَّائِرُ بِحَاجَةٍ: أَيِ خَفَقَ بِهِمَا وَطَارَ (اللسان: هَفَا)، وَهُوَ هُنَا يُصَوِّرُ بِالتَّشْبِيهِ مَا يُصِيبُ قَلْبَهُ مِنْ تَسَارُعٍ فِي التَّنْظُرِ حِينَ يَتَذَكَّرُ الْجَمَى وَسَاكِينِهِ؛ أَيِ رَمَا .

{ البسيط }

- ١ إِذَا نَأَتْ لَمْ تَفَارِقْنِي عَلاَقَتَهَا وَإِنْ دَنَتْ فَصُدُّودُ الْعَائِبِ الزَّارِي^(١)
٢ فَحَالُ عَيْنِي مِنْ يَوْمِكَ وَاحِدَةٌ تَبْكِي لِفَرْطِ صُدُودٍ ، أَوْ تَوَى دَارٍ^(٢)

تَخْرِيجُ الْبَيْتَيْنِ :

الأغاني ٥/٢٩٤، مهذب الأغاني ٤/١٨٧، والثاني في التذكرة الحمدونية ٦/١٨٧، العرب/ ١٦٥، شعراء قشير ٢/١٧٨، الغزل عند العرب/ ٤٥، ديوانه ٧٧

(١) نَأَتْ: بَعُدَتْ وَرَحَلَتْ، أَوْ رَحَلَتْ عَنْ دِيَارِهَا بَعْدَ صَدِّهَا، وَالْأَوَّلَى بَعُدَتْ وَرَحَلَتْ لِمَا يُقَالُ لَهَا فِي عَجْرِ الْبَيْتِ (وَإِنْ دَنَتْ)، أَمَّا (صُدُودٌ) فَتَحْتَمِلُ الضَّمَّ وَالْفَتْحَ بِحَسَبِ تَقْدِيرِ مَا قَبْلَهَا؛ فَعَلَى الْفَتْحِ يَكُونُ التَّقْدِيرُ: (فَإِنَّهَا تُصَدُّ صُدُودُ الْعَائِبِ)؛ أَيِ عَلَى الْمَفْعُولِيَّةِ، وَعَلَى الضَّمِّ يَكُونُ التَّقْدِيرُ: (فَإِنَّ دُؤُوبَهَا صُدُودُ الْعَائِبِ). وَالْعَائِبُ وَالْمُعَائِبُ بِمَعْنَى، أَمَّا الزَّارِي؛ فَالْإِثْمُ الشَّدِيدُ اللَّوْمُ؛ الَّذِي فِي لَوْمِهِ تَخْرِيجُ (اللسان: زَرَى) .

(٢) فِي التَّذَكُّرَةِ الْحَمْدُونِيَّةِ: (تَحْتَالُ عَيْنِي فِي يَوْمِكَ وَاحِدَةً)، وَفِيهِ تَصْغِيفٌ وَتَحْرِيفٌ ظَاهِرَانِ، وَفِي دِيَوَانِهِ (فَحَالُ عَيْنِي)، وَقَدْ آتَرْنَا الرُّوَايَةَ الْأُخْرَى لِأَنَّ قَوْلَهُ (تَبْكِي) فِي عَجْرِ الْبَيْتِ يُوَكِّدُ هَذِهِ الرُّوَايَةَ، إِذْ لَوْ كَانَتْ كَمَا فِي دِيَوَانِهِ لَاقْتَضَى النَّظْمُ (تَبْكِيَانِ)، وَقَدْ جَاءَتْ هَذِهِ الرُّوَايَةُ فِي الْأَغَانِي (٦/٦) ! وَفَرَطُ الصَّدُودِ: شِدَّتُهُ وَالْإِفْرَاطُ فِيهِ لِمَعْنَا فِي الْإِيلَامِ (اللسان: فَرَط)، أَمَّا التَّوَى فَهُوَ الْبُعْدُ وَالْإِرْتِحَالُ (اللسان: تَوَى) .

{ الطويل }

- ١ خَلِيلِي ، هَلْ يُسَحِّبُ الْأَثْلُ وَالْعَضَا وَبَتُّ الرُّبَا مِنْ بَطْنِ وَدَّانَ ، وَالسَّدْرُ^(١)
 ٢ وَهَلْ يَلْتَقِي - لَا بَعْدَمَا قَدْ تَصَافِيَا - خَلِيلَانِ بَانَا لَيْسَ بَيْنَهُمَا وَرْ^(٢)
 ٣ نَأَتْ بِهَـمَا دَارُ الْهَوَى وَوَرَايَا دُرَى الصُّغْنِ حَتَّى لَجَّ بَيْنَهُمَا الشَّرُّ^(٣)
 ٤ إِذَا نَبَتْ ، إِلَّا مَا عَدَا الثَّنَائِي بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ ، لَمْ يَلْزَمْكَ مَا فَعَلَ الدَّهْرُ^(٤)

تَخْرِيجُ الْأَبْيَاتِ :

الأشباه والنظائر ٢ / ٢٥٤ ، العرب / ١٦٦ ، شعراء قشير ٢ / ١٥٠ ، ديوانه / ٧٠

(١) الْأَثْلُ وَالْعَضَا نَبَاتَانِ مِنْ نَبَاتَاتِ الرَّمْلِ ، وَبَتُّ الرَّمْلِ عَادَةٌ مَا يَكُونُ مُسْتَدِيقُ الْأَغْصَانِ سِوَى السَّدْرِ الَّذِي يَكُونُ شَوْكِيًّا. أَمَّا وَدَّانُ فَقَالَ فِي أَمْرِهِ الْحَاسِرُ: "وَدَّانُ كَمَا هُوَ مَعْرُوفٌ يَقَعُ بِقُرْبِ سَاحِلِ الْبَحْرِ الْأَحْمَرِ ، بَيْنَ رَابِعٍ وَنَتِيعٍ ، وَهُوَ إِلَى الْأَوَّلَى أَقْرَبُ ، وَهُوَ بَلَدُ الشَّاعِرِ نُصَيْبٍ ، وَمَنْ الْمُسْتَبْعَدُ أَنْ يَذْكُرَهُ الصَّمَّةُ لِعَدَمِ صِلَتِهِ بِهِ ، وَنَرَى أَنَّ الْمَقْطُوعَةَ لَيْسَتْ لِلصَّمَّةِ" (العرب / ١٥٠) .

قَالَ يَاقُوتُ بَعْدَ أَنْ يَذْكُرُ بَلَدَ نُصَيْبٍ: "... وَوَدَّانُ أَيْضًا: جَبَلٌ طَوِيلٌ بَيْنَ قَيْدٍ وَالْحَبْلَيْنِ" (البلدان: وُدَّانَ) ، وَقَيْدٌ كَمَا يَذْكُرُ يَاقُوتُ: "أَكْرَمُ نَحْلٍ: قَرِيبٌ مِنْ أَجَا وَسَلْمَى جَلَّتِي طَيِّ" (البلدان: قَيْدُ) ، وَهُوَ عَلَى هَذَا عَلَى حُدُودِ دِيَارِ قَشِيرٍ ، وَمِمَّا يُوَكِّدُ ذَلِكَ مَا وَرَدَ فِي الْمَقْطُوعَةِ التَّالِيَةِ مِنْ ذِكْرِ شَيْخَةِ الرَّمْلِ ، وَأَتَمَّهَا مَاءٌ شَرْقِيٌّ قَيْدٌ (انظر هامش ١ في المَقْطُوعَةِ التَّالِيَةِ) .

(٢) فِي مُخْتَلَفِ التَّصَوُّصِ (يَقْتَنِي) ، وَأُظُنُّ رَوَايَتَهَا بِاللَّامِ أَدَقُّ لِمَا يَقْتَضِيهِ مَعْنَى عَجَزِ الْبَيْتِ وَالْأَبْيَاتِ الَّتِي تَلِيهِ . وَالْوَرْثُ: الصُّغْنُ وَالْقَارُ .

(٣) تَرَايَا دُرَى الصُّغْنِ: صَعْدًا حَتَّى بَلَّغَا قِيَمَةَ الْفَرَاحِيَةِ ، وَلَجَا فِي الْخُصُومَةِ وَالتَّضَاعُنِ حَتَّى اسْتَحْكَمَ الشَّرُّ بَيْنَهُمَا ، وَمَنْ الْمَعْرُوفُ أَنَّ الْحَبِيبَيْنِ إِذَا افْتَرَقَا عَلَى خُصُومَةٍ ، وَتَنَاءَتْ بِهِمَا الدِّيَارُ ، وَلَمْ تُجِدِ الْإِيَّامُ بِلِقَائِهِمَا لِيَتَصَافِيَا ، إِزْدَادَتْ تَوَارُغَ الدَّائِيَةِ فِي نَفْسَيْهِمَا ، وَاسْتَحْكَمَتْ مَشَاعِرُ اللَّدَادَةِ .

(٤) فِعْلُ الدَّهْرِ: تَفْرِيقُ الْأَحْيَةِ وَالْحَوَرِ عَلَيْهِمْ ، وَالشَّاعِرُ يُرِيدُ عَنْ حَبِيبَيْهِ وَرَزَّ هَذَا الْفَرَاقَ ، وَيُنَسِّبُهُ لِلدَّهْرِ وَصُرُوفِ الْإِيَّامِ .

{ الطويل }

- ١ وَلَمَّا نَزَلْنَا شَيْخَةَ الرَّمْلِ أَغْرَضَتْ وَلاَحَتْ لَنَا حُزْوَى وَأَعْلَامُهَا الْغُبْرُ^(١)
 ٢ شَرَبْنَا مَاءَ الشُّوقِ حَتَّى كَانَمَا سَرَتْ فَاسْتَقَرَّتْ فِي مَفَاصِلِنَا الْحُمْرُ^(٢)
 ٣ وَظَلَّ بَعِيْنُكَ اللَّجُوجَيْنِ وَكَفَّ مَنِ الدَّمْعُ أَنْ لَا يَنْطِقَ الظَّلَلُ الْقَفْرُ^(٣)
 ٤ عَلَامُ نَقُولُ: الْهَجْرُ يَشْفِي مِنَ الْجَوَى أَلَا لَا ، وَلَكِنْ أَوَّلُ الْكَمَدِ الْهَجْرُ^(٤)

تَخْرِيجُ الْأَبْيَاتِ :

الحماسة الشَّجَرِيَّة ١ / ٥٤١ - ٥٤٢ ، وليست في العرب ، شعراء قشير ٢ / ١٥٧ ،

ديوانه / ٧٣

(١) لَمْ يَذْكُرِ الْجَاسِرُ شَيْخَةَ الرَّمْلِ ، وَقَالَ يَاقُوتُ: "... قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ السَّكُونِيُّ: الشَّخَّةُ شَرْقِيٌّ قَيْدٌ ، بَيْنَهُمَا مَسِيرَةُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ ، مَاءٌ مَعْرُوفَةٌ ثَنَائِخُ الْقَيْصُومَةِ ، وَهِيَ أَوَّلُ الرَّمْلِ ... وَقِيلَ: الشَّيْخَةُ بَطْنُ الرُّمَّةِ" (البلدان: الشَّيْخَةُ) ، وَهَذَا يُوَكِّدُ نِسْبَةَ الْقَيْصُومَةِ الْمُتَقَدِّمَةِ لِلصَّمَّةِ ، وَلَعَلَّهُ يَرْجِّحُ أَنْ تُكَوِّنَ الْمَقْطُوعَتَانِ مِنْ قَصِيدَةٍ وَاحِدَةٍ ، فَهُمَا تَمَثَّلَانِ فِي الْخِصَالِصِ الَّتِي تُوحَّدُ بَيْنَهُمَا فِي الْوَزْنِ وَالْقَافِيَةِ وَالرَّوْيِ وَالْمَوْضُوعِ .

أَمَّا حُزْوَى ، فَلَمْ يَذْكُرْهَا الْجَاسِرُ أَيْضًا ، وَقَالَ يَاقُوتُ: "مَوْضِعٌ يَتَجَدَّى فِي دِيَارِ تَمِيمٍ" (البلدان: حُزْوَى) ، وَمَعْرُوفٌ أَنَّ دِيَارَ تَمِيمٍ مُحَارَرَةٌ لِدِيَارِ قَشِيرٍ .

أَعْلَامُهَا الْغُبْرُ: جِبَالُهَا الْغُبْرَاءُ ، وَالْغُبْرَةُ كُدْرَةٌ فِي اللَّوْنِ بَيْنَ الرَّمَادِيِّ وَالْأَحْمَرِ .

(٢) قَوْلُهُ (مَاءَ الشُّوقِ) فِيهِ الْبَاءُ زَائِدَةٌ ، وَمَخْرَجُهُ: شَرَبْنَا مَاءَ الشُّوقِ ، وَمَاءُ الشُّوقِ الدَّمُوعُ الَّتِي تُتَهَلَّلُ بِهَا الْعَيْنَانِ لَحْظَاتِ الْإِشْتِيَاقِ .

(٣) الْأَعْيُنُ الْحُوجُ: تِلْكَ الَّتِي لَا تَتَفَكَّرُ تَطِيلَ النَّظَرِ إِلَى الْمَكَانِ رَغْبَةً فِي الْإِسْتِزَادَةِ مِنْهُ لِمَا يَحْتَمِلُهُ مِنْ ذِكْرِيَّاتٍ عَزِيزَةٍ ، وَهِيَ الْعَيْنُ الَّتِي لَا تَبْرَحُ تَبْكِي ، وَالْوَاكِفُ: الدَّمْعُ الْمُتَهَيَّرُ ، وَهَذَا مِنْ صِفَاتِ السُّحْبِ (دِيْمَةُ هَطْلَاءُ فِيهَا وَكَفَّ) . أَمَّا قَوْلُهُ: (أَنْ لَا يَنْطِقَ الظَّلَلُ الْقَفْرُ) فَهِيَ عَلَى تَقْدِيرِ التَّعْلِيلِ ؛ لِأَنَّ لَا يَنْطِقُ ؛ أَيْ لِعَدَمِ نَطْقِ الظَّلَلِ الْقَفْرِ .

(٤) هَذَا حِطَابٌ مِنَ الشَّاعِرِ لِنَفْسِهِ ، فَادَّعَا أَنْ الْهَجْرَ يَشْفِي مِنَ الْحَوَى إِنَّمَا تُعْلَلُ بِهِ النَّفْسُ لِيَهْدَأَ أَوَارِهَا ، وَلَا يَنْفَطِنُ الْعَاشِقُ لِمَثَلٍ هَذَا إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَذوقَ لَوَاعِجَ الْفَرْقَةِ وَالتَّعْدِي ، فَيَكُونُ الْهَجْرُ أَلَمَ وَأَقْسَى .

{ الطويل }

- ١ أَكْرَرُ طَرْفِي نَحْوَ بَجْدٍ وَلَيْسِي إِلَيْهِ ، وَإِنْ لَمْ يَذْرُكِ الطَّرْفُ، أَنْظُرُ^(١)
 ٢ حَنِينًا إِلَى أَرْضٍ كَأَنَّ تَرَابَهَا إِذَا مُطِرَتْ غُودٌ وَمَسْكٌ وَعَنْبَرٌ
 ٣ بِلَادُ كَأَنَّ الْأَقْحَوَانَ بِرَوْضَةٍ وَنُورَ الْأَقَاحِي وَشَيْءٍ بَرْدٍ مُحَبَّرٍ^(٢)
 ٤ أَجْنُ إِلَى أَرْضِ الْحِجَازِ وَحَاجَتِي خِيَامٍ نَجْدٍ دُونَهَا الطَّرْفُ يَقْصُرُ
 ٥ وَمَا تَظْهَرِي مِنْ نَحْوِ بَجْدٍ بِنَافِعِي أَجَلٌ لَا ، وَلَكِنِّي إِلَى ذَاكَ أَنْظُرُ
 ٦ أَفِي كُلِّ يَوْمٍ نَظْرَةً ثُمَّ عَبْرَةً لَعَيْنِكَ مَجْرَى مَائِهَا يَبْـحَدُّ
 ٧ مَيَّ يَسْتَرْحِ الْقَلْبُ؟ إِمَّا مُجَاوِرٌ بِحَرْبٍ ، وَإِمَّا نَازِحٌ يَذْكُرُ^(٣)

تَخْرِيجُ الْأَيَّاتِ :

معجم البلدان (نجد)

(١) واضح أن الشاعر قال هذه الأبيات وهو بعيد عن دياره، وهو يوضح في نهاية الأبيات أنها قيلت بعد أن التحق بالحندي المقاتلين، وقوله: (وإن لم يذرك الطرف) دال على أنه ينظر ناحية نجد من مكان بعيد، وأن مدى بصره لا يبلغ أن يذرك نجدا، لكنه يديم النظر وإن لم يذرك، فهو إنما جهد المشتاق .

(٢) هكذا ورد البيت (بروضة)، ولعلها (بروضي)، وتكون الهاء هنا عائدة على الأقحوان نفسه، والوشى: الزينة التي تصطبغ في القماش بأن تدخل خيوط بألوان أخرى عدا لون الخلفية ذي النسبة الكبرى، وتحاك بأشكال جميلة (اللسان: وشي). والبرد القماش أو الثوب، أما التحير فإن تكون الألوان المتخلصة على اللون الأصلي على هيئة خطوط غريضة (اللسان: حبر)، وقد كانت اليمن تستهزئ بمثل هذه البرود .

(٣) المجاور بالحرب: المقاتل الذي فرض في الحدي فلا يبارح فرقتة حتى تنتهي المهمة التي توجه الجيش إليها، والتاريخ: المغرب عن دياره قهرا، وهو الذي بعدت عليه الثقة عن وطنه وأهله، وتقادفته الدروب .

{ البسيط }

- ١ إِنَّ الْكَرِيمَ وَإِنْ أَرَبْتَ خَلِيقَهُ مَا لَمْ يَجِدْهُ بِأَذْنِي وَبِلَهِ الْيُسْرِ^(١)
 ٢ يَرْتَوِطُ طَرْفٌ كَلِيلِ اللَّحْظِ خَاشِعِهِ كَأَنَّهُ مُذْنِبٌ قَدْ فَاتَهُ عُدْرُ^(٢)
 ٣ إِذَا دَوُوَ الْمَالِ عَتَوْا فِي مُنَاقَلَةٍ أَلْفَيْتُهُ وَابْتِئَا فِي بَاعِهِ قَصْرُ^(٣)

تَخْرِيجُ الْأَيَّاتِ :

أما البيدي / ١٥٠ عن عمه الفضل، وكذلك في المرثي له / ٣١٢، وليست في العرب ولا ديوانه. ويبدو أن الصمة قال هذه الأبيات على أثر ما حصل بين أبيه وعمه في مهر ريا من ملاحاة ومحاك .

(١) أربت: زادت وقضلت على غيرها (اللسان: ربا)، والخلائق: الخصال والطباع (اللسان: خلق)، ومنها قول زهير: (ومهما تكن عند امرئ من خليقة وإن خالها تخفى على الناس تعلم). وجادة اليسر: وصلته بالنعمة وزاده لين معاش، والويل في أصله للغيث، وينبغي ملاحظة ارتباط الخير واليسار والكرم والجود عند العرب بالماء والمطر والحيا والغوث .

(٢) كليل اللحظ: الذي لم يدم نظره طويلا، ولم ينظر بإنعام وكأنه في بصره علة ما تمنعه من ذلك (اللسان: كلل)، وخاشع البصر: الذي تظهر في نظره الدلة والمسكنة؛ وكأنه يحس نقصان قدره عن حركته (اللسان: خشم)، كالمذنب المغير بذنبه حين لا يملك ما يعتذر به عن ذنبه .

(٣) دؤو المال: أصحابه من المومنين، وهو يقصد هنا أباه وعمه. عتوا: لجؤا في المحاك وصعبوا الأمر (اللسان: عنى)، والمنقاة: نقل المال من أحدهم إلى الآخر (اللسان: نقل). والواني: الواجيم العاجز (اللسان: وني) .

{ الطويل }

١ فَإِنْ تُنْكِحُوهَا عَامِرًا لِإِطْلَاعِكُمْ إِلَيْهِ ، يُدْهَدِ هُكُمُ بِرَجُلَيْهِ عَامِرٌ^(١)

تَخْرِيجُ الْبَيْتِ :

قاله يهجو عامر بن يشر بن أبي براء بن مالك بن مُلَاعِبِ الْأَسِنَّةِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ كِلَابِ الَّذِي خَطَبَ رِيًّا ثُمَّ تَزَوَّجَهَا ، وَكَانَ قَصِيرًا قَبِيحًا ، وَيُحَدِّثُ قَوْمَهُ (عَمَّهُ) مِنْ مَعْبَةِ هَذَا الزَّوْاجِ ؛ لِأَنَّ عَمَّهُ كَانَ يَتَطَّلَعُ إِلَى مَقَامِ عَامِرٍ فِي قَوْمِهِ ، وَيَطْمَعُ فِي مَالِهِ . الْأَغَانِي ٥ / ٢٩٢ ، مَخْتَارُ الْأَغَانِي ٦ / ٥٦ ، الْعَرَبُ ١٦٦ ، شُعْرَاءُ قُشَيْرٍ ٢ / ديوانه ٧٢

قافية السَّيْنِ

(٢٨)

{ الطويل }

١ كُلِّي التَّمْرَ حَتَّى يُصْرَمَ النَّخْلُ وَاضْفُرِي خِطَامَكَ ، مَا تُذَرِينِ مَا الْيَوْمُ مِنْ أُمْسٍ^(١)

تَخْرِيجُ الْبَيْتِ :

قاله في زَوْجِهِ جَبْرَةَ بِنْتِ وَحْشِيِّ بْنِ قُرَّةَ . الْأَغَانِي ٥ / ٢٩٢ ، مَخْتَارُ الْأَغَانِي ٦ / ١٥٧ ، الْعَرَبُ ١٦٧ ، شُعْرَاءُ قُشَيْرٍ ٢ / ٢١٥ ، ديوانه ٨٥

(١) في ديوانه وشُعْرَاءُ قُشَيْرٍ (كُلِّي التَّمْرَ حَتَّى تُهْرَمَ) . يُصْرَمُ النَّخْلُ : يُقَطَّعُ وَيُجْتَثُّ (اللسان: صرم)، وَالضَّفَرُ : الْفَتْلُ ؛ وَهُوَ يَكُونُ فِي الْخِيَالِ بَأَنَّهُ تُجْعَلُ كَالضَّفَائِرِ مِنْ شَعْرِ الْمَرْأَةِ ، تُجَدَّلُ الْخِصَائِلُ مِنْهُ وَتُدَاخِلُ بِلِسِّي إِحْدَاهَا عَلَى الْأُخْرَى ، ثُمَّ تُدَاخِلُ الثَّالِثَةُ وَتَلْوِي ، وَهَكَذَا ، ثُمَّ يَرْتَبُطُ طَرَفُ الثَّلَاثِ الْخِصَائِلِ مَعًا ، وَهَذَا أَمْتَنُ لِلْحَبْلِ . أَمَّا الْخِطَامُ ، فَكُلُّ حَبْلٍ يُعْلَقُ فِي حَلْقِ الْبَعِيرِ ثُمَّ يُعْقَدُ عَلَى أَنْفِهِ لِيَسَاقَ بِهِ (اللسان: خطم)، وَكَأَنَّهُ يَشَبُّهَا بِالتَّاقِصَةِ لِجَهْلِهَا وَاهْتِمَامِهَا حَسْبَ بِالطَّعَامِ وَالشَّرَابِ ، وَلِهَذَا وَصَفَهَا بِأَنَّهَا لَا تُحَسُّ بِالزَّمَنِ وَمَا يَجْرِي مِنْ حَوْلِهَا ، وَفِي هَذَا تَلْمِيحٌ بِأَنَّهَا لَا تَكْتَرُثُ لِمَا يُحَسُّ هُوَ مِنْ حُبِّ امْرَأَةٍ سِوَاهَا .

(١) اِطَّلَعَ إِلَيْهِ ، وَتَطَّلَعَ إِلَيْهِ : تَقَرَّبَ مِنْهُ لِحَاجَةٍ فِي نَفْسِهِ وَهُوَ يُحَسُّ فِي نَفْسِهِ نَقْصًا عَنْ مَنَزِلَتِهِ وَقَدَرِهِ (اللسان: طلع)، أَمَّا قَوْلُهُ : (يُدْهَدِ هُكُمُ) ، فَمَعْنَاهُ يُدْخِرُ حِكْمَ بَقْدَمِيهِ كَالْكُرَةِ ؛ أَيُّ أَنَّ نَتِيجَةَ هَذَا الزَّوْاجِ سَتَكُونُ شَانِيَةً لَكُمْ جَمِيعًا (اللسان: دَهَدَه) .

قافية العين

(٢٩)

{ الطويل }

- ١ خَلِيلِي، عُوْجَا مِنْكُمْ الْيَوْمَ أَوْدَعَا نَحْيِي رُسُومًا بِالْقُبَيْبَةِ بَلَقَا^(١)
- ٢ أَرَبْتُ بِهَا الْأَرْوَاحَ حَتَّى تَسْتَفْتِ مَعَارِفُهَا، إِلَّا الصَّفِيحَ الْمَوْضَعَا^(٢)
- ٣ وَغَيْرَ ثَلَاثٍ فِي الدِّيارِ كَأَنَّهَا ثَلَاثَ حَمَامَاتٍ تَقَابِلُنَّ وَقَعَا^(٣)

(١) عوجا: من عاج: إذا مرَّ في طريقه بالمكان فأقام عنده قليلاً (اللسان: عاج)، رُسُومُ الدَّارِ: ما كان من آثارها لاصقاً بالأرض (اللسان: رسم)، وَالْمَكَانُ اللَّفْعُ: الخالي المَهْجُورُ (اللسان: بلقع).

أَمَّا الْقُبَيْبَةُ؛ فَوَاحِدَةُ الْقُبَيْبَاتِ، قَالَ الْجاسِرُ: "ورد هذا الاسم في أول القصيدة العينية من كتاب المنازل والديار، لأسامة بن منقذ، وهو بيت يدلُّ ضَعْفُهُ على أنه مصنوع ليس من شعر الشاعر، وأن أحدهم رأى القصيدة ناقصة من أولها، فأَوْجَدَ لها هذا البيت الركيك اللفظي، الضعيف المعنى، ليكون مطلعاً لها" (العرب: ١٤٩).

وقد وهم الجاسر حين مال إلى هذا الرأي، وذهب في هامش الصفحة (١٦٧) إلى تأكيد هذا بقوله: "وأنا أرى أن هذا ليس من شعر الصَّمتِ، وإنما وصفه (٩) أخذ الثقل، ويدلُّ على هذا ذكر (القُبَيْبَةِ)؛ فليس من المواضع التي يذكرها الصَّمتُ في شعره، وع ضعف في تركيب البيت"، وهذا مقياس لا شك ضعيف، فهناك أماكن كثيرة أخرى يذكرها الشاعر مرةً وحيدةً في شعره أيضاً غير القُبَيْبَةِ.

ولم أجِدْ للقُبَيْبَةِ ذِكْرًا في مصادر البلدان، وإنما وقفت على القُبَيْبَاتِ عند ياقوتٍ حيث قال: "والقُبَيْبَاتُ مَحَلَّةٌ ببغداد، وماءٌ في منازل بني تميم، وموضعٌ بالحجاز" (البلدان: القُبَيْبَاتِ)، وغير خفي ما يتيهما من احتمال ليس في النَّسْخِ، لا سيما إذا كُتِبَتْ هكذا (القُبَيْبَاتِ)، والشاعر يذكر مياهاً أخرى ليست في ديار تميم، وبعضها يقع في ديار تميم.

(٢) أَرَبْتُ: دَامَتْ (اللسان: رب)، الْأَرْوَاحُ: جَمْعُ رِيحٍ عَلَى أَصْلِهِ بِالْوَاوِ (اللسان: راح)، تَسْتَفْتِ: انْتَسَفَتِ الرِّيحُ الشَّيْءَ كَأَنَّهَا سَلَبَتْهُ مَعَالِمَهُ (اللسان: نسف)، المعارف: المعالِمُ (اللسان: عرف)، الصَّفِيحُ الْمَوْضَعُ: الحِجَارَةُ الرابضة المتكسرة المتناثرة هنا وهناك (اللسان: صفح).

(٣) يقصد الأناني؛ وهي الحِجَارَةُ الثَّلَاثُ التي توضع حول موقِدِ النَّارِ ليوضع القِدْرُ عليها وتوقَدَ النَّارُ، وعادة ما تكون سفلاً من سخام النَّارِ، فكأنها حمامٌ سودٌ تقابلن، أما وَقَعَا، فتحتمل المواقعة أي الموافقة والمائلة، وتحتمل وقوعها في ذلك المكان معاً، ومنه قولهم: (إن الطيور على أشكالها تقع).

- ٤ أَمِنْ أَجْلِ دَارِ الرِّقَاشِينَ أَعْصَفَتْ عَلَيْهَا رِيَّاحُ الصَّيْفِ بَدْءًا وَرُجْعًا^(١)
- ٥ بَكَتْ عَيْنُكَ الْيُسْرَى، فَلَمَّا زَجَرْتَهَا عَنْ الْجَهْلِ بَعْدَ الْحِلْمِ، أَسْبَلْنَا مَعَا^(٢)
- ٦ وَلَمْ أَرِ مِثْلَ الْعَامِرَةِ قَبْلَهَا وَلَمْ أَرِ مِثْلَ الْعَامِرَةِ قَبْلَهَا
- ٧ تَرِيكَ غَدَاةَ الْبَيْنِ مُقَلَّةً شَادِنِ وَحِيدَ غَزَالٍ فِي الْقَلَائِدِ أُلْعَا^(٤)
- ٨ وَمَا أُمُّ أَحْوَى الْجُدَّتَيْنِ خَلَا لَهَا أَرَاكَ مِنَ الْأَعْرَافِ أَجْنَى وَأَنْبَعَا^(٥)
- ٩ غَدَتِ مِنْ عَلَيْهِ تَنْفُضُ الطَّلَّ بَعْدَمَا رَأَتْ حَاجِبَ الشَّمْسِ اسْتَوَى وَتَرَفَا
- ١٠ بِأَحْسَنَ مِنْ أُمِّ الْمُحَيَّا فُجَاءَةً إِذَا حِيدُهَا مِنْ كَهْفَةِ السَّرِّ أُلْعَا^(٦)
- ١١ وَلَمَّا تَنَاهَبْنَا سِقَاطَ حَدِيثِهَا غِشَاشًا، وَلَانَ الطَّرْفُ مِنْهَا فَأَطْمَعَا^(٧)

(١) الرِّقَاشَان: عَمُودَانِ طَوِيلَانِ مِنَ الْمُهْضَبِ (البلدان: الرِّقَاشَان)، أَعْصَفَتْ: عَصَفَتْ فِي لُغَةِ بَنِي أَسَدٍ (اللسان: عصف)، بَدْءًا وَرُجْعًا: كَأَنَّهَا دَامَتْ عَلَى الْعَصْفِ بِهَا زَمَنٌ طَوِيلًا، وَهُوَ تَفْسِيرُ قَوْلِهِ (أَرَبْتُ) قَبْلَ.

(٢) اخْتَلَفَتِ الرِّوَايَاتُ كَثِيرًا فِي هَذَا الْبَيْتِ بَيْنَ (الْيُسْرَى)، وَ (الْيُمْنَى)، وَقَدْ تَقَدَّمَ الْحَدِيثُ عَنْ مِثْلِ هَذَا الْاِخْتِلَافِ فِي الْكَلَامِ عَلَى مَسْأَلَةِ كَوْنِ الشَّاعِرِ أَعْوَرَ أَمْ لَا، فَلْيَنْظُرْ. أَسْبَلْنَا: انْهَلْنَا بِالدَّمْعِ الْمُتَوَاصِلِ (اللسان: سبل).

(٣) الْعَامِرَةُ هِيَ بَنْتُ غَطِيْفٍ الَّتِي تَقَدَّمَ ذِكْرُهَا، وَهِيَ ذَاتُهَا رَيَّا.

(٤) الْبَيْنُ: الْفَرَاقُ، وَالشَّادِنُ: الصَّغِيرُ مِنَ الطَّبَاءِ (اللسان: شدن)، وَالْجِيدُ: الْعُنُقُ (اللسان: جيد)، وَالْأُلْعَا: الطَّوِيلُ الْعُنُقُ (اللسان: تلغ).

(٥) أَحْوَى الْجُدَّتَيْنِ: جِمَارُ الْوَحْشِ الَّذِي لَهُ خُطَّتَانِ سَوْدَاوَانِ فِي مَتْنِهِ (اللسان: جدد)، وَالْأَرَاكُ: شَجَرُ السَّوَاكِ (اللسان: أراك)، وَالْأَعْرَافُ: قَالَ الْجاسِرُ: "هذه الأعراف تُعْرَفُ بأعراف بُنْي، وتقع في هَضْبٍ يُعْرَفُ قَدِيمًا بِهَضْبِ بُنْي، ويُعْرَفُ الآنَ بِاسْمِ الْمُهْضَبِ غَيْرِ مُضَافٍ، وَقَدْ يُقَالُ فِيهِ هَضْبُ آلِ زَايِدٍ؛ لَوُقُوعِهِ بِطَرَفِ بِلَادِ آلِ زَايِدِ الدَّوَّاسِرِ مِنَ التَّاحِيَةِ الشَّمَالِيَّةِ الْغُرَبِيَّةِ" (العرب: ١٤٣)، وَفِي بِلَادِ الْعَرَبِ أَعْرَافٌ كَثِيرَةٌ، وَهِيَ خُمُوعُ عُرْفَةٍ، أَيْ مَا ارْتَفَعَ مِنَ الرَّمْلِ (البلدان: الأعراف، أعراف بُنْي).

(٦) أُمُّ الْمُحَيَّا: كِنْيَةُ عَنْ رَيَّا الْعَامِرَةِ، وَالْفُجَاءَةُ: الْفُجَاءَةُ، وَالسَّرُّ: الْخِيَاءُ، وَتُقَالُ لِلْهُودُجِ إِنْ كَانَ فِيهِ طَعِينَةٌ (اللسان: ستر)، وَالْكَفَّةُ: حَاشِيَةُ الْقَوْبِ مِنْ قِمَاطٍ إِمَّا مُنْحَدِرَةً عَلَى أَصُولِ النَّخْرِ، وَإِمَّا تُحِيطُ بِالْهُودُجِ بَحِثَ لَا تَطْهَرُ الطَّعِينَةُ فِيهِ عَلَى الْآخَرِينَ، وَمَا كَانَ مِنْهَا لِلْهُودُجِ يُسَمَّى الْوُضُوصُ؛ جَمْعُهُ وَصَاوِصُ.

(٧) سِقَاطُ الْحَدِيثِ: مَا كَانَ سَرِيعًا لَمْ يُمَكِّنِ الْفُرْصَةُ مِنْهُ لِيَكُونَ عَادِيًا (اللسان: سقط)، وَالْغِشَاشُ: الْعَجَلَةُ.

- ١٢ فَرَشْتَ يَقُولُ كَادَ يَشْفِي مِنَ الْجَوَى تِلْمٌ بِهِ أَكْبَادًا أَنْ تَصَدَّعَا^(١)
 ١٣ كَمَا رَشَفَ الصَّادِي وَقَانِعَ مُرْتَه رَشَاشٌ تَوَلَّى صَوْبَهَا حِينَ أَقْلَعَا^(٢)
 ١٤ شَكُوتُ إِلَيْهَا ضَبَّةُ الْحُبِّ بَيْنَنَا وَخَشْيَةُ شَعْبِ الْحَيِّ أَنْ يَوْرَعَا^(٣)
 ١٥ فَمَا كَلَّمَنِي غَيْرَ رَجْعٍ ، وَلَئِنَّمَا تَرَقَّرَتِ الْعَيْنَانِ مِنْهَا لِدَمْعَا^(٤)
 ١٦ كَأَنَّكَ يَدْعُ لَمْ تَرِ الْبَيْنَ قَبْلَهَا وَلَمْ تَكُ بِالْآلَافِ قَبْلُ مُفْجَعَا^(٥)
 ١٧ فَلَيْتَ حِمَالِ الْحَيِّ يَوْمَ تَرَحَّلُوا بِذِي سَلَمٍ أُمْسَتْ مَزَاحِيفَ طَلْعَا^(٦)

(١) رَشَتْ: بَلَّتْ وَتَضَعَتْ (اللسان: رشش)، الجوى: الحُرْقَةُ وَشِدَّةُ الْوَجْدِ بِسَبَبِ الْعِشْقِ (اللسان: جوى)، وقوله في الشطر الثاني يعني: أنها بقولها بقي أكبادنا أن تصدَّع .

(٢) يُنَاسِبُ قَوْلَهُ (رَشَتْ)؛ فَهُوَ يُصَوِّرُ وَقَعَ حَدِيثَهَا بِتَشْبِيهِ أَتْرَهُ بِمَا يَفْعَلُ الْمَاءُ لِلصَّادِي الَّذِي تَصُوبُهُ مُرْتَه تَرَشُّ عَلَيْهِ قَطْرَهَا، وَقَوْلُهُ (تَوَلَّى صَوْبَهَا)؛ أَي تَوَالَى وَعَادَ لِلْإِهْمَارِ تَابِيَةً، وَالصَّوْبُ: تَزُولُ الْمَطَرُ (اللسان: صوب) .

(٣) ضَبَّةُ الْحُبِّ: سَيْطَرَةُ الْهَوَى عَلَى الْقَلْبِ، فَكَأَنَّهُ يُسَبِّكُ يَهْ بِقَبْضَةِ يَدِهِ حَمِيْعَا (اللسان: ضَبَتْ)، وَشَعْبُ الْحَيِّ: الْقَبِيلَةُ الْمُجْتَمِعَةُ فِي حِمَى وَاحِدٍ (اللسان: شعب) .

(٤) رَجَعَ الْحَدِيثُ: مَا كَانَ مِنْهُ تَرْجِعًا؛ أَي مُخْتَلِطًا بِالْكَأَى، وَفِي حَالِ كَهْذِهِ يَتَكَلَّمُ الْمَرْءُ أحيانًا بِاسْتِخْدَامِ هَوَاءِ التَّهْنِيقِ لَا الرَّفْرِ - كَمَا هِيَ الْعَادَةُ فِي الْكَلَامِ الْعَادِيِّ ؛ لِأَنَّهُ يَسْتَحْدِمُ هَوَاءَ الرَّفْرِ لِلتَّخْفِيفِ مِمَّا يُكَايِدُهُ، وَهَذَا سُمِّيَتْ الرَّفَرَاتُ .

(٥) الْيَدْعُ: الشَّيْءُ الَّذِي يَكُونُ أَوَّلَ مَرَّةٍ (اللسان: بدع)، وَالْآلَافُ: جَمْعُ الْفَاءِ وَهُوَ الْعَاشِقُ وَالْمُعْشَوْقُ (اللسان: ألف)، وَالْمُفْجَعُ مُبَالِغَةٌ فِي الْفَجِيعَةِ؛ الَّذِي تَكَرَّرَتْ عَلَيْهِ الْفَجِيعَةُ بِفِرَاقِ أَحَبَّتِهِ (اللسان: فجع) .

(٦) الْمَزَاحِيفُ: جَمْعُ مِرْخَافٍ، وَرَخَفَ الْبَعِيرُ إِذَا أَغْيَاهُ وَكَلَّ وَوَقَفَ، وَجَعَلَ يَرْخَفُ زَخْفًا عَلَى ثِيَابَتِهِ، وَالطَّلْعُ: الْغُرُجُ الَّتِي تَهْلُلُ مِثْلَهَا لِيَطْلُبَ بَعْضُ قَوَائِمِهَا عَنْ الْأَخْرِيَاتِ (اللسان: طلع) .

أَمَّا دُو سَلَمٍ؛ فَقَالَ الْجَاسِرُ فِيهِ: "يُطْلَقُ هَذَا الْاسْمُ عَلَى مَوَاضِعَ عَدِيدَةٍ، وَلَعَلَّ الشَّاعِرَ ارَادَ مَوْضِعًا يَكْثُرُ فِيهِ السَّلَمُ، وَلَمْ يَقْصِدْ مَوْضِعًا بَعْضَهُ، إِذِ الْمَوَاضِعُ الْمَعْرُوفَةُ بَعِيدَةٌ عَنْ مَوْطِنِ الشَّاعِرِ" (العرب: ١٤٦) .

قَالَ يَاقُوتُ: "ذُو سَلَمٍ، وَوَادِي سَلَمٍ: بِالْجِجَارِ ... وَذُو سَلَمٍ: وَادٍ يَنْجَلِي يَنْحَلِيرُ عَلَى الدَّنَائِبِ، ...، وَسَلَمٌ الرِّيَّانُ بِالْإِمَامَةِ قَرِيبٌ مِنَ الْهَجْرَةِ، وَالسَّلَمُ فِي الْأَصْلِ شَجَرٌ وَرَقُهُ الْقَرْطُ الَّذِي يَذْنُبُ بِهِ، وَبِهِ سُمِّيَ هَذَا الْمَوْضِعُ" (البلدان: سلم)، وَبِهَذَا فَلَا مَسْوَغَ لِإِثْكَارِ الْجَاسِرِ؛ فَالشَّاعِرُ يَذْكُرُ أَنَّهُمْ تَرَحَّلُوا وَحَلُّوا ذَا سَلَمٍ، وَلَمْ يُرِدْ أَنَّ ذَا

سَلَمٍ مِنْ دِيَارِ قُشَيْرٍ !

- ١٨ فَيُصَيِّحُنْ لَا يُحْسِنُ مَشْيًا بِرَاكِبٍ وَلَا السَّيْرَ فِي بَجْدٍ وَإِنْ كَانَ مَهْيَعَا^(١)
 ١٩ أَكْبَجُ نَزْعٌ وَالْحَيَّانُ لَمْ يَمَرَّقَا فَكَيْفَ إِذَا دَاعِي التَّفَرُّقِ أَسْمَعَا^(٢)
 ٢٠ فَرَحْتُ وَلَوْ أَسْمَعْتُ مَا بِي مِنَ الْجَوَى رَذِيَّ قَطَارٍ حَنَّ شَوْقًا وَرَجَعَا^(٣)
 ٢١ أَلَا يَا غُرَابِي بَيْنَهَا لَا تَرْفَعَا وَطِيرَا جَمِيْعًا بِالْهَوَى وَقَعَا مَعَا^(٤)
 ٢٢ أَتُبْكِي عَلَى رِيَا وَنَفْسِكَ بَاعَدَتْ مَزَارِكَ مِنْ رِيَا وَشَعْبَاكُمَا مَعَا^(٥)
 ٢٣ فَمَا حَسَنَ أَنْ تَأْتِيَ الْأَمْرَ طَائِعَا وَتَجَزَّعَ أَنْ دَاعِي الصَّبَابَةِ أَسْمَعَا
 ٢٤ كَأَنَّكَ لَمْ تَشْهَدْ وَدَاعَ مُفَارِقٍ وَلَمْ تَرِ شَعْبِي صَاحِبِينَ تَقْطَعَا
 ٢٥ تَحْمَلُ أَهْلِي مِنْ قُنِي وَغَادَرُوا بِهِ أَهْلَ رِيَا حِينَ جِيدَ وَأَمْرَعَا^(٦)
 ٢٦ أَلَا يَا خَلِيلِي اللَّذِينَ تَوَاصِيَا بِلُومِي إِلَّا أَنْ أَطْصِيعَ وَأَضْرَعَا
 ٢٧ قِفَا ، إِنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ رَجْعِ نَظَرَةٍ مُصْعَدَةٍ شَيْءٍ بِهَا الْقَوْمُ، أَوْ مَعَا^(٧)

(١) الْمَهْيَعُ: الطَّرِيقُ الْوَاسِعُ الْمُنْبَسِطُ الَّذِي لَا يُرْهِقُ السَّفَرُ (اللسان: هيج) .

(٢) فِي دِيَوَانِهِ وَشِعْرَاءِ قُشَيْرٍ (وَالْحَيَّانُ)، وَدَاعِي التَّفَرُّقِ: الْمُنَادِي يُنَادِي بِالْقَوْمِ أَنْ يَتَرَحَّلُوا (اللسان: دعا) .

(٣) الرَّذِيَّ مِنَ الْإِبِلِ: الْمَهْزُولُ الضَّعِيفُ الْمَالِكُ (اللسان: رذى)، الْقِطَارُ: الْإِبِلُ يُقَطِّرُ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ عَلَى نَسَبٍ وَاحِدٍ (اللسان: قَطَر) .

(٤) غُرَابُ الْبَيْنِ: هُوَ الْأَحْمَرُ الْمُنْقَارُ وَالرَّجُلَيْنِ، وَيُتَشَاءُ مِنْهُ لِسَوَادِهِ وَنَعْيِهِ (اللسان: بين) .

(٥) الْمَزَارُ: تَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ اسْمَ مَكَانٍ وَمَصْدَرًا مِنَ الزَّيَارَةِ مِثْلًا، وَالثَّانِيَةُ أَوَّلَى، وَالشَّعْبُ: الْقَبِيلَةُ كَمَا تَقَدَّمَ، وَفِي هَذِهِ الْأَبْيَاتِ يَلُومُ الشَّاعِرُ نَفْسَهُ عَلَى التَّزَاحُجِ عَنْ دِيَارِهِ، وَيُصَيِّرُ نَفْسَهُ بِتَذَكِيرِهَا بِأَنْ مَا حَدَثَ مِنْ فِرَاقٍ كَانَ مِنْ فِعْلِهِ لَا مِنْ فِعْلِهَا .

(٦) تَحْمَلُ الْقَوْمَ مِنَ الْمَكَانِ: ارْتَحَلُوا عَنْهُ (اللسان: حمل)، وَقُنِي: قَالَ الْجَاسِرُ: "وَرَدَ هَذَا الْاسْمُ مُصْحَفًا فِي الْأَغَانِي وَغَيْرِهَا مِنْ كُتُبِ الْأَدَبِ إِلَى قُنَيْنٍ، وَقُنِي مِنْ بِلَادِ الشَّاعِرِ، وَلَا يُزَالُ مَعْرُوفًا" (العرب: ١٤٨-١٤٩) .

قَالَ يَاقُوتُ: "قُنِي مِنْ قُرَى السَّيْمَةِ بِنَاحِيَةِ الرَّيْبِ" (البلدان: قُنِي). وَقَوْلُهُ: جِيدَ وَأَمْرَعَا؛ فَيَعْنِي أَنَّ الْجُودَ سَقَاءُ، وَالْجُودُ هُوَ الْمَطَرُ الْغَزِيرُ (اللسان: جود)، وَأَمْرَعُ: أَخْضَبَ وَأَكْثَلَ (اللسان: مرع) .

(٧) صَعَدَ نَظَرُهُ أَوْ بَصَرُهُ: إِذَا أَطَالَ فِيهِ وَتَفَحَّصَ مَا يَنْظُرُ إِلَيْهِ جَدِيدًا (اللسان: صعد) .

٢٨ فَإِنِّي وَجَدْتُ اللَّوْمَ لَا يَذْهَبُ الْهَوَى
٢٩ لِمُغْصَبٍ قَدْ عَزَّهُ الْقَوْمُ أَمْرَهُ
٣٠ تَهَيَّجْ لَهُ الْأَحْزَانُ وَالذُّكْرُ كُلُّهَا
٣١ قِفَا وَدَعَا بَجْدًا وَمَنْ حَلَّ بِالْحِمَى
٣٢ بِنَفْسِي تِلْكَ الْأَرْضُ، مَا أَطْيَبَ الرُّبَا
٣٣ وَأَذْكَرُ أَيَّامِ الْحِمَى، ثُمَّ أَتَشْي
٣٤ فَلَيْسَتْ عَشِيَّاتُ الْحِمَى بِرَوَاجِعِ
٣٥ مَعِيَ كُلُّ غِرٍّ قَدْ عَصَى عَادِلَاتِهِ
٣٦ إِذَا رَاحَ يَمْشِي فِي الرِّدَائِنِ أُسْرَعَتْ
٣٧ وَسِرْبٍ بَدَتْ لِي فِيهِ بِيضٌ تَوَاهِدُ

(١) الْمُغْصَبُ: المقهور على الشيء، وفُسِّرَ بقوله: (عَزَّهُ الْقَوْمُ أَمْرَهُ)؛ أي أجبروه على أمرٍ لا يُريدُهُ (اللسان: عزز).

(٢) الْمُتَفَعُّ: المكائِدُ المُشْرِفُ الْعَالِي (اللسان: يقع)، أَوْفَى: أَشْرَفَ وَوَصَلَ وَصَعَدَ (اللسان: وفي).

(٣) الْمُصْطَافُ وَالْمُتَرَبِّعُ: الْمَكَانُ يُصْطَافُ فِيهِ وَيُتَرَبِّعُ؛ أَي يَحُلُّهُ النَّاسُ صِيفًا وَرَبِيعًا (اللسان: صاف، ربع)؛ وَقُلَّ أَنْ يَجِدَ الْإِنْسَانُ أَمَاكِينَ كَهَذِهِ، فَمَا يَصْلُحُ مَصِيفًا لَا يَحْسُنُ مُتَرَبِّعًا فِي أَكْثَرِ الْأَحْيَانِ.

(٤) الْأَثْنَاءُ عَلَى الْكَيْدِ: الطَّوَاءُ الطَّبْعُ قَلِيلًا مَعَ إِخْنَاءٍ فِي الظَّهْرِ، وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ إِلَّا لَطُولِ السَّهْرِ وَقِلَّةِ اشْتِيَاءِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، وَلَمَّا يُعْرِفُ مِنْ أَنَّ الْمَعْدَةَ أَشَدَّ أَعْضَاءِ الْإِنْسَانِ تَأَثُّرًا بِالْأَخْوَالِ النَّفْسِيَّةِ السَّيِّئَةِ الَّتِي تُصِيبُهَا، فَهِيَ تَكُونُ مَنَكِبَةً فِي الْغَالِبِ، وَيَتَكَوَّرُ حَدِيثُ الْعَاشِقِينَ عَنِ الْكَيْدِ الْخَرِيِّ وَالْمَتَصَدِّعَةِ.

(٥) الْغُرُّ مِنَ الرِّجَالِ: الْحَدِيثُ الْعَهْدُ بِالذُّبَا، وَالْمَعْرُورُ أَيْضًا (اللسان: غرر).

(٦) السَّرْبُ مِنَ الطَّيْرِ: الْقَطِيعُ مِنْهَا تَسِيرُ مَعًا (اللسان: سرب)، وَإِذَا أُطْلِقَتْ عَلَى النِّسَاءِ؛ فَهِيَ عَلَى تَشْبِيهِ الْمَرْأَةِ الْحَسَنَاءِ بِالطَّيْرِ فِي حَمَالِهَا وَرَشَاقَتِهَا وَخِفَةِ حَرَكَتِهَا وَرَوَعَةِ تِفَافَتِهَا، وَفَنَنَةِ عَيْنَيْهَا، وَطُولِ عُنُقِهَا، وَالبَيْضُ التَّوَاهِدُ: الْحُسْنَاءُ اللَّوَاتِي تَهْدَتُ أَنْدَادَهُنَّ؛ أَي تَكَوَّرَتْ وَارْتَفَعَتْ عَنْ صُدُورِهِنَّ (اللسان: نهدي)، وَالسَّوْمُ: عَرْضُ السَّلَاقَةِ، وَسَامَهُنَّ الرِّجْلُ؛ أَي عَرْضُهُ عَلَيْهِنَّ (اللسان: سوم).

٣٨ مَشَيْنَ اطِّرَادَ السَّيْلِ هَوًّا كَأَمَّا
٣٩ قَلْتُ: سَقَى اللَّهُ الْحِمَى دِيمَ الْحَيَا
٤٠ وَقُلْتُ: عَلَيْكَ السَّلَامُ، فَلَا أَرَى
٤١ فَقُلْنِ: أَرَاكَ اللَّهُ إِنْ كُنْتَ كَادِبًا
٤٢ وَلَمَّا رَأَيْتُ الثَّيْرَ أَعْرَضَ دُونَنَا
٤٣ كَلَفْتُ نَحْوَ الْحَيِّ حَتَّى وَجَدْتَنِي
٤٤ فَإِنْ كُنْتُمْ تَرْجُونَ أَنْ يَذْهَبَ الْهَوَى
٤٥ فَرُدُّوا هَبُوبَ الرِّيحِ، أَوْ غَيْرُوا الْجَوَى
٤٦ أَمَا وَجَلَّالِ اللَّهِ لَوْ كَذَّبْتَنِي

تَرَاهُنَّ بِالْأَقْدَامِ، إِذْ مِسْنٌ، ظَلَعًا^(١)

فَقُلْنِ: سَقَاكَ اللَّهُ بِالسَّمِّ مُنْتَقَعًا^(٢)

لِنَفْسِي مِنْ دُونَ الْحِمَى الْيَوْمَ مُنْتَقَعًا^(٣)

بَنَاتِكَ مِنْ يُمْنِي ذِرَاعَيْكَ أَقْطَعًا^(٤)

وَجَالَتْ بَنَاتُ الشُّوقِ يَحْنُ تَرْعَا^(٥)

وَجَعْتُ مِنَ الْإِصْغَاءِ: لَيْثًا وَأَخْدَعًا^(٦)

يَقِينًا، وَتَرَوَى بِالشَّسَابِ قَنْتَقَا^(٧)

إِذَا حَلَّ الْوَادُ الْحَشَا قَمَنَّا^(٨)

كَذَكْرِيكِ مَا كَفَفْتَ لِلْعَيْنِ مَدْمَعًا^(٩)

(١) مَشَيْنَ اطِّرَادَ السَّيْلِ تَحْتَمِلُ مَعْنَيْنِ: الْأَوَّلُ مَشَيْنٌ بِمُحَاذَاةِ السَّيْلِ، وَالْآخَرُ مَشَيْنٌ مُتَدَافِعَاتٍ مُتَمَوِّجَاتٍ مِنْ تَمَائِلِهِنَّ مِثْلَ السَّيْلِ، وَمِسْنٌ: تَمَائِلٌ مُتَبَخِّرَاتٍ (اللسان: ماس)، وَالظَّلْعُ: الْعَرَجُ فِي الْمِشْيَةِ (تقدم).

(٢) دِيمَ الْحَيَا: سَحَائِبُ الْخَبَرِ الْمُحْمَلَةِ بِالْمَطَرِ الدَّائِمِ فِي سُكُونٍ؛ جَمْعُ دَيْمَةٍ (اللسان: ديم)، وَالسَّمُّ الْمُنْتَقَعُ: الْقَاتِلُ الْفَاتِكُ، وَهُوَ السَّمُّ الْمُجْتَمِعُ فِي أَثْيَابِ الْحَيَّةِ (اللسان: نفع).

(٣) الْمُنْتَقَعُ: الْقَنَاعَةُ؛ أَوْ مَا يَقْنَعُ الْإِنْسَانُ بِهِ (اللسان: نفع).

(٤) أَطْعَمَ اللَّهُ بَنَاتَكَ مِنْ يَدِكَ الْيُمْنِي، وَهُوَ دُعَاءٌ بِحَدِّ يَدٍ بِاعْتِبَارِ الْبَنَاتِ جُزْءًا مِنْ كُلِّ.

(٥) الثَّيْرُ: تَقَدَّمَ الْحَدِيثُ عَنْهُ فِي مَطْلَعِ تَائِيَّتِهِ، بَنَاتُ الشُّوقِ: لَوَاعِجُ الْهَوَى وَالْإِشْتِيَاقِ، وَتَرْعَا: جَمْعُ نَارَعَةٍ، مَائِلَةٌ وَكَأَنَّهَا تَوَدُّ الْوُثُوبَ مِنَ الصَّدْرِ وَالْإِحْتِشَاءِ نَارَعَةً إِلَى مَنْ تَهْوَى (اللسان: نزع).

(٦) اللَّيْثُ: صَفْحَةُ الْعُنُقِ مِنْ أَمَامِ (اللسان: ليت)، وَالْأَخْدَعَانِ: عِرْقَانِ فِي جَانِبِي الْعُنُقِ (اللسان: خدع)، وَمَعْرُوفٌ أَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا أَطَالَ التَّلَفُّتَ يَلِيَّ عُنُقِهِ وَرَفَعَ رَأْسَهُ مُتَطَاوِلًا لِيُصِيرَ يَتَوَجَّعُ هَذَانِ.

(٧) نَفَعَ غَلِيلُهُ: شَرِبَ حَتَّى ارْتَوَى وَشَفَى غَلَّتَهُ (اللسان: نفع).

(٨) الْأَلْوَادُ جَمْعُ لَوْدٍ: وَهُوَ الْمَكَانُ الْمُتَحَنَّنُ الَّذِي يَلُودُ بِهِ الْمَلَاخِقُ، وَالْوَادُ الْحَشَا: يُرِيدُ بِهَا أَنَّ الْهَوَى وَالْجَوَى قَدْ تَسَرَّبَا إِلَى أَحْشَاءِهِ كُلِّهَا، وَامْتَرَجَا بِخِلَافِهِ فَلَيْسَ إِلَى تَرْعِيهِمَا سَبِيلٌ مِنْهُ.

- ٤٧ فَقَالَتْ: بَلَى، وَاللَّهِ ذِكْرًا لَوْ أَنَّهُ يُصَبُّ عَلَى صَمِّ الصِّفَا لَصَدَّعَا^(١)
- ٤٨ فَمَا وَجَدُ غُلُوبِي الْهُوَى حَنًّا وَاجْجَوَى بِوَادِي الشَّرَى وَالْعُورِ مَاءً وَمَرْتَعَا^(٢)
- ٤٩ رَأَى وَهُوَ فِي رَأْسِ الشَّرَى مُنَمَّعَا مَصَادِرَ تَجْدٍ وَالْفَضَاءَ فَرَجَعَا^(٣)
- ٥٠ تَشْوَقُ لَمَّا عَصَهُ الْقَيْدُ وَاجْجَوَى مَرَاتِعَهُ مِنْ بَيْنِ قُفٍّ وَأَجْرَعَا^(٤)
- ٥١ وَرَامَ بَعَيْنِيهِ جِبَالًا مُنِيفَةً وَمَا لَا يَرَى فِيهِ أَخُو الْقَيْدِ مَطْمَعَا
- ٥٢ إِذَا رَامَ مِنْهَا مَطْلَعًا رَدَّ شَأْوَهُ أَمِينَ الْقَوَى عَضَّ الْيَدَيْنِ فَأَوْجَعَا^(٥)
- ٥٣ يَا كَبِيرَ مِنْ وَجْدٍ يَرِيَا وَحِدْتُهُ غَدَاةَ دَعَا دَاعِي الْفِرَاقِ فَأَسْمَعَا

(١) الصفا: الحجارَةُ العريضة الملساء (اللسان: صفا)، والصم: الصلْبُ من الحجارَةِ (اللسان: صم).

(٢) غُلُوبِي الْهُوَى: الذي علا الهوى كله، واجتوى: لم توافقه الأرض وفكره الإقامة فيها، وإن توفّر له فيها ما يطمع فيه غيره (اللسان: جوى).

أما واد الشرى؛ فقال الجاسر: "هذا كما يفهم من القصيدة في العور وليس في نجد، والشاعر ذكره عَرْضًا" (العرب: ١٥٠)، ولا تدري لماذا قال مثل هذا القول، فالشرى كما روى ياقوت عن نصر: "جبلٌ يتجدد في ديار طيّ، وجبلٌ يتهمه موصوفٌ بكثرة السباع" (البلدان: الشرى).

(٣) هذا البيت ورد في (صفة جزيرة العرب: ٣٣٥) منسوبًا للقشيري وحده، وهي صفة تحمّل كثيرًا من الشعراء، لكنها حين تُطْلَقُ هكذا فينبغي أن تكون لأشهر شعراء قنبر وأشيعهم ذكرًا، ونظن الصفة كذلك، كما أن البيت في هذا المكان من القصيدة يُزِيلُ ما كان شبيهًا بالفصل بين البيت قبله والبيت بعده، ولذلك اقتُشِدَ، ولم يُثَبِّتْ أحدٌ يمين روى القصيدة أو درسها.

(٤) عَصَهُ الْقَيْدُ: ألمه وضيق عليه؛ فهو يريد الانقياد إلى حيث مصادر تجد وفضاؤه، والقيدُ يحول دون ذلك، القف: ما ارتفع من الأرض وغلظ (البلدان: قف)، والأجرع: تقدّم، وهو الكتيبُ جانب منه رمل وجانب حجارة (اللسان: جرع).

(٥) رَدَّ شَأْوَهُ: ثأه عن مراميه، أمين القوى: قوى الحبل جدلاته، وكلما زاد عددها كان الحبل أقوى وأمن، وأمين القوى من الجبال ما لا يخشى انقطاعه أو انجلائه (اللسان: قوى).

- ٥٤ وَلَا بَكْرَةً يَكُرُّ رَأَتْ مِنْ حُورِهَا مَجْرًا حَدِيثًا مُسَيِّنًا وَمَصْرَعَا
- ٥٥ إِذَا رَجَّعَتْ فِي آخِرِ اللَّيْلِ حَنَّةً لِذِكْرِ حَدِيثِ أَبَكْتِ الْبُزْلِ أَجْمَعَا^(١)
- ٥٦ لَقَدْ خِفْتُ أَنْ لَا تَنْتَعِ النَّفْسُ بَعْدَهَا بِشَيْءٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِنْ كَانَ مَقْنَعَا
- ٥٧ وَأَعْدَلُ فِيهَا النَّفْسُ إِذْ حِيلَ دُوبَهَا وَتَأْبَى إِلَيْهَا النَّفْسُ إِلَّا تَطْلَعَا
- ٥٨ سَلَامٌ عَلَى الدُّنْيَا فَمَا هِيَ رَاحَةٌ إِذَا لَمْ يَكُنْ شَمْلِي وَشَمْلُكُمْ مَعَا
- ٥٩ وَلَا مَرَحَبًا بِالرَّيْعِ لَسَمِّ حُلُولِهِ وَلَوْ كَانَ مُحْضَلَّ الْجَوَانِبِ مُرْعَا^(٢)
- ٦٠ فَمَاءٌ بِلَا مَرْعَى، وَمَرْعَى بغير ما وَحَيْثُ أَرَى مَاءً وَمَرْعَى فَمُسْبَعَا^(٣)
- ٦١ لَعُمْرِي لَقَدْ نَادَى مُنَادِي فِرَاقِنَا بِشَيْئَيْنَا فِي كُلِّ وَادٍ فَأَسْمَعَا
- ٦٢ بِكُلِّ بِلَادٍ أُمُّ بَكْلٍ مَطْنَةٍ أَخُو أَمَلٍ مَتْنًا يُحَاوِلُ مَطْمَعَا
- ٦٣ كَأَنَّا خُلِقْنَا لِلنَّوَى، وَكَأَنَّمَا حَرَامٌ عَلَى الْيَامِ أَنْ تَجَمَّعَا

(١) البكرة من الإبل: الفتية التي ولدت بطنًا واحدًا (اللسان: بكر)، والحوار: وَلَدُ الناقة (اللسان: حور)، وهذه الصورة تكررت مرّات في شعر الصنم، والتأخر في تائيته يجد صورةً مماثلة تقريبًا.

(٢) البزل: الإبل التي يزل نأبها؛ أي طلع، ويكون ذلك في مطلع السنة التاسعة (اللسان: بزل).

(٣) الرّيع: المنزل ودار الإقامة (اللسان: ريع)، المَحْضَلُّ: المُتَبَلُّ بفعل التدى والقطر، وهذا يكون أذعى لثبوت أوراق نباته، والنبات المَحْضَلُّ: التاعم (اللسان: حضل)، الممرع: المَعْنَب (اللسان: مرع).

(٤) المَسْبَعُ: المكان الذي تكثر فيه السباع؛ أي الحيوانات المفترسة؛ لا الأسود وحدها (اللسان: سبع).

تَخْرِيجُ الأبيات :

روى القالي في أماليه ١٩٣/١-١٩٤ ما نصُّه : "وأنشدنا أبو بكر، قال: أنشدنا أبو حاتم عن الأصمعي للصِّمَّة بن عبد الله القشيري"، ثم روى أبياتاً ثمانية منها، وبعدها قال: "قال: وأنشدني الرِّياشي"، ثم روى ثلاثة أبياتٍ أخرى، وروى آخر بيتين منها في الأمالي ١٩٣/٢. والقصيدَةُ أشهرُ شعرِ الصِّمَّة، وأكثرُهُ دَوْراناً قديماً وحديثاً هي وأبياتها في (عرار نجد). وروى منها البزدي في أماليه/ ١٤٨-١٤٩ سبعة عشر بيتاً، وأسند روايتها إلى عمه أبي عبيد الله بن محمد عن ابن الكسكري. (المراثي/ ٣٠٦-٣١٠). وأورد البيت الأول منها محمد الدين أسامة في المنازل والديار ١/ ٣١٦، ثم أورد أبياتاً ثلاثة، ورأى الشيخ حمد الجاسر أنَّ هذا البيت ليس من القصيدة، لأنَّ فيه ذكراً للقبيلة، وهي ليست من الأمكنة الواردة في شعر الصِّمَّة، كما استدلل على ذلك بضعف التركيب (العرب/ ١٦٧-حاشية)، المرزوقي ١٢٢٠-١٢٢٥، التبريزي ٨٥/٢-٨٨، الحماسة المغربية ٩٣٦/٢-٩٣٧، عُيون الأخبار ١٤١/٤ نسبها ابن قتيبة لابن الطُّرَيْة، الأغاني ٢٩٣/٥-٢٩٦، تجريد الأغاني ق ١ ج ٢/٧١٦-٧١٧، ويؤكد ابن واصل أنَّ الأبيات للصِّمَّة وأنَّ ابن الأعرابي كان يستحسن منها أبياتاً (٤٦-٤٧). وفیات الأعيان ٦/ ٣٧٠-٣٧٢، واختار ابن خلكان نسبتها للصِّمَّة على نسبتها لابن الطُّرَيْة أو المجنون أو قيس بن ذريح بقوله: "والأكثرُ أنَّها للصِّمَّة". التذكرة السَّعدية/ ٤٣٦-٤٣٧ (أربعة أبيات)، التذكرة الحمدونية ٧٣/٦، ١١٠، ١٥٢، ١٥٣، وأورد الأنطاكي منها (أحد عشر بيتاً)، وأكد نسبتها للصِّمَّة وأنَّ قيساً استعار بيتين منها هُما: (فَمَا حَسَنَ ...) وَ(بَكَتْ عَيْنِي الْيَمْنَى ...)، وذكر أنَّ صاحب قوتِ القلوب أكَّد النسبة للصِّمَّة أيضاً (تزيين الأسواق ١/ ٢٢٩-٢٣٠)، وقد روى في التذكرة الحمدونية البيتين ٥٥-٥٦ لقيس بن ذريح، ويؤكد صاحب بهجة المجالس أنَّها للصِّمَّة، وأنَّ بعضهم وهم فنسبها للمجنون، أو لقيس بن ذريح (بهجة المجالس ق ١ م ٨٢٧/٢). الحماسة البصرية ١٣٨/٢-١٣٩، وبعضها في اللسان (وجع) له أيضاً،

وفي معجم البلدان (البشر) منها ستة أبيات له. وقد ذكر الأستاذ الميمِّي أنَّ في دار الكتب المصرية مخطوطاً يضمُّ تسعة وعشرين بيتاً من القصيدة، ويؤكد أنَّ نسبتها لابن الطُّرَيْة خطأ، وكذلك نسبتها للمجنون، فمُحمَّل ما يُروى لابن الطُّرَيْة منها مروياً أيضاً للصِّمَّة (الطرائف الأدبية/ ٧٧-٨٠)، وروى منها عبد السلام هارون في مجموعة المعاني ٧٤٩/٢-٧٥٠ بيتين، مُشيراً إلى أنَّها تُنسب إلى الأقرع بن مُعاذ، مؤكداً نسبتها للصِّمَّة. العرب/ ١٦٧-١٧٢، ديوانه/ ٩٦، شاعر وقصيدة-طلاس/ ٢٨٩، مائة قصيدة مختارة-حماد/ ٥٢٩، والأبيات في ديوانه المطبوع ثمانية وخمسون بيتاً (ديوانه: ٨٦)

ومن الجدير بالذكر أنَّ نسبة القصيدة ليزيد بن الطُّرَيْة غيرُ صحيحة على الإطلاق؛ ذلك بأنَّ أبا الفرج الأصفهاني قد صنَّع ديواناً ليزيد؛ وحين أشار أبو الفرج إلى الأبيات لم يذكر قطُّ نسبتها لابن الطُّرَيْة، وقد ذكر ابن خلكان شيئاً عن صنعة الطوسي ديواناً لابن الطُّرَيْة أيضاً، ولا ريب في أنَّ الأصفهاني اطلع عليه، ولم يذكر شيئاً عن تلك النسبة أيضاً. وقد اقتنع جامعُ شعر يزيد بأنَّ القصيدة ليست له، وكذلك الأستاذ الميمِّي، أمَّا الموجدُ منها في ديوان المجنون فلا يتجاوزُ أبياتاً تسعة، وقد ذكر شارح ديوانه أنَّ أكثرها للصِّمَّة بن عبد الله القشيري.

{ الطويل }

١ أَجَدَّ خَلِيلَايَ الرِّوَّاحَ فَزَمَعَا _____ (١)

تَخْرِيجُ الْبَيْت :

تعليقات المهجري - الجاسر ق ٦٨٢/٢، تعليقات المهجري - الحمادي (مقطوعة

(٥٠٨)

(١) وقال بعده في التعليقات: "فالتزميع: الإجماع على المضي". وقال: "بلح يفتح اللام". وبعد الشطر حذف يبدو أنه مكان خرم. ويدو لنا أن هذا الشطر إنما هو من القصيدة المتقدمة؛ وإذا لم يكن مطلعها الأصيل، فقد يكون صدر بيت آخر مصرع في القصيدة يأتي في نهايتها، وهذا موجود معروف لدى الشعراء إذا طالت قصائدهم. أو عجز بيت من القصيدة ضاع صدره. ويمكن أن يكون من قصيدة أخرى للصمة لها وزن هذه القصيدة وفأيتها، ضاعت، أو اختلطت أبيات القصيدتين معاً! ليس في ديوانه.

{ البسيط }

١ يَا لَيْتَ شِعْرِي عَنِ الْحَيِّ الَّذِينَ غَدَوْا هَلْ بَعْدَ فُرْقَتِهِمُ لِلشَّمْلِ مُجْمَعٌ (١)
٢ وَكُلُّ مَا كُنْتُ أَخْشَى قَدْ فُجِعْتُ بِهِ فَلَيْسَ لِي بَعْدَهُمْ مِنْ حَادِثٍ جَزَعٌ (٢)

تَخْرِيجُ الْأَبْيَات :

أوردتها القالي في أماليه ١٩٤/١ تابعة لرواية أبي بكر عن أبي حاتم عن نفطويه، وليست في ديوانه ولا في العرب .

(١) مُجْمَعُ الشَّمْلِ: اجتماعه والتماسه من جديد (اللسان: جمع).

(٢) الْجَزَعُ: شدة الفرق والحزن لمصاب يحل بالإنسان، والمصيبة في الأحبة بعد رحلتهم وفراقهم لا يعوضها أو يخفف منها شيء.

(٣٢)

{ الطويل }

- ١ وَبَيَّتْ لَيْلَى أَرْسَلَتْ شِفَاعَةً إِلَيَّ ، فَهَلَّا تَفْسُ لَيْلَى شَفِيعُهَا
٢ أَكْرَمُ مِنْ لَيْلَى عَلَيَّ قَبَّعِي بِهِ الْجَاهُ ، أَمْ كُنْتُ أَمْرًا لَا أُطِيعُهَا

تَخْرِيجُ الْآيَاتِ :

في الحماسة غير منسوين، نسبهما ابن جني في إعراب الحماسة للصِّمَّة، المرزوقي ١٢٢٠/٣، التبريزي ١١٥/٣، خزانة البغدادي ٦٠/٣-٦٢ للصِّمَّة، شرح شواهد المغني للسيوطي/ ٧٩، الضرائر/ ٢٣٢، جامع الشواهد/ ٢٩٢، شرح أبيات مغني اللبيب ١١٩/٢، نسبهما الميمني في الطرائف/ ١٨٥ لإبراهيم بن العباس الصولي، الزهرة/ ١٢٨، شرح المضمون به على غير أهله/ ٢٣٠، العرب/ ١٧٢، ديوانه/ ١١٣. وقد نسبهما في شرح المغني ٢٢١/١ لقيس بن الملوّح، وللصِّمَّة، وابن الدمينية، وهي في ديوان المجنون/ ١٩٥، ديوان ابن الدمينية/ ٢٠٦، حاشية الصّبّان ٥٢/٤، مغني اللبيب ٧٤/١، ٥٨٧/٢ يدون عزو

قافية القاف

(٣٣)

{ الطويل }

- ١ لَعْمَرِي ، لَنْ كُنْتُ عَلَى الثَّأْيِ وَالْقَلَى بِكُمْ مِثْلُ مَا بِي ، إِنْكُمْ لَصَدِيقُ^(١)
٢ إِذَا زَفَرَاتُ الْحُبِّ صَعَّدَنَ فِي الْحَشَا رُدْدَنَ ، وَلَمْ يُنْهَجْ لَهُنَّ طَرِيقُ^(٢)

تَخْرِيجُ الْآيَاتِ :

الأغاني ٥/ ٢٩٢، تجريد الأغاني ق ١ ج ٢/ ٧١٥، مهذب الأغاني ١٨٦/٤، معاهد التنصيص ٣/ ٢٥٦، التذكرة الحمدونية ٦/ ٥٣، بهجة المجالس ١/ ٨١٧، الوافي بالوفيات ١٦/ ١٩٣، نزهة الأبصار ١/ ٣٠١، مجموعة المعاني ٢/ ١٠٠١، العرب/ ١٧٢، شعراء قشّير ٢/ ٢٦٢، ديوانه/ ١١٧

(١) الثَّأْيُ: الْبُعْدُ (اللسان: نأى)، وَالْقَلَى: الْهَجْرُ وَالْبُغْضُ (اللسان: قلا).

(٢) زَفَرَاتُ الْحُبِّ: آهَاتُ الْمُحِبِّ إِذَا تَأَلَّمَ لِمَا فِي حَشَاةٍ مِنْ حَرَارَةِ الْوَجْدِ، وَتَكُونُ عَادَةً مِنْ هَوَاءِ الرَّقِيعِ كَمَا تَقْدَمُ قَبْلُ، أَوْ مِمَّا يُكْبِتُ مِنْ هَوَاءِ الشَّهيقِ فِي صَدْرِ الْمُحِبِّ حِينَ يَجِدُ وَجْدًا عَظِيمًا بِسَبَبِ الْفَرَاقِ (اللسان: زفر)، وَقَوْلُهُ: (صَعَّدَنَ): تَحَرَّكَ صَوْبَ مَخْرَجِهِنَّ مِنَ الصَّدْرِ. ثُمَّ يُرَدَّدَنَ، إِذْ لَا طَرِيقَ لَهُنَّ وَلَا مَخْرَجَ؛ وَذَلِكَ لِشِدَّةِ الْوَجْدِ.

{ الطويل }

- ١ أَأَنْ سَجَعَتْ فِي بَطْنٍ وَادٍ حَمَامَةً تُجَاوِبُ أُخْرَى مَاءُ عَيْنَيْكَ دَافِقٌ^(١)
- ٢ كَأَنَّكَ لَمْ تَسْمَعْ بُكَاءَ حَمَامَةٍ يَلِيلٍ، وَلَمْ يَحْزَنْكَ إِلَّا مُفَارِقٌ^(٢)
- ٣ وَلَمْ تَرِ مَفْجُوعاً شَيْئاً يُجِبُهُ سِوَاكَ، وَلَمْ يَعْشُقْ كَعِشْقِكَ عَاشِقٌ
- ٤ بَلَى، فَافِقٌ مِنْ ذِكْرِ لَيْلَى، فَإِنَّمَا أَخُو الصَّبْرِ مَنْ كَفَّ الْهُوَى وَهُوَ تَائِقٌ^(٣)

تَخْرِيجُ الْأَبْيَاتِ :

الأبيات في الحماسة الشجرية ٥٩٧/٢ للصمة، ونُسبت للعوام بن عُقبة في مصارع العشاق ٢٩٥/١، وسمط اللآلي ٣٧٣/١، وللمجنون وهي في ديوانه ٤٣، وفي الحماسة البصرية لمرّة بن عبد الله الهندي، وتروى للعوام بن عُقبة ٢٣١/٢-٢٣٢، وهي في أمالي القاضي ١٣١/١ للعوام بن عُقبة، شعراء قشير ٢٦١/٢، ديوانه ١١٥

- (١) في البصرية (إِنْ سَجَعَتْ يَوْمًا بِوَادٍ حَمَامَةً دَعَتْ سَاقَ حَرِّ مَاءِ عَيْنَيْكَ دَافِقًا)، والسجع مرادف الحماسة صوت هديلها على طريق واحد (اللسان: سجع).
- (٢) حَزَنُهُ وَأَحْزَنُهُ بِمَعْنَى وَاحِدٍ (اللسان: حزن).
- (٣) تَأَقَّتْ النَّفْسُ إِلَى الشَّيْءِ: تَزَعَّتْ إِلَيْهِ وَاشْتَاقَتْ، وَالتَّائِقُ: شَدِيدُ الشَّوْقِ (اللسان: توق).

قافية اللام

(٣٥)

{ الطويل }

- ١ نَظَرْتُ، وَطَرَفُ الْعَيْنِ يَبِيعُ الْهُوَى بِشَرْقِيٍّ بُصْرَى نَظَرَةَ الْمُطَاوِلِ^(١)
- ٢ لِأَبْصَرَ نَارًا أَوْقَدَتْ بَعْدَ هَجْعَةٍ لِرِيَا يَذَاتِ الرِّمْتِ مِنْ بَطْنِ حَايِلِ^(٢)

تَخْرِيجُ الْبَيْتَيْنِ:

معجم البلدان (بُصْرَى)، العرب/١٧٣، ديوانه/١١٨

(١) بُصْرَى: تقدّم ذكرها، وهي قصبة كورة حوران بالشام. والمتطاول: الذي يُحاول أن يطيل نفسه بأن يقف على أطراف أصابع قدميه ليتسكّن من الإبحار أكثر وأوضح (اللسان: طول). وإبصار نار في جزيرة العرب يسرّ بُصْرَى الشام أمر وردّ ذكره في حديث الرسول عليه الصلاة والسلام، وذلك حين تحدّث عن بعض علامات آخر الزمان، وفيها أن ناراً تشتعل بالجزيرة (نضيء لها أعناق الإبل ببُصْرَى)، وليس هذا كناية عن شدة تلك النار وعظم لتهيبها حسب؛ إنما لأن طبيعة تضاريس الجزيرة العربية تبيح مثل هذا، لا سيما إذا أوقدت النار ليلاً، ونظير إليها من مكان مرتفع، وإن كان بعيداً. وكان من عادة العرب أن يفعلوا مثل ذلك؛ بأن يوقدوا ناراً على رأس جبل أو مرتفع قريب من ديارهم ليَهْتَدِيَ بها الرُكبان.

(٢) الرِّمْتُ: شجر يشبه الغضا (اللسان: رمت)، وذات الرِّمْتِ: أرض كثيرة شجر الرِّمْتِ. أما بطن حايِل، فقد قال الجاسر: "من أشهر مباحهم حايِل، وحايِل هذه في طرف المروّات الجنوبيّ، غرب نفود بترّاك، وليست حايِل المدينة الواقعة في شمال نجد المعروفة الآن" (العرب: ١٣٠).

قال ياقوت: "من أرض اليمامة لبني قُشَيْر" (البلدان: حائل). وجاء في (صفة الجزيرة: ١٤٨): "وعن يسير سواد باهلة بطن حايِل، وهو بلد مثل يد المصافح، يرى فيه الزاكب من مسافة نصف نهار؛ في وسط رُمَيْلة يُقال لها رُمَيْلة الأطهار، وفي أعلاه سُوْقَتَان، ويحفّه زمّل جراد، وحده بين المروّات وبين جراد، وهو أسفل رمل الشعافين، وفيه نخّل ونخلة - ماذان لبني تميم". وفي هذا دليل على تدخّل ديار قُشَيْر وديار تميم.

قال في خروجه إلى النّعر:

- ١ فَلِلَّهِ دَرِي، أَي نَظَرَةٌ ذِي هَوًى
نَظَرْتُ ضَحَى، وَالشَّمْسُ يَسْنُ أَلْهَا^(١)
- ٢ إِلَى رَأْسِ طَوْدٍ مِنْ جُفَافٍ كَأَنَّهُ
قَرَا فَرَسٌ: تَنَصَّبَهَا وَأَحْزَلَهَا^(٢)
- ٣ وَكَبَّرْتُ لَمَّا أَنْ بَدَتْ لِي بِلْدَةٌ
بِهَا سَكَنَتْ طَيًّا وَطَالَ أَحْزَالُهَا^(٣)
- ٤ وَكُفِّتُ دَمْعِي سَاعَةً وَرَجَرْتُهُ
بِأَجْفَانٍ عَيْنِي، ثُمَّ خَلَاهُ جَالُهَا^(٤)
- ٥ كَمَا هَمَلْتُ بِالْمَاءِ أَغْرَاضَ شَتَّةٍ
هَزِيمِ الْكُلَى، لَمَّا تَدَانَى ابْتِلَالُهَا^(٥)
- ٦ فَقَدْتُكَ عَيْنًا، رَبِّمَا هَبَجْتَ عَبْرَةً
سَرِيْعًا عَلَى جَيْبِ الْقَمِيصِ أَتْهَالُهَا
- ٧ أَلَا إِنَّمَا طَيًّا - فَصْبْرًا - بَلِيَّةٌ
ضَجَعْتُ بِأَرْضٍ فَاعْزَانِي خَيَالُهَا^(٦)

[الطويل]

- ٨ قَفَمْتُ إِلَى عَصِيرَانَةٍ عَيْدِهِيَّةٍ
مَلِيحٍ بِأَجْوَازِ الْفَلَاةِ اهْتِبَالُهَا^(١)
- ٩ فَلَمَّا رَأَيْتُ الْجِدَّ مِنْهَا، وَأَتَاهَا
تَجَاهَلُ لَمَّا حُلَّ عَنْهَا عِقَالُهَا
- ١٠ تَنَيْتُ يَمِينِي فِي الزِّمَامِ فَمَا تَنَى
لَهَا الشَّأْوُ، حَتَّى عَاوَتْهَا شِمَالُهَا^(٢)
- ١١ وَحَتَّى تَنَى عِرْنَيْنَهَا حَلَقُ الْبَرَى
وَنَاطَحَ أَغْلَى حِنُوٍ رَحْلِي قَذَالُهَا^(٣)
- ١٢ عَلَى مِثْلِهَا فَاسْتَحْمِلِ اللَّهُ يَا فَتَى
وَعَاوِلُ بِهَا الْحَاجَاتِ يَنْفَعُ غَوَالُهَا^(٤)
- ١٣ كَأَنَّ اسْتِلَالَ الذُّبَابِ أَوَّلَ لَيْلَةٍ
يُبَادِرُ أَسْمَالَ الْحِيَاضِ اسْتِلَالُهَا^(٥)

تَخْرِيجُ الْأَيَّاتِ :

تعليقات الهجري- الحمادي (مقطوعة ١٤٦)، تعليقات المحجري- الجاسر

ق ٦٨٢/٢، العرب/ ١٧٣-١٧٤، شعراء قشير ٢/ ٣١٥-٣١٦، ديوانه/ ١٢١

(١) العَيْرَانَةُ: الثَّاقَةُ التَّاجِيَّةُ فِي نَشَاطِ (اللسان: عير)، والعَيْدَةُ: السَّيُّ الْخُلُقُ مِنَ التَّاسِ وَالْإِبِلِ، والعَيْدِهِيَّةُ: الْجَفَاءُ وَالْغِلْظَةُ (اللسان: عدو). أَمَّا أَجْوَازُ الْفَلَاةِ: فَأَوْسَاطُ الْمَفَاوِزِ الْمُفْقِرَةِ (اللسان: حوز). وَالْإِهْتِبَالُ: ضَرْبٌ مِنْ سَيْرِ الْإِبِلِ (اللسان: حبل).

(٢) الزِّمَامُ: الْمَقْوَدُ (اللسان: زَمَم)، وَالشَّأْوُ: الْغَايَةُ وَالْأَمَدُ (اللسان: شَأْو)، وَيَعْنِي أَنَّهَا شَدِيدَةُ سَيِّئَةِ الْخُلُقِ لَا تُطَاوَعُ رَاكِبُهَا يَبْسُرُ، فَمَا اسْتَطَاعَ أَنْ يَرُدَّهَا عَنْ قَصْدِهَا وَيُحَوِّلَ وَجْهَهَا إِلَى الْقَصْدِ الَّذِي يُرِيدُهُ إِلَّا بَعْدَ أَنْ اسْتَعْمَلَ كُلَّنَا يَدَيْهِ فِي تَنِي زِمَامِهَا.

(٣) الْعِرْنَيْنُ: الْأَتْفُ (اللسان: عرن)، وَالْبَرَى وَالْبَرَى؛ جَمْعُ بُرْيَةٍ زَنْجٍ مُدَّتِيَّةٍ، وَجَمْعُهَا كَجَمْعِهَا: مَدَى وَمَدْيٍ، هِيَ الْحَلَقَةُ مِنْ حَدِيدٍ تُوضَعُ فِي أَثْنِ الْبَعِيرِ مُتَّصِلَةً بِالزِّمَامِ لِيَسْتَهْلَ قَوْدُهُ (اللسان: برى). وَالْحِنُوُ: حِنُوُ الرَّحْلِ، كَسَلُ غُودٍ مُعْوَجٍّ مِنْ عِيدَانِ الرَّحْلِ (اللسان: حنو)، وَالْقَذَالُ: حَمَاعٌ مُؤَخَّرُ الرَّأْسِ (اللسان: قذل). وَالشَّاعِرُ يُعْصَرُ كَيْفَ شَدَّ الزِّمَامَ حَتَّى حَلَّ مُؤَخَّرُ رَأْسِ نَاقَتِهِ غُودَ الرَّحْلِ أَمَامَهُ عَلَى ظَهْرِهَا.

(٤) غَاوَلُ الْحَاجَةِ غَوَالًا وَمُعَاوَلَةٌ: بَادَرَهَا وَحَاوَلَهَا (اللسان: غول).

(٥) اسْتَلَّ وَاسْتَلَّلَ: انْطَلَقَ فِي اسْتِخْفَاءٍ، وَمَضَى خَارِجًا بَتَّانٍ وَتَذَرِيحٍ (اللسان: سلل)، أَسْمَالُ وَسَمَلٌ وَسُمُولٌ وَسِمَالٌ: جَمْعُ سَمَلَةٍ وَسَمَلَةٍ وَسُمَلَةٍ وَسُمَلَةٍ، وَهِيَ بَقِيَّةُ الْمَاءِ فِي الْحَوْضِ، وَقِيلَ: هِيَ مَا فِيهِ مِنَ الْحَمَاءِ - الطِّينِ (اللسان: سمل)، وَالْأَحِيرَةُ أَوَّلُ؛ لِأَنَّهُ يَشْتَبُه سَيْرُهَا مُتَسَلِّةً وَسَطَ الْفَلَاةِ بِالسَّلَالِ الذُّبَابِ أَوَّلَ لَيْلَةٍ فِي الشَّهْرِ - أَي فِي الظَّلَامِ - حِينَ يَسْتَلُّ وَسَطَ أَسْمَالِ الْحِيَاضِ، وَكَوْنُ الْأَسْمَالِ مِنَ الطِّينِ أَدْعَى لِأَنَّهُ لَا يَحْسُسُ بِهِ، خِلَافَ مَا لَوْ مَشَى وَسَطَ الْمَاءِ.

(١) يَسْنُنُ: يَضْطَرِبُ، وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ إِلَّا فِي شِدَّةِ الْهَاجِرَةِ (اللسان: سنن)، وَالْأَلُ: السَّرَابُ (اللسان: أول).

(٢) الطَّوْدُ: الْحَبْلُ الْعَظِيمُ الشَّنِيفُ (اللسان: طود)، أَمَّا جُفَافٌ: فَمَوْضِعٌ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ، وَهُوَ مَاءٌ لَبَنِي جَفَفَ بَنِ كِلَابٍ (البلدان: جُفَافٌ)؛ وَيَلَادُهُمْ تَقَعٌ فِي الْجَنُوبِ الْغَرْبِيِّ مِنْ بِلَادِ قَشِيرٍ، وَلَيْسَتْ مُتَّصِلَةً بِهَا (العرب: ١٤٤). قَرَا الْفَرَسُ: ظَهَرُهَا (اللسان: قرا)، وَالْأَحْزَلُ: الِاجْتِمَاعُ وَالْإِرْتِفَاعُ (اللسان: حزل)، وَهَذَا التَّشْبِيهُ مَعَهُودٌ عِنْدَ شُعَرَاءِ الْعَرَبِ؛ إِذْ يُشَبِّهُونَ الْجِبَلَ الْفَرْدَ فِي السَّرَابِ يَظْهَرُ الْفَرَسُ إِذَا تَحَدَّبَ ظَهْرُهَا، وَبَسَنَامُ الْجَمَلِ الْعَرَبِيِّ؛ فَإِذَا كَانَ حَوْلَهُ جِبَالٌ أُخْرَى أَصْغَرُ مِنْهُ شَبَّهَهُ فِي السَّمَاعِ السَّرَابِ بِالْجَمَلِ الْفَارِسِيِّ الَّذِي حَمَلَ أَغْدَالَهُ (دَهَانِيخُ دُوْ أَعْدَالِ)، وَالذَّهَانِيخُ أَصْلُهَا: دُوْ هَانَةٍ؛ أَيِ ذَا السَّنَامَيْنِ.

(٣) اخْتِلَالُهَا: أَيُّ مَكْنَتِهَا وَإِقَامَتِهَا (اللسان: حلل).

(٤) الْحَالُ وَالْحَوْلُ مِنَ الشَّيْءِ: طَرَفُهُ وَجَانِبُهُ، وَمِنْ الْبَقَرِ كَذَلِكَ، وَهُمَا مِنَ الْعَيْنِ: جَانِبُهَا الَّذِي تَسِيلُ عَبْرَتُهَا مِنْهُ، أَوْ هُوَ مَدْمَعُهَا (اللسان: حال)، وَخَلَاهُ جَالُهَا: أَيِ فَسَحَ السَّبِيلَ لِأَنَّهُامَرَهُ.

(٥) الشَّنُّ: الْجِلْدُ الْمَتَبَسُّ. وَالشَّنَّةُ: الْقِرْبَةُ الْخُلُقُ تُصْنَعُ مِنَ الشَّنِّ بَأَنَّهُ تُخَرَزُ حَوَائِجُهُ وَتُخَاطُ (اللسان: شنن)، وَهَزِيمُ الْكُلَى: يَسْتَوِي وَتَكْثُرَتْ فَصَوْتُهُ، وَالْهَزِيمُ: الْكُسُورُ فِي الْقِرْبَةِ، وَالْهَزِيمُ: الَّذِي يَسِيلُ الْمَاءُ مِنْهَا (اللسان: هزم)، وَتَشْبِيهُ الْعَرَبِ الدَّمْعَ الْغِزَارَ بِالْمَاءِ السَّائِلِ مِنَ الْقِرْبَةِ تَوَارَدَ عَلَيْهِ شُعْرَاؤُهُمْ، وَمِنْهُمْ ذُو الرِّمَةِ فِي بَائِيَتِهِ (كَأَنَّهُ مِنْ كُلِّ مَفْرَقَةٍ سَرَبٌ)، وَمِنْهُمْ زُهَيْرٌ أَيْضًا.

(٦) ضَجَعَ وَاضْطَجَعَ يَمَعْنِي وَاجِدٌ (اللسان: ضجع).

{ الطويل }

- ١ أَلَا مَنْ لِقَلْبٍ قَدْ أَصِيبَتْ مَقَاتِلُهُ بِهِ غُلَّةٌ عَادِيَّةٌ مَا تُزَالُهُ^(١)
 ٢ وَمُعَصَّبٍ بِالْبَيْنِ لَمْ تَسْطِغْ لَهُ كَلَامًا، وَلَمْ تُصْرَمْ لَيْنِ حَبَائِلُهُ^(٢)
 ٣ وَعَيْنٍ رَمَاهَا اللَّهُ بِالشَّقِّوْكَ كَلَّمَا رَأَتْ حَيْثُ يَلْقَى مَصْرَمَ الْحَبْلِ حَائِلُهُ^(٣)

تخريج الأبيات :

أوردتها المجري بوصفها لعبد الله بن الطفيل أبي الصمة، وهي في الفاضل/ ٢٧

للصمة نفسه، شعراء قشير ٣١٠/٢، ديوانه/ ١١٩

قافية الميم

(٣٨)

{ الطويل }

- ١ خَلِيلِي، إِنِّي واقِفٌ فَمَسَلَمٌ عَلَى النَّيْرِ، فَارْتَاخًا قَلِيلًا، فَسَلَمًا^(١)
 ٢ فَلَيْتِي أَحِبُّ النَّيْرَ، وَالْبَرْقَ الَّتِي بِهَا النَّيْرُ، حُبًّا خَالَطَ اللَّحْمَ وَالْدَمًا^(٢)
 ٣ فَلَوْ زَالَ هَضْبُ النَّيْرِ عَنْ سَكَاتِهِ لَيَمَّمْتُ، مِنْ وَجْدِهِ بِهِ، حَيْثُ يَمَّا^(٣)
 ٤ وَلَوْ كَلَّمْتُ صُمَّ الْجِبَالِ بِمَوْطِنٍ صَدِيقًا لَحَيَانَا، إِذَنْ، وَتَكَلَّمًا^(٤)

تخريج الأبيات :

الأشباه والتظائر ١٣٨/٢، العرب/ ١٧٤، شعراء قشير ٣٢٧/٢، ديوانه/ ١٢٦

(١) الغلّة: شدة الهيام والعطش، وهي شدة الحب والوجد كذلك (اللسان: غل)، وقوله: (عاديّة) يعني بها أنها قديمة العهد من زمن عاد؛ إمعاناً في المبالغة في طول الزمن (اللسان: عاد)، ثرائله: ثفارفه وثبارحه (اللسان: زول).

(٢) في ديوانه وشعراء قشير (ومعصّب)، وما أنبتناه أولى، وقوله: (تصرّم) أي تقطّع، وصرمت حباله: قطعت حبال الوصل بينه وبين حبيبته (اللسان: صرم)، والحبال جمع حباله، وهي التي يصاد بها (اللسان: حبل).
 (٣) في ديوانه وشعراء قشير (حائله)، جاعلاً منها حايلاً المكان، ولا يستقيم المعنى ولا التظم بها. مصرم الحبل: المكان الذي صرم فيه الحبل، ومن معاني الحبل: العهد، والرمل المستطيل (اللسان: حبل)؛ ولعله يريد هنا المكان الذي كان فيه آخر عهده بحبيبته، والحابل: صانع الحبل، ولعله يريد به صاحب العهد بما يتسجّم والتفسير الذي أشرت إليه آنفاً.

(١) النّير: جبل في عالية تجلّو تقدّم التعريف به.

(٢) البرق: جمع برقاء، وهي الأرض الغليظة التي يختلط رملها بالحجارة (اللسان: برق).

(٣) هضب النّير: تقدّم التعريف به في تائيته، والهضب كل جبل مبسّط (اللسان: هضب)، ويمم: يمعنى قصد وتوجّه (اللسان: يمم).

(٤) العلاقة الحميمة التي جمعت الصّمة بالمكان؛ حتى عدّه صديقاً حميماً، ظاهرة جليّة في هذا البيت. وصيفة (صم) التي أضاف الجبال إليها هنا تحتل أن تكون من الصلادة، أو من الصم.

{ الطويل }

١ دَعَوْتُ زَمَامًا لِلْهَوَى ، فَأَجَابَنِي
وَأَيُّ فَيْسٍ لِلَّهِ بَعْدَ زَمَامٍ ^(١)

تَخْرِيجُ الْبَيْتِ :

الشعر والشعراء ١ / ٣٢٧، ديوان الخطيئة / ٦٨ وفيه أنه لابن الصَّمَّةِ
القشيري، العرب / ١٧٤، شعراء قُشَيْر ٢ / ٣٣٥، ديوانه / ١٢٨

(١) كان زَمَامُ بْنُ حِطَامٍ بْنُ النَّضَّاحِ الْكَلْبِيُّ أَحْوَدَ النَّاسِ غِنَاءً بَدَوِيًّا، وفيه قال الصَّمَّةُ البيت المتقدم على ما ذكره ابن قُتَيْبَةَ .

{ الوافر }

١ وَلَمْ آتِ الْبُيُوتَ مُطَنَّبَاتٍ
يَا كُتَيْبَةَ فَرِدْنَ مِنَ الرَّغَامِ ^(١)

تَخْرِيجُ الْبَيْتِ :

اللسان (فرد)، شعراء قُشَيْر ٢ / ٣٥٠، ديوانه / ١٢٨

(١) مُطَنَّبَاتٍ: مشدودات بالأطناب، والأطنابُ جَمْعُ طَنِيبٍ، وهو الحبلُ يُشدُّ به البيتُ بين الأرض والطرأين (اللسان: طنّب). أمّا الْكُتَيْبَةُ؛ فَجَمْعُ كُتَيْبٍ، وهي تِلَالُ الرَّمْلِ (اللسان: كتب)، وفَرِدْنَ: انْفَرَدْنَ (اللسان: فرد)، والرَّغَامُ: الرَّمْلُ الْمُخْتَلِطُ بِالْثَرَابِ (اللسان: رغم) .

{ الطويل }

- ١ أَكْرُ إِلَى لَيْلَى فَأَحْسَبُ أَنِّي كَرِيمٌ عَلَى لَيْلَى ، وَغَيْرِي كَرِيمُهَا ^(١)
 ٢ فَأَصْبَحْتُ قَدْ أَجْمَعْتُ تَرْكًا لَيْتِيهَا وَفِي الْعَيْنِ مِنْ لَيْلَى قَدَى لَا يَرِيهَا ^(٢)
 ٣ لَنْ أَتَرْتُ بِالْوَدِّ أَهْلَ بِلَادِهَا عَلَى نَارِجٍ مِنْ أَرْضِهَا لَا تَلُومُهَا
 ٤ وَلَا يَسْؤِي مَنْ لَا يَرَى غَيْرَ لَمَّةٍ وَمَنْ هُوَ ثَاوٍ عِنْدَهَا لَا يَرِيهَا ^(٣)

تَخْرِيجُ الْأَبْيَاتِ :

أما لي الزبيدي / ١٥٠ ، رواها عن عمه عن عبيدة بن المنهال ، وكذلك في المراثي له / ٣١١ ، وليست في العرب ولا في ديوانه

- (١) أَشْرْتُ فِي مَا تَقَدَّمَ إِلَى تَسْوِيعِ اسْمِ لَيْلَى عِنْدَ الصَّمَةِ فِي شِعْرِهِ ، وَقَوْلُهُ : (أَكْرُ) يَعْنِي الرُّجُوعَ إِلَى دِيَارِهَا لِتَرَاهَا (اللسان: كرر) ؛ لَكُنْهُ وَحْدَ غَيْرِهِ أَقْرَبَ إِلَيْهَا مِنْهُ ، وَيَبْدُو أَنَّهُ قَالَ هَذِهِ الْأَبْيَاتُ بَعْدَ زَوَاجِ رَيَّا .
 (٢) أَجْمَعُ أَمْرًا : حَزَمَ وَعَزَمَ وَصَمَمَ (اللسان: جمع) ، وَيَرِي : يُفَارِقُ (اللسان: ريم) .
 (٣) اللَّمَّةُ : مِنَ الْإِلْمَامِ ، أَيِ مَعَالِجَةِ الْأَمْرِ بِرُحَّةٍ يَسِيرَةٍ ، وَمِنْهُ الْإِلْمَامُ الطَّيْفَرُ بِالتَّائِمِ (اللسان: لَمَم) ، وَالتَّائِي : الْمُتَقِيمُ ، وَالتَّوَاءُ : الْإِقَامَةُ (اللسان: تَوَى) .

قافية التَّوَن

(٤٢)

{ البسيط }

- ١ يَا صَاحِبِي ، أَطَالَ اللَّهُ رُشْدُكُمَا عَوْجًا عَلَى صُدُورِ الْأَبْغَلِ السَّنَنِ ^(١)
 ٢ ثُمَّ ارْفَعَا الطَّرْفَ ، هَلْ تُبْدُونَ لَنَا ظُعُنٌ بِحَاتِلٍ ، يَا عَنَاءَ النَّفْسِ مِنْ ظُعُنٍ ^(٢)
 ٣ أَحِبُّ بَيْنَ ! لَوْ أَنَّ الدَّارَ جَامِعَةٌ وَبِالْبِلَادِ الَّتِي يَسْكُنُ مِنْ وَطَنِ
 ٤ طَوَالِ الْحَبْلِ مِنْ تَبْرَاكِ مُضْعِدَةٌ كَمَا تَتَابَعُ قَسِيدَامُ مِنَ السُّفَنِ ^(٣)
 ٥ يَا لَيْتَ شِعْرِي ، وَالْأَقْدَارُ غَالِبَةٌ وَالْعَيْنُ تَذْرِفُ أَحْيَانًا مِنَ الْحَزَنِ
 ٦ هَلْ أَجْمَعُنَّ يَدَيَّ لِلْحَدِّ مَرْفَقَةً عَلَى شَعْبَعَبَ بَيْنَ الْحَوْضِ وَالْعَطَنِ ^(٤)

- (١) الْأَبْغَلُ : جَمْعُ بَغْلٍ ؛ وَهُوَ ابْنُ الْفَرَسِ مِنَ الْجِمَارِ (اللسان: بغل) ، وَعَاجَ بِالْمَكَانِ : أَقَامَ فِيهِ ، وَعَاجَ عَلَى الْمَكَانِ وَالْإِنْسَانِ : عَطَفَ طَرِيقَ سَيْرِهِ بَحَيْثُ يَمُرُّ بِهِ (اللسان: عاج) ، وَالسَّنَنُ : الْحَادَّةُ فِي سَيْرِهَا (اللسان: سنن) ، وَفِي الْعَادَةِ تُسْتَعْدَمُ الْبِغَالُ لِنَقْلِ الْمَتَاعِ إِذَا كَانَتْ الطَّرِيقُ مُضْعِدَةً ، وَهَذَا يَظْهَرُ فِي الْبَيْتِ الثَّلَاثِ .
 (٢) الظُّعُنُ : جَمْعُ ظُعِينَةٍ ، وَهِيَ الْمَرْأَةُ فِي الْهُودَجِ تُحْمَلُ عَلَى التَّاقَةِ ، وَالظُّعِينَةُ فِي أَصْلِهَا التَّاقَةُ الَّتِي تُسْتَعْمَلُ لِلسَّيْرِ فِي الْبَادِيَةِ طَلِبًا لِلتَّجَعَةِ (اللسان: نَجع) ، أَمَّا حَاتِلٌ ؛ فَتَقَدَّمَ الْحَدِيثُ عَنْهَا ، وَهِيَ مَاءٌ لَبَنِي قُشِيرٍ فِي الْيَمَامَةِ .
 (٣) طَوَالِجُ : جَمْعُ طَالِجَةٍ ، وَهِيَ الْمُضْعِدَةُ فِي سَيْرِهَا (اللسان: طلع) ، وَالْحَبْلُ : الْقِطْعَةُ الْمُسْتَقِيمَةُ الطَّوِيلَةُ مِنَ الرَّمْلِ (اللسان: حبل) ، وَإِضَافَتُهُ إِلَى تَبْرَاكِ (تَفَرَّدَ الدَّحِي) تَوْضُحُ ذَلِكَ ، فَتَبْرَاكِ كَمَا تَقَدَّمَ رَمْلٌ كُلُّهُ . أَمَّا الْقَسِيدَامُ مِنَ السُّفَنِ ؛ فَهُوَ أَوَّلُهَا حِينَ تَكُونُ جَمَاعَةً سَفُنٍ مَعًا (اللسان: قدم) .
 (٤) الْمَرْفَقَةُ : مَا يُرْتَفَقُ عَلَيْهِ مِنْ مَكَلٍّ أَوْ مِخْدَةٍ (اللسان: رفق) ، وَشَعْبَعَبُ : مَاءٌ لَبَنِي قُشِيرٍ فِي الْيَمَامَةِ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ الْحَدِيثُ عَنْهُ ، وَالْحَوْضُ الْمَاءُ مَعْرُوفٌ ، أَمَّا الْعَطْنُ ؛ فَهُوَ مَبْرَكُ الْإِبِلِ حَوْلَ حَوْضِ الْمَاءِ (اللسان: عطن) .

- ٧ أَصْبَحْتُ مَا لِي مِنْ عِزِّ أُلُودِيهِ إِلَّا الْعَرُزُ بَعْدَ السَّيْفِ وَالْبَدَنِ^(١)
- ٨ يَعْزُصَةَ جَانِبِ الْأَدُنُونِ جَانِبَهَا وَالْأَهْلُ بِالشَّامِ وَالْإِخْوَانُ بِالْيَمَنِ^(٢)

تَخْرِيجُ الْأَبْيَاتِ :

البيتان الأخران في ديوان المعاني ١ / ٢٣٥، وفيه عن الفراء قال: "كُنْتُ عِنْدَ الْكِسَائِيِّ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: كَيْفَ أَصْبَحْتَ؟ فَقَالَ: أَصْبَحْتُ كَمَا قَالَ الصَّمَّةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَفِيلٍ الْقَشِيرِيِّ: "...، شعراء قشير ٢ / ٣٧١، ٣٧٢، ديوانه ١٣١/

والأبيات ١-٦ في اللسان (شعب) مؤكداً نسبتها للصَّمَّةَ نقلاً عن ابنِ بَرِّي، وذكرها ياقوتُ في مُعْجَمِ الْبُلْدَانِ (شُعْبَعَب)، وَرَوَى الْبَكْرِيُّ الْبَيْتَيْنِ ٥-٦ فِي مُعْجَمِ مِلْ اسْتَعْجَمَ (شُعْبَعَب) لِلصَّمَّةِ وَغَيْرِهِ، تاج العروس ١ / ٣٢١، مختار الأغاني ١٢ / ٣٢٤، بلاد العرب ٢ / ٢٤٢، أعلام الشعر اليمامي ٩٢ / ٩٢، وفي تعليقات المهجري - الحمادي جاء الشطرُ الثاني من ثاني الأبيات هكذا: (بِحَائِلٍ لَاعْنَاهَا السَّوْءُ مِنْ طُعْنٍ)، وَقَالَ بَعْدَهَا: "التَّشَاخُصُ التَّفَاوُتُ؛ يَرْكَبُ أَحَدٌ ..."، فَظَنَّ الْحَقُّوقُ (الحمادي) أَنَّهُ بَيْتُ شِعْرِ كَامِلٌ، فَأَتَبَتَهُ هَكَذَا:

بِحَائِلٍ لَا عِنَاهَا السَّوْءُ مِنْ طُعْنٍ التَّشَاخُصُ التَّفَاوُتُ يَرْكَبُ

العرب / ١٧٥، ديوانه ١٣٢/

(١) التَّعَرُّزُ: الْإِثْقَابُ وَالْإِكْتِبَابُ (اللسان: عرز)، وَالْبَدَنُ: جَمْعُ بَدَنَةٍ؛ وَهِيَ التَّاقَةُ أَوْ الْبَقَرَةُ الَّتِي تُنَحَرُ قُرْبَانًا لِصَلَاحِ حَالِهَا وَبَدَنِهَا (اللسان: بدن)، وَهُوَ يَقْصِدُ هُنَا إِلَى أَنَّ حَالَهُ أَصْبَحَتْ رَفِيقَةً، فَصَارَ لَا يَمْلِكُ مِنَ الْمَالِ شَيْئًا إِلَّا الْإِثْقَابُ، بَعْدَ أَنْ كَانَ فَاعِلًا بِسَيْفِهِ، مَالِكًا مَا شَاءَ مِنَ النَّعَمِ.

(٢) الْعُرْصَةُ: الْهِمَّةُ الْعَالِيَةُ، وَهِيَ مَاخُودَةٌ مِنْ قَوْلِهِمْ: نَاقَةٌ عُرْصَةٌ لِلْسَفَرِ؛ أَيْ قُوَّةٌ عَلَيْهِ (اللسان: عرض)، وَالْأَدُنُونُ: جَمْعُ الْأَدْنِ؛ أَيْ الْأَقْرَبُ (اللسان: دنا).

(٤٣)

{ الطويل }

- ١ ذَكَرْتُكَ وَالتَّجْمُ الْيَمَانِي كَأَنَّهُ وَقَدْ عَارَضَ الشَّعْرَى قَرِينُ هِجَانِ^(١)
- ٢ فَقُلْتُ لِأَصْحَابِي، وَلَا حَتَّ غَمَامَةٌ بَنَجْدٍ، أَلَا لِلَّهِ مَا تَسْرِيَانِ
- ٣ قِفَا، لَا تَرَى بَرْقًا تَقْطَعُ دُونَهُ مِنْ الطَّرْفِ أَبْصَارُ لَهْنِ رَوَانِ^(٢)
- ٤ أَلَا فَاحْمِلَانِي بَارَكَ اللَّهُ فِيكُمَا إِلَى حَاضِرِ الْمَاءِ الَّذِي تَرِدَانِ
- ٥ فَلِئَلَّ عَلَى الْمَاءِ الَّذِي تَسْرِدَانِهِ غَرِيمًا لَوَانِي الدِّينِ مُنْذُ زَمَانِ^(٣)
- ٦ لَطِيفَ الْحَشَا عَذَبَ اللَّمَى طَيْبَ النَّنَا لَهُ عِلَلٌ لَا تَنْقُضِي لِأَوَانِ^(٤)

(١) التَّجْمُ الْيَمَانِي: سَهْلٌ. عَارَضَهُ: سَارَ حِيَالَهُ وَقَابَلَهُ (اللسان: عرض)، وَالشَّعْرَى: كَوَكَبٌ تَسِيرُ يَطْلُعُ عِنْدَ شِدْوَى الْحَرِّ، وَهُمَا شِعْرَانِ: الشَّعْرَى الْغُبُورُ، وَالشَّعْرَى الْغَمِيضَاءُ (اللسان: شعر)، وَالْهِجَانُ مِنَ الْأَشْيَاءِ: أَحْوَدُهَا وَأَكْرَمُهَا أَصْلًا، وَمِنْ الْإِيلِ: الْبَيْضُ الْكِرَامُ (اللسان: هجن)

(٢) رَوَان: جَمْعُ رَانَ وَرَانِيَّةٍ، وَالرَّانِي الَّذِي يُدِيمُ النَّظَرَ فِي سُكُونِ طَرَفِهِ (اللسان: رنا)

(٣) لَوَاهُ دَيْتُهُ: مَطْلَهُ وَجَحَدَهُ إِيَّاهُ (اللسان: لوى)، وَالْغَرِيمُ: الدَّائِنُ أَوْ الْمَدِينُ (اللسان: غرم)، وَيَقْصِدُ هُنَا حَبِيبَتَهُ الَّتِي وَعَدَتْهُ، لَكِنَّ مَوْعِدَهَا كَانَ كَمَوَاعِيدِ غُرُقُوبٍ؛ إِذْ كَانَتْ تَمُطِّلُهُ وَتَجْخِذُهُ مَا وَعَدَتْهُ بِهِ. وَالْبَيْتُ وَالَّذِي يَلِيهِ رَوَاهُمَا الْقَالِي فِي أَمَالِيهِ (٢ ص ١١٢) عَنْ الْأَصْمَعِيِّ هَكَذَا:

إِلَى اللَّهِ أَشْكُو، ثُمَّ أَتَيْتُ فَاشْتَكَيْتُ غَرِيمًا لَوَانِي الدِّينِ مُنْذُ زَمَانِ
لَطِيفَ الْحَشَا عَذَبَ اللَّمَى طَيْبَ النَّنَا لَهُ عِلَلٌ لَا تَنْقُضِي وَأَمَانِي

(٤) الْحَشَا: مَا دُونَ الْجَنَابِ مِمَّا يَلِي الْبَطْنَ كُلَّهُ مِنَ الْكَيْدِ وَالطَّحَالِ وَالْكَرْشِ وَمَا تَبَعَ ذَلِكَ، وَهُنَا يَقْصِدُ بِهِ الْخَصْرَ، يُقَالُ لَطِيفَ الْحَشَا: إِذَا كَانَ أَهْيَفَ ضَامِرِ الْخَصْرِ (اللسان: حشا)، وَاللَّمَى: سُمْرَةٌ فِي الشَّفَتَيْنِ تُسْتَحْسَنُ، وَهِيَ كَالْحَوَّةِ (اللسان: لَمى)، وَالنَّانَا: مَقْصُورُ الثَّنَاءِ، وَهُوَ الذَّكْرُ الْحَسَنُ وَالْمَدِيحُ (اللسان: ننى)، وَالْعِلَلُ: جَمْعُ عِلَّةٍ، وَهِيَ الشَّوَاغِلُ وَالْأَعْذَارُ وَالْأَسْبَابُ الَّتِي يَتَنَصَّلُ بِهَا الْإِنْسَانُ مِمَّا عَلَيْهِ لَغْوُهُ.

- ٧ إذا غرورقت عيناى قالت صحابتي
٨ تواهس أصحابي حديثاً لقبيته
٩ أفي كل يوم أنت رام بلادها
١٠ كأن قدي بالعين قد مرجت به
١١ فعيني يا عيني حاتم أتما
١٢ أما أتما إلا علي طليعة
١٣ بكيت عين لم تحنها ضمانة
١٤ عذرك يا عيني الصحيحة بالبكا
- إلى كم ترى عيناك تبدران
حقيقاً وأعضاد المظي حوان^(١)
يعينين إنساناهما غرقان^(٢)
وما حاجة الأخرى إلى المرجان^(٣)
هجران أم العمر تحجلجان^(٤)
على قرب أعدائي وبعد مكاني^(٥)
وأخرى بها ريب من الحدثنان^(٦)
فما لك يا عوراء والهملان

تخريج الأبيات :

أما لي الزيدي / ١٤٩ وفيها روى الزيدي عن عمه عبيد الله عن ابن الكسكري في تفسير بيته (بكت عيني اليسرى)، قال: كان أعور، وكذلك في المراثي لليزيدي / ٣٠٩، الحماسة البصرية ١٥٤/٢، وقد نسبت فيها لابن الدميثة، وورد البيت الثامن منها في الفصول والغايات ٣٩٦/١ منسوباً لبعض العور من العرب، أما لي القالي ١١٢/٢، وفي سمط اللآلي ٤٦٢/١-٤٦٣ للصمة القشيري، وقد أفاد الأستاذ الميموني في الحاشية أنها للصمة القشيري، ونقل نصاً من كتاب زيادات الأمثال كان صاحبه نقله عن البكري، محاولاً فيه توضيح صواب رواية (عيني اليسرى) لا (اليمنى) جاءت ثلاثة أبيات منها فيه. وابن الدميثة لم يعرف بالعور، ديوانه / ١٢٩ (أربعة أبيات)، وفي المختار من شعر ابن الدميثة / ١٩ بغير عزو

- (١) التواهي: شدة القمز في الحديث عن الآخرين، وعادة ما يكون همس (اللسان: وهس)، أعضاد المظي: ما بين مراقبها إلى أكتافها (اللسان: عصم)، حوان: ملتوية متحنية (اللسان: حتى).
(٢) إنسان العين: البؤبؤ (اللسان: أنس)، غرقان: ممتلئ غرق، وهو ومغروق بمعنى واحد (اللسان: غرق).
(٣) مرجت العين بالقدي: اختلطت بدمعها حتى أسقطت (اللسان: مرج).
(٤) اختلجت العين: خالجهما الدمع للذكرى حزناً، فسالت به واضطربت حركتها (اللسان: خلج).
(٥) الطليعة من الجيش ونحوه: أول ما يطلع منه، والطليعة كالحاسوس، من يطلع طلع العدو، أي يستكشف ويكشف ما يخفيه (اللسان: طلع)، والعين تكون طليعة على ما تخرج الجوانح لأنها تكشف ما يخفيه الإنسان من مشاعره تجاه غيره، ومنه قولهم: (إذا العين راحت وهي عين على الجوى فليس يسير ما يسير الأضالع).
(٦) الضمانة: الداء (اللسان: ضمن)، وريب الحدثنان: صروف الدهر ومصائبه (اللسان: ريب).

{ الطويل }

- ١ رَأَيْتِي الْعَوَانِي قَدْ تَرَدَّيْتُ شَمْلَةً وَأَزْرَتُ أُخْرَى ، فَأَزْدَرَيْتِي عُيُوبَهَا ^(١)
- ٢ وَفِي شَمْلَتِي - لَوْ كُنَّ يَدْرِين - سَوْرَةٌ مِنْ الْجَهْلِ ، مَجْنُونٌ بَيْنَ جُنُوبِهَا ^(٢)

تَخْرِيجُ الْآيَاتِ :

الأشباه والتطائير ٢ / ٢٤٤ ، العرب / ١٧٥ ، شعراء قشِير ٢ / ٣٨٣ ، ديوانه / ١٣٥

{ الطويل }

- ١ وَحَنَّتْ قُلُوصِي آخِرَ اللَّيْلِ حَنَّةً فَيَا رَوْعَةً مَا رَاعَ قَلْبِي حَنِيتُهَا ^(١)
- ٢ حَنَّتْ فِي ثَنَائِهَا ، وَشَبَّ لَعِينُهَا سَنَا بَارِقٍ وَهَنًا ، فَجَنَّ جُنُوبُهَا ^(٢)
- ٣ فَقُلْتُ لَهَا : صَبْرًا ، فَكَلَّ قَرِينَتَهُ مُفَارِقُهَا - لَا بُدَّ يَوْمًا - قَرِينَتِهَا ^(٣)
- ٤ فَمَا بَرَحَتْ حَتَّى ارْعُوْنَا لِصَوْتِهَا وَحَتَّى ابْتَرَى مِنَّا مُعِينٌ يَعِينُهَا ^(٤)
- ٥ تَجَنُّ إِلَى أَهْلِ الْحِجَارِ صَبَابَةً وَقَدْ بُتَّ مِنْ أَهْلِ الْحِجَارِ قَرِينَتِهَا ^(٥)
- ٦ فَيَا رَبَّ أَطْلِقْ قَيْدَهَا وَجَرِّدَهَا فَقَدْ رَاعَ أَهْلَ الْمَسْجِدِينَ حَنِيتُهَا
- ٧ فَقُلْتُ لَهَا : حِنِّي رُوَيْدًا ، فَلَانِي وَإِيَّاكَ بُدِّي عَوْلَةً سَئِيئَتِهَا ^(٦)

(١) حَنَّتِ النَّاقَةُ: صَوَّتَتْ صَوْتًا خَرِيْبًا إِذَا تَذَكَّرَتْ فَصَلَّيْهَا، أَوْ مَرَّتْ بِمَكَانٍ كَانَ لَهَا فِيهِ ذِكْرَى وَمَقَامُ (اللسان:

حنن)، والقُلُوصُ: النَّاقَةُ الْفَتِيَّةُ الشَّدِيدَةُ (اللسان: فُلُص).

(٢) حَنَّتْ: مِنَ الْحَنُوِّ؛ أَيْ تَذَكَّرَتْ فَحَنَّتْ وَعَطَفَتْ وَأَشْفَقَتْ (اللسان: حَنًا)، وَالثَّنَائِي: الْبُعْدُ (اللسان: ثَنَى)،

وَقَوْلُهُ: (شَبَّ لَعِينُهَا سَنَا بَارِقٍ)؛ يَعْنِي أَنَّهَا رَأَتْ ضَوْءَ بَارِقٍ مُنِيرٍ، وَالْوَهْنُ: نِصْفُ اللَّيْلِ أَوْ بَعْدَ سَاعَةٍ مِنْهُ

(اللسان: وَهَن)، وَيَكُونُ ذَلِكَ أَدْعَى لظُلْمَةِ اللَّيْلِ.

(٣) حَدِيثُهُ إِلَى النَّاقَةِ هُنَا يَنْسَجِمُ مَعَ حَالَةِ نَفْسِيَّةٍ يَعِيشُهَا هُوَ؛ فَهُوَ يُحَاوِلُ أَنْ يَصْدَعَ نَفْسَهُ بِالْحِكْمَةِ لِكِبْحِ جِمَاحِ

الشَّقِيقِ فِي قَلْبِهِ، وَمُخَاطَبَةُ الْعَرَبِيِّ نَاقَتَهُ، أَوْ جَعْلُهَا تُخَاطِبُهُ مِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَلْفَةِ بَيْنَهُمَا، حَتَّى وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ فِي الشَّعْرِ،

وَلَعَنَتُهُ مَعَ قَرِينِهِ، وَالثَّقَبُ الْعَبْدِيُّ مَعَ نَاقَتِهِ، وَالتَّنْيِي مَعَ حِصَانِهِ فِي شَيْبِ بُرَاقٍ، شَيْءٌ طَرِيفٌ فِي هَذَا الْجَانِبِ.

(٤) بَرَحَتْ تُرْسِلُ ذَلِكَ الصَّوْتَ الْخَرِيزَ، ارْعُوْنَا: التَّبَهُنَا وَحَمَلْنَا بَعْضَ مَا تَجِدُهُ (اللسان: رَعَا)، ابْتَرَى مُعِينٌ:

عَرَضَ أَحَدُهُمْ لِصَوْتِهَا فَقَلَّدَهُ وَبَارَاهُ لِكَيْ يُخَفِّفَ عَنْهَا.

(٥) بُتَّ: قُطِعَ حَبْلٌ وَصَالِهَا مَعَ قَرِينِهَا (اللسان: بَتَّ).

(٦) الْعَوْلَةُ: رَفَعُ الصَّوْتِ بِالْبُكَاءِ وَالصَّيْحِ، وَخَرَارَةُ الْحُبِّ وَالْخُزْنِ مِنْ غَيْرِ نِدَاءٍ وَلَا بُكَاءٍ؛ جَمْعُهَا (عَوَلٌ)

(اللسان: عَوَلٌ)، وَلَعَلَّ الْأَخِيرَةَ أَوَّلَى؛ لِأَنَّ عَوْلَتَهُ وَعَوَلَتَهَا مَخْفِيَتَانِ يُظْهِرُهُمَا الْبُكَاءُ وَالصَّيْحُ.

(١) الْعَوَانِي: جَمْعُ غَانِيَةٍ، وَهِيَ الَّتِي اسْتَعْنَتْ بِجَمَالِهَا عَنِ الْحَلِّي (اللسان: عَنَى)، وَتَرَدَّيْتُ بِالرَّدَاءِ: لَبَسْتُ (اللسان:

رَدَى)، وَالشَّمْلَةُ: شَقَّةٌ مِنَ الثِّيَابِ ذَاتُ حَمَلٍ يُتَوَشَّحُ بِهَا وَيُتَلَفَعُ، وَكِسَاءٌ مِنْ صُوفٍ أَوْ شَعْرِ يُغَطِّي بِهِ وَيُتَلَفَفُ

بِهِ (اللسان: شَمَلَ)، وَيَدُلُّ قَوْلُهُ: (وَأَزْرَتُ أُخْرَى) عَلَى أَنَّهُ عَنِ الْأَوَّلَى وَالثَّانِيَةِ؛ أَيْ وَضَعَ إِحْدَاهُمَا عَلَى رَأْسِهِ،

وَالْأُخْرَى عَلَى حَسْبِهِ، وَهَذَا لَا يَكُونُ إِلَّا مِنْ كَبِيرِ السِّنِّ، أَوْ الْعَاجِزِ. أَمَّا أَزْدَرَيْتِي غَيْرُهَا؛ فَاسْتَحْقَرْتِي وَعَابَتْنِي

بِأَنْ تَنْظَرْتُ هُرْمًا وَاجْتِفَارًا (اللسان: زَرَى).

(٢) سَوْرَةُ الْجَهْلِ: جِدَّتُهُ (اللسان: سَوْرٌ)، وَهُوَ يَسْتَكْبِرُ عَلَيْهِمْ مِثْلَ ذَلِكَ، مُتَكَبِّرًا عَجْزُهُ.

- ٨ خَلِيلِي، هَلْ بِالشَّامِ عَيْنٌ حَزِينَةٌ
تَبْكِي عَلَى تَجْدٍ لَعَلِّي أُعِينُهَا ؟^(١)
- ٩ وَهَلْ بَائِعٌ نَفْسًا بِنَفْسٍ، أَوْ الْأَسَى
إِلَيْهَا فَأَجْلَاهَا بِذَلِكَ حَسِينُهَا ؟^(٢)
- ١٠ وَأَسْأَلُهَا الْبَاكُونَ إِلَّا حَمَامَةً
مُطَبَّوْقَةً قَدْ بَانَ عَنْهَا قَرِينُهَا^(٣)
- ١١ مُجَاوِئُهَا أُخْرَى عَلَى خَيْرُ رَاةٍ
يَكَاذُ بِدَيْبِهَا مِنَ الْأَرْضِ لَيْسُهَا^(٤)
- ١٢ نَظَرْتُ بَعَيْنِي مُؤَسَّسِينَ فَلَمْ أَكُذْ
أَرَى مِنْ سُهَيْلٍ نَظْرَةً أُسْهِبِيهَا^(٥)
- ١٣ فَكَدَّبْتُ نَفْسِي، ثُمَّ رَاجَعْتُ نَظْرَةً
فَهَبَّجَ لِي شَوْقًا لِنَجْدٍ يَبْقِيهَا^(٦)

تخريج الأبيات :

محاضرة الأبرار ٢٥/٢، الحماسة الشجرية ٦٠٤/٢-٦٠٥، وهي في الحماسة البصرية ١٥٥/٢، ورواها لأم المثلّم الهذليّة، وتُروى لكريمة بنت أسد، وفي أمالي الزّجاجي ٢٠١/١ لبعض الأعراب. وآخر سيّئة منها في معجم البلدان (نجد)، ونسب ابن خلّكان البيت ٣٤١ لابن الطّبريّ في الوفيات ٣٧٢/٦. ديوانه ١٣٦ (خمسة أبيات)

(١) تبكي: أي تبكي بشيئ أو غموال (اللسان: بكى).

(٢) أجلاها حنينها: أي خلّصها حنينها من الهم والحزن الذي تجد حرارته في أحشائها، وأجلى الهم عنه: أزاله وكشفه (اللسان: جلا).

(٣) يَصُورُ الشاعرُ وجده مرةً بالثّاقفة التي حنّت لِمَا وَحَدّت من شوقٍ لِقَرِينِهَا بِالْحِجَازِ الذي بُسّتَ حَبْلُهَا مِنْهُ، ثُمَّ يَلْعَاُ لِتَصَوِيرِ شَوْقِهِ بِمَا تَجِدُ الْحَمَامَةُ الَّتِي فَارَقَتْ قَرِينَهَا، وَجَعَلَتْ حَمَامَةً أُخْرَى تُسَلِّي عَنْهَا الهمَّ كَمَا فَعَلَ هُوَ وَصَحْبُهُ بِتِلْكَ الثّاقِفَةِ قَبْلُ، وَالْحَمَامَةُ الْمُطَوَّقَةُ: الَّتِي يَظْهَرُ عَلَيَّ عَنْقُهَا طَوَقٌ بَرِيشٍ مُخْتَلِفِ اللَّوْنِ عَنْ لَوْنِ سَائِرِ رِيشِهَا (اللسان: طوق).

(٤) دكّاه: قرّبها مُبَالَغَةً فِي الدُّنُو (اللسان: دنا)، واللين في الخَيْرِ رَائَةٍ: صِفَةٌ تَجْعَلُهَا قَائِلَةً لِلتَّغْنِي وَالْإِنْجِنَاءِ.

(٥) الْمُؤَسَّسُ: الْمُتَدَقِّقُ فِي تَطَوُّرِهِ، الْمُؤَوِّقُ بِمَا يَرَى، وَأَصْلُهَا مِنَ الْإِنْسَانِ، وَهِيَ أَيْضًا تَوَرُّ الْوَحْشِ (اللسان: أنس)، وَسُهَيْلٌ: هُوَ النَّجْمُ الْبَيَاضُ، قِيلَ: عِنْدَ طُلُوعِهِ تَنْضَحُ الْفَوَاكِهُ وَيَنْقُضِي الْقَيْطُ، وَفِي الْمَثَلِ: (إِذَا طَلَعَ سُهَيْلٌ، رُوعَ كَيْلٌ وَوَضِعَ كَيْلٌ)، يُضْرَبُ بِ تَبْدُلِ الْأَحْكَامِ (اللسان: سهل).

(٦) رَاجَعْتُ النَّظْرَةَ: أَعَدْتُ النَّظَرَ كَرَّةً أُخْرَى (اللسان: رجع)، يَقِينُ الْعَيْنِ: يَقِينُهَا مِنَ الرُّؤْيَةِ وَالْعِلْمِ بِمَا رَأَتْ (اللسان: وقن).

قافية الياء (٤٦)

{ الطويل }

- ١ أَلَا تَسْأَلَانِ اللَّهَ أَنْ يَسْقِيَ الْحِمَى
بَلَى، فَسَقَى اللَّهُ الْحِمَى وَالْمَطَالِيَا^(١)
- ٢ وَأَسْأَلُ مَنْ لَا قَيْتَ: هَلْ مُطِيرَ الْحِمَى
فَهَلْ يَسْأَلُنْ عَنِّي الْحِمَى: كَيْفَ حَالِيَا^(٢)
- ٣ وَلَئِي لَأَسْأَلَنَّ لِنَتْنِ بِالْحِمَى
وَلَوْ تَمْلِكَانِ الْبَحْرَ مَا سَقَيْنَا^(٣)

تخريج الأبيات:

الأمالي ١٩٤/١-١٩٥، الأغاني ٢٩٢/٥، تجريد الأغاني ق ١ ج ٧١٦/٢، مهذّب الأغاني ١٨٦/٤، معجم البلدان (حِمَى)، الوافي بالوفيات ١٩٣/١٦، العرب ١٧٥، الحنين إلى الأوطان ١١٦، شعراء قشّير ٣٩٩/٢، ديوانه ١٤٠

(١) الْحِمَى: تَقَدَّمَ التَّعْرِيفُ بِهِ، وَكُلُّ مَا هُوَ مِنْ أَرْضِ الْقَبِيلَةِ يُسَمَّى حِمًى. الْمَطَالِي: أَرْضٌ وَاسِعَةٌ مِنْ بِلَادِ أَبِي بَكْرٍ ابْنِ كِلَابٍ (مراسد الأطلاع: المطالي)، قَالَ يَاقُوتُ: "كَأَنَّهُ جَنَعُ مَطْلَى، وَهُوَ الْمَوْضِعُ الَّذِي تُطْلَى فِيهِ الْإِبِلُ بِالْقَطِيرَانِ وَالتَّقِطِ، وَهُوَ مَوْضِعُ بَنِي جُرَّانِ ...، وَقَالَ أَبُو زَيْدٍ: وَمِمَّا يُسَمَّى مِنْ بِلَادِ أَبِي بَكْرٍ بَنِي كِلَابٍ تَسْمِيَةً فِيهَا خَطُّهَا مِنَ الْبِيَاءِ وَالْجِبَالِ الْمَطَالِي، وَوَحِشُهَا الْمَطْلَى، وَهِيَ أَرْضٌ وَاسِعَةٌ" (البلدان: المطالي)، وَفِيهِ مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهَا قَرِيبَةٌ مِنْ تَجْدٍ، بَلْ فِيهِ مَا هُوَ قَرِيبٌ مِنْ عَجْرٍ ابْنِ قَوْلِ أَعْرَابِيٍّ: (سَقَى اللَّهُ لَيْلَى وَالْحِمَى وَالْمَطَالِيَا)

(٢) قَوْلُهُ: (يَسْأَلُنْ عَنِّي الْحِمَى)، هُوَ عَلَى الْمَجَازِ لِأَنَّهُ ذَكَرَ الْمَحَلَّ وَأَرَادَ الْحَالَ فِيهِ، مِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَى: { وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ }، أَيْ وَاسْأَلِ أَهْلَ الْقَرْيَةِ.

(٣) لَعَلَّهُ يَقْصُدُ هُنَا زَوْجَتَهُ جَبْرَةَ بِنْتَ وَحْشِيٍّ الَّتِي تَزَوَّجَهَا ثُمَّ هَجَرَ دِيَارَهُ إِلَى الشَّامِ فَطَبْرَسْتَانِ، وَرَبَّيَا الْعَامِرِيَّةَ الَّتِي لَمْ يُصِرَّ عَلَى الزَّوْجِ مِنْهَا، فَهَجَرَ الدِّيَارَ بَعْدَ أَنْ زَوَّجَتْ مِنْ غَيْرِهِ وَهِيَ تَحْمِلُ عَشْقَهُ فِي صَدْرِهَا، وَكِلْتَاهُمَا لَا رَبَّيَا غَاضِيَةً مِنْهُ، كَارِهَةً لَهُ.

{ الطويل }

- ١ أَرَى الدَّهْرَ بِالتَّفْرِيقِ وَالْبَيْنِ مُوَلَّعًا وَلِجَمْعِ مَا بَيْنَ الْمُحِينِ آيَا ^(١)
- ٢ فَأَفَّ عَلَيْهِ مِنْ زَمَانٍ، كَأَنِّي خُلِقْتُ وَإِيَّاهُ تُطِيلُ الْعَادِيَا ^(٢)

تَخْرِيجُ الْأَبْيَاتِ :

تَرْيِنُ الْأَسْوَاقِ ١/ ٢٣١، وَلَمْ تَرِدْ فِي الْعَرَبِ، شُعْرَاءُ قُشَيْرِ ٢/ ٣٩٥،

ديوانه/ ١٣٩

{ الطويل }

- ١ سَقَى اللَّهُ أَطْلَالَ بَاكِيَّةِ الْحِمَى وَإِنْ كُنَّ قَدْ أَبْدَيْنَ لِلنَّاسِ دَائِيَا ^(١)
- ٢ مَنَازِلَ لَوْ مَرَّتْ بِهِنَّ جَنَازَتِي لَقَالَ الصَّدَى: يَا حَامِلِيَّ، ارْبَعَا يَا ^(٢)

تَخْرِيجُ الْأَبْيَاتِ :

الحماسة البصرية ١٣٣/٢، وقال: "وقال مَرَارُ بْنُ هَبَّاشِ الطَّائِي، وَتُرَوَّى لِلصَّمَّةِ الْقُشَيْرِيَّ"، وَيَذْكُرُ الْحَقُّقُ أَنَّهُ لَمْ يَقِفْ عَلَى شَاعِرٍ بِهَذَا الْاسْمِ، وَأَنَّ إِحْدَى التُّسَخِ انْفَرَدَتْ بِنِسْبَةِ الْبَيْتَيْنِ لِلصَّمَّةِ دُونَ غَيْرِهِ. وَالْبَيْتَانِ فَوْقَ هَذَا يَتَوَافَقَانِ مَعَ الْأَبْيَاتِ الَّتِي سَبَقَتْهُمَا، مِمَّا يُرْجَحُ أَنَّ يَكُونَا لِلصَّمَّةِ. وَلَمْ يَرِدَا فِي الْعَرَبِ، شُعْرَاءُ قُشَيْرِ ٢/ ٣٩٣، ديوانه/ ١٣٨

(١) الْأَطْلَالُ مِنَ الدِّيَارِ: رُسُومُهَا الْبَاقِيَّةُ مِنْهَا بَعْدَ خَلَايِهَا مِنْ أَهْلِهَا (اللسان: طلل)، وَأَكْبِيَّةُ الْحِمَى: جَمْعُ كَتِيبٍ، وَهِيَ تِلَالُ الرَّمْلِ، وَقَدْ عُرِفَتْ دِيَارُهُمْ بِكَثْرَةِ الْأَكْبِيَّةِ فِيهَا، قَالَ فِي (صَفَةِ الْجَزِيرَةِ: ١٤٨): "وَمِلْحُ الْحَاجِرِ قَرَارَةٌ بَيْنَ أَكْبِيَّةٍ"، وَهِيَ فِي بَطْنِ حَايِلٍ، أَشْهُرُ مِيَاوِ دِيَارِ نَبِيِّ قُشَيْرٍ. وَقَوْلُهُ: (أَبْدَيْنَ ...)؛ يَعْنِي أَنَّ هَذِهِ الْأَكْبِيَّةَ لَمَّا رَأَاهَا الشَّاعِرُ هَاجَتْ حُزْنُهُ وَوَجَدَهُ، فَانْهَلَتْ عَيْنَاهُ بِالْبُكَاءِ، فَكَأَنَّهُا كَشَفَتْ عَنِ الدَّاءِ الَّذِي يُجِنُّهُ وَيُسْتُرُهُ.

(٢) الصَّدَى: الْهَامَةُ؛ وَهُوَ طَائِرٌ كَانَ الْعَرَبُ يَزْعُمُونَ أَنَّهُ يَخْرُجُ مِنْ هَامَةِ الْقَتِيلِ، وَيَقُولُ: اسْقُونِي، اسْقُونِي؛ حَتَّى يُؤْخَذَ بِثَّأْرِهِ (اللسان: هام)، اَرْبَعَا يَا: أَيِ انْزِلَا يَا فِي هَذَا الْمَكَانِ، وَأَقِيمَا بِي فِيهِ (اللسان: ربع).

(١) الْبَيْنُ: الْفَرْقَةُ وَالْإِنْتِزَاعُ (اللسان: بان)، وَالْمُوَلَّعُ بِالشَّيْءِ: الْوَامِقُ لَهُ؛ الَّذِي يَتَعَلَّقُ بِهِ تَعَلُّقًا شَدِيدًا (اللسان: ولع)، وَالْآيِي: الرِّافِضُ الْمُتَمَنِّعُ (اللسان: آي)، وَهُوَ هُنَا يُلْقِي بِاللَّوْمِ عَلَى الدَّهْرِ لِمَوَاسَاةِ نَفْسِهِ.

(٢) أَفَّ عَلَيْهِ، وَأَفَّ لَهُ: كِلَاهُمَا بِمَعْنَى، وَالتَّأَفُّفُ: التَّضَجُّرُ وَقَوْلُ (أَفَّ) مِنْ كَرَبٍ أَوْ ضَحَرَ (اللسان: أفف).

الفهارسُ العامّةُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١. فهرسُ الأشعار

٢. فهرسُ الأغلام

٣. فهرسُ الأماكن

١. فَهْرَسُ الْأَشْعَارِ

رقم القصيدة	صَدْرُ مَطْلَعِهَا	قَافِيَتُهَا	الصفحة	وَزْنُ القصيدة
١	لَعَمْرُكَ مَا رَيَا بِذَاتِ أَمَانَةٍ	جَزَاءُ	٥٣	الطَوِيل
٢	أَلَا يَا جُرَادَ الْغُورِ هَلْ أَنْتَ مُبْلَغٌ	شَعْبَعَا	٥٥	الطَوِيل
٣	فَوَاحِسَرْتِي لَمْ أَقْضِ مِنْكَ لُبَانَةً	بِالْقُرْبِ	٥٧	الطَوِيل
٤	أَلَا أَيُّهَا الْبَيْتَانِ بِالْأَجْرَعِ الَّذِي	كَثِيبُ	٥٨	الطَوِيل
٥	سَقَى اللَّهُ أَيَّامًا كُنَّا وَلِيَالِيَا	مَلَاعِبُ	٦٠	الطَوِيل
٦	إِلَى اللَّهِ أَشْكُو رِيَّةَ يَوْمٍ فَرَقَرَى	شَعْرُوبُهَا	٦١	الطَوِيل
٧	أَلَا مَنْ لَعِينٍ لَا تَرَى قَلِيلَ الْحِمَى	اسْتَهْلَتْ	٦٤	الطَوِيل
٨	إِنْ أَفَارَقْتَهُمْ فَقَدْ عَشِنْتُ دَهْرًا	اِئْتِهَاجُ	٧٥	الْخَفِيفُ
٩	كَدَاءِ الشَّجَا بَيْنَ الْوَرِيدَيْنِ كَلَّمَا	الْتَحَانُحُ	٧٦	الطَوِيل
١٠	خَلِيلِي إِنْ قَابَلْتُمَا الْهَضْبَ أَوْ بَدَا	جَهْدَا	٧٧	الطَوِيل
١١	أَلَا أَيُّهَا الصَّمَدُ الَّذِي كُنْتَ مَرَّةً	صَمَدُ	٨١	الطَوِيل
١٢	أَحِرُّ إِلَى نَحْلٍ وَإِنِّي لِيَائِسٌ	نَحْلُ	٨٣	الطَوِيل
١٣	وَقَاءَ مَا مُعَيَّةٌ مِنْ أَبِيهِ	بِعَقْدِ	٨٤	الْوَافِرُ
١٤	لَا تَعْدُلِينَا فِي الزِّيَارَةِ إِنَّنَا	بَارِدُ	٨٥	الْكَامِلُ
١٥	أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أُبَيِّنَنَّ لَيْلَةً	سُعْدُ	٨٦	الطَوِيل
١٦	أَعَاذِلُ إِنْ اللَّوْمَ بَعْضُ مَنِيتِي	مَزِيدُ	٨٩	الطَوِيل
١٧	أَلَا مَنْ لِنَفْسٍ مُسْتَحِفٍّ جَلِيدُهَا	صُدُودُهَا	٩٠	الطَوِيل
١٨	عَرَفْتُ الْيَوْمَ بِالْأَسْنَادِ دَارَا	اِئْتِهَامَا	٩٢	الْوَافِرُ
١٩	أَقُولُ لِصَاحِبِي وَالْعَيْسُ تَهْوِي	الضَّمَامُ	٩٤	الْوَافِرُ
٢٠	وَهَلْ تَحْزِنُنِي الْعَابِرِيَّةُ مَوْقِفِي	الْجَمْرُ	٩٧	الطَوِيل
٢١	نَعَزَّ بَصِيرٌ لَا وَجَدَكَ لَا تَرَى	الْعَوَابِرُ	٩٨	الطَوِيل

٢. فهرس الأعلام

الرقم	العلم	مواطن ذكره
١	آل بصرى	٨٠
٢	أعرابية	٧١
٣	أم عمرو (كنية رثا)	٩١
٤	أم الغمر (كنية رثا)	١٣٢
٥	أهل الحجاز	١٣٥
٦	جابر (صاحب الصمة)	٨٧
٧	جيرة بنت وحشي (زوج الصمة)	١٣٧، ١٠٥
٨	الحارثي (صفة الصمة)	٨٠
٩	الحارثية (صفة رثا)	٨٢
١٠	رثا (العامة بنت غطيف)	١٣٧، ١٢١، ١١٢، ١٠٩، ٨٧، ٨٦، ٥٣
١١	زمام بن عظام الكلبي (مغن)	١٢٦
١٢	سلمى	٩٠
١٣	شعب الحي	١٠٨
١٤	طيّا (اسم رثا أو لقبها)	١٢٢، ٩٣، ٧٣، ٧٢، ٦٨، ٦٧، ٥٣
١٥	ظمياء (صفة رثا)	٨١
١٦	عامر بن بشر (زوج رثا)	١٠٤
١٧	العامة (صفة رثا)	١٠٧، ٩٧
١٨	عبد الأعلى (صاحب الصمة)	٧٧
١٩	عثمان بن وهب (صاحب الصمة)	٦٧
٢٠	عياش (صاحب الصمة)	٨٧
٢١	ليلى (لعلم تحريف رثا أو لقبها)	١٢٨، ١٢٠، ١١٨، ٨٣
٢٢	معية (علم تصغير معاوية)	٨٤
٢٣	ميسون بنت بحدل	٧١

٢٢	إذا ثأت لم تُفارقي علاقتها	الزاري	٩٩	البسيط
٢٣	خليلي هل يستخير الأئمل والعضا	السدر	١٠٠	الطويل
٢٤	ولما نزلنا شبيحة الرمل أعرضت	الغمر	١٠١	الطويل
٢٥	أكرّر طرفي نحو نجد وإثني	الظفر	١٠٢	الطويل
٢٦	إن الكريم وإن أرتب خلافة	اليسر	١٠٣	البسيط
٢٧	فإن تُنكِحوها عامراً لا طلاعكم	عامر	١٠٤	الطويل
٢٨	كلي الثمر حتى يصرم التخل واضفري	أفس	١٠٥	الطويل
٢٩	خليلي عوجا منكما اليوم أودعا	بلقعا	١٠٦	الطويل
٣٠	أجدد خليلي الرواح فرمعا	---	١١٦	الطويل
٣١	يا ليت شعري عن الحي الذين غدوا	مُجتمِع	١١٧	البسيط
٣٢	وبئت ليلى أرسلت بشفاعه	شقيعها	١١٨	الطويل
٣٣	لعمري لين كنتم على الثأني والقبلي	لصديق	١١٩	الطويل
٣٤	أأن سحجت في بطن وإد حمامة	دافق	١٢٠	الطويل
٣٥	نظرت وطرف العين تتبع الهوى	المتطاوِل	١٢١	الطويل
٣٦	فله دري أي نظرة ذي هوى	ألها	١٢٢	الطويل
٣٧	ألا من لقلب قد أصيبت مقابله	نزايله	١٢٤	الطويل
٣٨	خليلي إني واقف فمسلم	فسلما	١٢٥	الطويل
٣٩	دعوت زماماً للهوى فأجابني	زمام	١٢٦	الطويل
٤٠	ولم آت البيوت مطبات	الرغام	١٢٧	الوافر
٤١	أكر إلى ليلى فأحسب أثني	كريمها	١٢٨	الطويل
٤٢	يا صاحبي أطال الله رشدكما	السني	١٢٩	البسيط
٤٣	ذكرتك والنجم اليماني كأنه	هيجان	١٣١	الطويل
٤٤	رأيتي العواني قد تردت شمله	غيولها	١٣٤	الطويل
٤٥	وحنت قلوصي آخِر الليل حنة	حينها	١٣٥	الطويل
٤٦	ألا تسألان الله أن يسقي الحمى	المطاليا	١٣٧	الطويل
٤٧	أرى الدهر بالتفريق والبين مولعا	آيبا	١٣٨	الطويل
٤٨	سقى الله أطالاً بأكتبة الحمى	دايبا	١٣٩	الطويل

٣. فَهْرَسُ الْأَمَاكِينِ

الرَّقْم	المكان	مواطن ذكروه
١	الأَجْرَعُ، أَجْرَع	١١٢، ٥٨
٢	الأَخْرَبَانِ	٦١
٣	أُدْرَعَات	٧٨
٤	أَرْضُ الْحِجَازِ	١٠٢
٥	الْأَسْنَاد	٩٢
٦	أَطْلَال	١٣٩
٧	الأَعْرَافُ	١٠٧
٨	الأَعْطَانِ	٦٩
٩	أَعْلَامُ (حُزَوَى)	١٠١
١٠	أَكْبِيَّةُ، أَكْبِيَّةُ الْحِمَى	١٣٩، ١٢٦
١١	أَكْنَافُ الشَّيَابِ	٦٠
١٢	الْبَرْقُ	١٢٥
١٣	الْبَرْيَقَانِ	٦٧
١٤	بُصْرَى	١٢١، ٧٩
١٥	بَطْنُ حَايِلَ	١٢١
١٦	بَطْنُ عَاقِلَ	٨١
١٧	بَطْنُ وَادٍ	١٢٠
١٨	بَطْنُ وَدَّانَ	١٠٠
١٩	الْبَيْتُ الْحَرَامُ	٦٢
٢٠	يَبْرَاكُ	١٢٩، ٦١
٢١	الْقَعْرُ	١٢٢
٢٢	جِبَالُ الْحَزْنِ	٨٧
٢٣	جَبَلُ الْأَوْشَالِ	٧٧، ٦٤
		١٤٦

٢٤	جُرَاذُ (الْعَوْرُ)	٥٥
٢٥	جُفَافُ	١٢٢
٢٦	حَايِلُ، حَايِلَ	١٢٩، ١٢٨، ١٢١
٢٧	الْحَبْلُ (حَبْلُ يَبْرَاكُ)	١٢٩، ١٢٤
٢٨	حُزَوَى	١٠١
٢٩	حِصْنُ الْبَاهِلِيِّ	٦١
٣٠	الْحَلَاءُ	٧١
٣١	الْحِمَى	١٣٧، ١١١، ١١٠، ٩٨، ٩٧، ٩٠، ٨٧، ٦٦، ٦٤
٣٢	الْحَوْضُ	١٢٩
٣٣	الْحِيَاضُ	١٢٣
٣٤	الْحَيَّ	١١١، ١٠٨
٣٥	خُزَارَى	٧٧
٣٦	دَابِقُ	٥٩، ٥٨
٣٧	دَارُ الصَّبِيدِ	٥٨
٣٨	ذَاتُ الرَّمْثِ	١٢١
٣٩	ذَاتُ السَّلِيلِ	٨١
٤٠	ذَرَوَةُ	٧٩
٤١	ذُو سَلَمٍ	١٠٨
٤٢	الرَّبْعُ	١١٣
٤٣	الرَّقَاشَانِ	١٠٧
٤٤	رُقَاقَا قَرْيَةٍ	٧١
٤٥	سُعْدُ	٨٦
٤٦	السَّلِيلُ	٩٢
٤٧	سَنَامُ الْحِمَى	٩٨
٤٨	سَنَدُ الْوَدَّكَاءِ	٧٧
٤٩	سَهْلُ	١٣٦
٥٠	سَوَاجُ	٨٨

٩٤	الْقِفَار	٧٨
١١٢	قُفَّ	٧٩
٨٧	قَلَّةُ النَّيْرِ	٨٠
٦٤	قُلُلُ الْجِمَى	٨١
١٠٩	قُنِي	٨٢
٥٨	كُفَّةُ الْعَضَا	٨٣
٧٢	مَاءُ الْعِظَاةِ	٨٤
٦٢	مَاءُ الْمُحَلَّقِ	٨٥
٦٢	مَاءُ الْهُدْيَةِ	٨٦
١٢٤	مَصْرَمُ الْحَبْلِ	٨٧
١٣٧	الْمَطَالِي	٨٨
٦٢	مَطْلُوب	٨٩
٩٤	الْمُنِيفَةُ	٩٠
٨٦، ٨٣، ٨٠، ٧٩، ٧٨، ٧٧، ٧٢، ٧١، ٦٣، ٦٢	نَجْد، (النَّجْد)	٩١
٨٧، ٩٤، ٩٥، ١٠٢، ١٠٩، ١١٠،		
١٣٦، ١٣١، ١١٢		
١٣١	النَّحْمُ الْيَمَانِي (سُهَيْل)	٩٢
١٢٥، ١١١، ٨٧، ٦٥	النَّيْرِ	٩٣
١٢٥، ٩٠، ٨٧، ٧٧	الْهَضْبُ (هَضْبُ النَّيْرِ)	٩٤
٧٢	الْهِنْدُ	٩٥
١١٢	وَادِي الشَّرَى	٩٦
٥٨	وَاسِط	٩٧
١٢٩، ٨١	وَطْن	٩٨
١٣٠	الْيَمَن	٩٩

١١١	السَّيْلُ	٥١
١٣٦، ١٣٠، ٥٨	الشَّامُ	٥٢
١١٢	الشَّرَى	٥٣
١٢١	شَرْقِي بُصْرَى	٥٤
٥٧	الشَّعْبُ	٥٥
١٢٩، ٥٥	شَعْبَعَب	٥٦
٥٧	شُعْبُ مُرَاهِق	٥٧
١٣١	الشَّعْرَى	٥٨
١٠١	شَيْبَةُ الرَّمْلِ	٥٩
١٠٦	الصَّفِيحُ الْمَوْضِعُ	٦٠
٨١	الصَّمْدُ	٦١
٩٤	الصُّمَارُ	٦٢
٧١	ضَيْعَةٌ	٦٣
١٠١	الطَّلِلُ	٦٤
٨٧	عَارِمَةٌ	٦٥
٥٩	الْعَتَّانُ	٦٦
٦٦	عِرَاصُ الْجِمَى	٦٧
١٢٩	العَطْنُ	٦٨
٩٧	غَضَا الْجَمْرِ	٦٩
٥٥	غِمَارُ شَعْبَعَب	٧٠
١١٢، ٥٥	الْعَوْرُ	٧١
٦١	قَاعُ الْأَخْرَبَيْنِ	٧٢
١٠٦	الْقَبِيْبَةُ	٧٣
٦١	قَرْقَرَى	٧٤
٦٢	قَرْنُ	٧٥
٦٢	قَرْنُ نَحْلَةٍ	٧٦
٧٩	الْقَصْرُ	٧٧

تَبَتُ الْمَصَادِرُ وَالْمَرَا جِعُ

- الإبانة في اللغة العربيّة، سلّمة بن مسيلم العوتبيّ الصُّحاريّ، تحقيق د. عبد الكريم خليفة وزُملائه، (عُمان: وزارة التّراث القومي والثقافة، ١٩٩٩)
- الأشباه والتّظائر من أشعار المتقدّمين والجاهليّين والمخضرمين، الخالدّيان: أبو بكر محمد بن هاشم، وأبو سعيد عثمان بن هاشم، تحقيق محمّد يوسف، (القاهرة: مطبعة لجنة التّأليف والتّرجمة والنّشر، ١٩٦٥)
- الإصابة في تمييز الصّحابة، شهاب الدّين أحمد بن عليّ بن حجر العسقلانيّ، تحقيق محمّد عليّ البجّاري، (بيروت: دار الجيل، ١٩٩٢)
- الأغلام، خير الدّين الزّركليّ، ط ١٠، (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٩٢)
- الأغاني، أبو الفرج عليّ بن الحسين، (بيروت: دار الثقافة، ١٩٥٦)، (بيروت: دار إحياء التّراث العربي، د.ت)
- الأُمالي، أبو عبد الله محمد بن العباس بن محمد البيزديّ، (حيدر آباد الدكن: جمعيّة دائرة المعارف العثمانية، ١٩٤٨)
- أُمالي الزّجاجي، أبو القاسم عبد الرّحمن بن إسحاق الزّجاجيّ، تحقيق وشرّح عبد السّلام هارون، (بيروت: دار الجيل، ١٩٨٧)
- الأُمالي في لغة العرب، أبو عليّ إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي، (بيروت: دار الكتب العلميّة، مكّة المكرّمة: دار الباز، ١٩٧٨)
- يَلاَد العرب، الحسن بن عبد الله الأصفهانيّ، تحقيق حمّد الجاسر وصالح العلّلي، (الرياض: دار اليمامة، ١٩٦٨)
- بهجة المُجالس وأنس المُجالس وشُحذ الدّاهن والهاجس، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر القرطبيّ، تحقيق محمد الخولي، (بيروت: دار الكتب العلميّة، ١٩٨٢)

- تاج العروس من جواهر القاموس، السيّد محمد مرتضى الزبيدي، (بيروت: دار ومكتبة الحياة، د.ت)
- تجريد الأغاني، ابن واصل الحموي، تحقيق د. طه حسين وإبراهيم الأبياري، (القاهرة: دار الكاتب العربي، ١٩٥٥)
- التذكرة السعدية في الأشعار العربية، محمد بن عبد الرحمن بن عبد المجيد العبيدي، تحقيق عبد الله الجبوري، (التحف الأشراف: مطابع الثعمان، ١٩٧٢)
- التذكرة الحمدونية، محمد بن الحسن بن محمد بن حمدون، تحقيق د. إحسان عباس وبكر عباس، (بيروت: دار صادر، ١٩٩٦)
- تزيين الأسواق بتفصيل أشواق العشاق، داود بن عمر الأنطاكي، تحقيق وتعليق القدس للدراسات والبحوث، (القاهرة: دار البيان العربي، د.ت)
- التعليقات والتوارد، أبو عليّ هارون بن زكريّا الهجريّ، تحقيق حمد الجاسر، (الرياض: المؤلف، ١٩٩٢)
- تحقيق حمود عبد الأمير الحمادي، (بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٨٧)
- جمهرة أنساب العرب، أبو محمد عليّ بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، تحقيق وتعليق عبد السلام هارون، (القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٢)
- جمهرة النسب، هشام بن محمد السائب بن الكلبي، حققه ناجي الحسن، (بيروت: عالم الكتب، ١٩٩٣)
- الحماسة البصرية، صدر الدين أبو الفرج بن الحسين البصري، اعتنى بتصحيحه والتعليق عليه د. مختار الدين أحمد، (حيدر آباد الدكن: مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، ١٩٦٤)
- الحماسة الشجرية، هبة الله بن عليّ بن خنزة العلويّ المعروف بابن الشجريّ، تحقيق عبد المعين الملوحي وأسماء الحمصي، (دمشق: منشورات وزارة الثقافة، ١٩٧٠)

- الحماسة المغربية، أبو العباس أحمد بن عبد السلام التادلي الجراوي، تحقيق محمد رضوان الداية، (بيروت: دار الفكر المعاصر، دمشق: دار الفكر، ١٩٩١)
- الحنين إلى الأوطان، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، (بيروت: دار الرائد العربي، ١٩٨٢)
- خزانة الأدب ولبّ لباب لسان العرب، عبد القادر بن عمر البغدادي، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، (القاهرة: دار الكاتب العربي، ١٩٦٨)، (القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٨١)
- ديوان الحماسة، أبي تمام حبيب بن أوس الطائي:
- شرح وتعليق أحمد حسن بسج، ط ١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٨)
- علّق عليه محمد عبد المنعم خفاجي، (القاهرة: مكتبة محمد علي صبيح، ١٩٥٥)
- ديوان الصّمة بن عبد الله القشيري، د. عبد العزيز الفيصل، (الرياض، النادي الأدبي، ١٩٨١)، ضمن سلسلة كتاب الشهر (رقم ٣٢)
- ديوان ابن الدمين، عبد الله بن الدمين، تحقيق الأستاذ راتب التفّاح، (القاهرة: مكتبة دار العروبة، ١٩٥٩)
- ديوان المعاني، أبو هلال الحسن بن سهل العسكري، طبعة مقابلة على نُسختي الشيخين الشنقيطي ومحمد عبده، (بيروت: دار الجيل، د.ت)
- ديوان يزيد بن الطثريّة، دراسة وجمع وتحقيق د. ناصر بن سعد الرشيد، (الرياض: دار مكة للطباعة والنشر، ١٩٨٠)
- سيمط اللآلي في شرح أمالي القالي، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري، تحقيق عبد العزيز الميمني، (بيروت: دار الحديث، ١٩٨٤)
- شاعر وقصيدة - مختارات شعريّة، مصطفى طلاس، (دمشق: دار طلاس، ١٩٨٥)

- شرح حماسة أبي تمام، أبو الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى الأعمى الشنتمري، تحقيق د. علي المفضل حمودان، (بيروت: دار الفكر العربي، ١٩٩٢)
- شرح ديوان الحماسة، (المنسوب) لأبي العلاء أحمد بن عبد الله المعري، حققه محمد نقشة، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩١)
- شرح ديوان الحماسة، أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي، نشره أحمد أمين وعبد السلام هارون، بيروت: دار الجيل، ١٩٩١
- شرح ديوان قيس بن الملوّح، شرح وتحقيق د. رحاب عكاوي، (بيروت: دار الفكر العربي، ١٩٩٤)
- شرح شواهد المغني، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، وبذيله تصحيحات وتعليقات الشيخ محمد الشنقيطي، تحقيق أحمد ظاهر كوجان، (دمشق: لجنة إحياء التراث العربي، ١٩٦٦)
- شرح المصنّون به على غير أهله، عبّيد الله بن عبد الكافي، (القاهرة: مطبعة السعادة، ١٣٣١هـ)
- شعراء بني قشير في الجاهلية وصدر الإسلام حتى أواخر العصر الأموي، د. عبد العزيز الفصيل، (القاهرة: عيسى البابي الحلبي، ١٩٧٨)
- شعراء نجد والحجاز والعراق، جمع الأب لويس شيخو، (بيروت: مطبعة الآباء اليسوعيين، ١٨٩٠)
- شعراء الأمانة وأشعارهم في مَعجم البلدان، جورج خليل مارون، بإشراف د. ياسين الأيوبي، (بيروت: المكتبة العصرية، ٢٠٠٠)
- الشعر والشعراء، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، (بيروت: دار الثقافة، د.ت)
- زهر الآداب، أبو إسحق إبراهيم بن علي الحصري القيرواني، قدّم له وشرحه صلاح الدين الهواري، (بيروت: المكتبة العصرية، ٢٠٠١)

- الزهرة، أبو بكر محمد بن سليمان الأصفهاني، تحقيق د. إبراهيم السامرائي، نوري حمودي القيسي، (بغداد: وزارة الإعلام، ١٩٧٥)
- صفة جزيرة العرب، أبو محمد الحسن بن علي الهمداني، حققه محمد بن علي الأكو، (الرياض: دار اليمامة، ١٩٧٤)
- الطرائف الأدبية، عبد العزيز الميمني، (القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٣٧)
- عُيون الأخبار، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، (القاهرة: المؤسسة المصرية العامة، ١٩٥٢)
- لسان العرب، جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، (بيروت: دار صادر، ١٩٥٦)
- الفاضل، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، تحقيق عبد العزيز الميمني، (القاهرة: مطبعة دار الكتب المصرية، ١٩٥٦)
- الفهرست، ابن النديم محمد بن أبي يعقوب إسحق المعروف بالوراق، تحقيق رضا تجدد، (طهران: م.د، ١٩٧١)
- الفهرست: دراسة بيوغرافية ببلوغرافية ببلوومترية وتحقيق ونشر د. شعبان خليفة ووليد محمد الغورة، (القاهرة: العربي للنشر، ١٩٩١)
- المؤلف والمختلف، أبو القاسم الحسن بن بشر بن يحيى الأمدي، تحقيق عبد الستار فراج، (القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، ١٩٦١)
- مائة قصيدة مختارة من مطولات الشعر العربي القديم، عبد الهادي حماد، (عمّان: ٢٠٠٠)
- المُحتنى، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد، (حيدر آباد الدكن: مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، ١٩٦٣)
- مجلّة العرب - مجلّة شهرية جامعة، الجزء الأول، تشرين الأول، السنة الأولى ١٩٦٦
- الجزء الأول، تشرين الأول، السنة الثانية ١٩٦٧

- مَجْمُوعَةُ الْمَعَانِي، إعداد عبد السلام محمد هارون، (بيروت: دار الجيل، ١٩٩٢)
- مُحَاضَرَةُ الْأَبْرَارِ وَمَسَامَرَةُ الْأَخْيَارِ فِي الْأَدَبِيَّاتِ وَالنَّوَادِرِ وَالْأَخْبَارِ، مُحْيِي الدِّينِ ابن العربي، (القاهرة: مطبعة السعادة، ١٩٠٦)
- الْمَرَاثِي، محمد بن العباس اليزيدي، تحقيق محمد نبيل طريفي، (دمشق: منشورات وزارة الثقافة، ١٩٩١)
- الْمُرْشِدُ إِلَى فَهْمِ أَشْعَارِ الْعَرَبِ، د. عبد الله الطيّب المجدوب، (القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي، ١٩٥٥)
- مَعَانِي آيَاتِ الْحَمَاسَةِ، أبو عبد الله الحسين بن عليّ النَّمَرِيّ، تحقيق د. عبد الله عسيلان، (القاهرة: مطبعة المدني، ١٩٨٣)
- مَعَاهِدُ التَّنْصِيفِ عَلَى شَوَاهِدِ التَّلْخِصِ، عبد الرحيم بن أحمد العباسي، حققه وعلّق حواشيه محمد محيي الدين عبد الحميد، (بيروت: عالم الكتب، ١٩٤٧)
- مُعْجَمُ الْأَدْبَاءِ (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب)، ياقوت الحموي، تحقيق د. إحسان عباس، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٣)
- مُعْجَمُ الْبُلْدَانِ، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الْحَمَوِيّ الرَّومِيّ، (بيروت: دار صادر ودار بيروت، ١٩٨٤)
- مُعْجَمُ الشُّعْرَاءِ، أبو عبيد الله محمد بن عمران الْمَرْزُبَانِيّ، تصحيح د. ف. كرنكو، (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت)
- مُعْجَمُ الشُّعْرَاءِ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ، د. ياسين الأيوبي، (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٠)
- مُعْجَمُ الشُّعْرَاءِ الْمُخَضَّرِينَ وَالْأُمُومِيِّينَ، د. عزيزة فوّال بانيّ، (لبنان- طرابلس: جروس برس، ١٩٩٨)
- مُعْجَمُ الشُّعْرَاءِ مِنَ الْعَصْرِ الْجَاهِلِيِّ حَتَّى زَهَايَةِ الْعَصْرِ الْأُمَوِيِّ، د. عفيف عبد الرَّحْمَنِ، (بيروت: دار المناهل للطباعة والنشر، ١٩٩٦)

- الْمُعْجَمُ الْمُفَصَّلُ فِي شَوَاهِدِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، د. إميل بديع يعقوب، (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠)
- الْمَقَاصِدُ النَّحْوِيَّةُ فِي شَرْحِ شَوَاهِدِ الْأَلْفِيَّةِ (المعروف بشرح الشواهد الكبرى) - على هامش خزانة الأدب، محمود بن أحمد العيني، (بيروت: د.م، ١٩٧٢)
- الْمُقْتَضَبُ، أبو العباس محمد بن يزيد الْمُرْدَدُّ، تحقيق عبد الخالق عُصَيْمَة، (القاهرة: دار التحرير للطباعة والنشر، ١٣٦٨هـ)
- الْمَنَازِلُ وَالذِّيَارُ، مجد الدين أسامة بن مُرْشِدِ بْنِ عَلِيّ بْنِ مُنْقِذٍ، (دمشق: المكتب الإسلامي، ١٩٦٥)
- الْمَنَاسِكُ وَأَمَاكِنُ طُرُقِ الْحَجِّ وَمَعَالِمُ الْجَزِيرَةِ، أبو إسحاق إبراهيم بن إسحاق الحربي، تحقيق حَمَدُ الْجَاسِرِ، (بيروت: مطبعة المتنبي، ١٩٦٩)
- مُوسُوعَةُ شُعْرَاءِ صَدْرِ الْإِسْلَامِ وَالْعَصْرِ الْأُمَوِيِّ، عبد عون الروضان، (عمّان: دار أسامة، ٢٠٠١)
- مُوسُوعَةُ شُعْرَاءِ الْعَرَبِ، د. يحيى شامي، (بيروت: دار الفكر العربي، ١٩٩٩)
- نَزْهَةُ الْأَبْصَارِ بِطَرَائِفِ الْأَخْبَارِ وَالْأَشْعَارِ، عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن درهم، (دمشق: المكتب الإسلامي، ١٩٣٦)
- الْوَاقِي بِالْوَقَايَا، صلاح الدين خليل بن أَيْبَكِ الصَّفْدِيّ، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠١)
- الْوَسَاطَةُ بَيْنَ الْمُتَنَبِّئِ وَخُصُومِهِ، القاضي عليّ بن عبد العزيز الجرجاني، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، (بيروت: المكتبة العصرية، د.ت)
- وَفَايَاتُ الْأَعْيَانِ وَأَنْبَاءُ أَوْلَادِ الزَّمَانِ، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلّكان، تحقيق د. إحسان عباس، (بيروت: دار الثقافة، ١٩٧١).